

ريم الزياني عفيف

العلامة والرّقم

من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض

الطابع الرّقميّ أنموذجًا





الدار التونسية للكتاب

العلامة والرّقم

من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض

الطابع الرّقميّ أُنموذجًا

سلسلـــة وشـــــوم

يديرها الدكتور العادل خضر

عـنـوان الـكـتـاب:	العلامة والرقم
المـؤلـــف:	ريم الزياني عفيف
الـــنـــوع:	تصميم
الطـبـعــة:	الأولى 2016
الـنـاشــر:	الـدار الـتونـسيـة للكتاب
الـعــنــوان:	43-45 شـــارع الحبيـب بورقيبـة- الـطــابـق الأول مــدرج "د" الــكــولـيزي - المكتب عدد 130
الـهـاتـف/الـفـاكـس:	71339833- 98441468
البريد الالكترونـــي:	mtl.edition@yahoo.fr
المطبعـــة:	SOTEPAGRAPHIQUE 12 rue Khaira - 1002 - Tunis belvédère – Tunis 1 rue Mohamed Rachid - 1002 - Tunis belvédère – Tunis Tel: 71907380/71901933 E-mail: sotepagraphique@yahoo.fr
الـمـوزع داخـــل تـــونـــس وخـارجها	الشركة التونسية للصحافة SOTUPRESSE
ر.د.م.ك:	ISBN: 978 - 9938 - 890 - 72 - 3

ريم الزياني عفيف

العلامة والرّقم

من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض

الطابع الرّقميّ أُنموذجًا



الدار التونسية للكتاب

الإهـــــداء

إلى أبي

لولاك لما صرت

الوسم الملائكيّ

من علم الطّوابع البريديّة إلى علوم تصميمها

خواطر ميديولوجيّة في كتاب "العلامة والرّقم" لريم الزّيّاني

بقلم: د. العادل خضر

"وفي الحديث أنّه صلّى اللـه عليه وسلّم قال:

إذا أَبْرَدْتم إِليَّ بَرِيدًا، فاجعلوه حسن الوجه، حسن الاسم"

لسان العرب

*

يكفي أن نفتح لسان العرب، ونقرأ بعض ما كتب في لفظ "البريد" ([1]) حتّى نقف على حقيقة تبدو من تحصيل الحاصل، أو من البديهيّات، وهي أنّ الرّسائل لا تُرسِل نفسها بنفسها، فهي تحتاج دائما إلى من ينقلها، لأنّها لا تبلغ مقصدها دون حامل يحملها، يقطع بها الطّريق، ويطويها طيّا، إلى أن تبلغ صاحبها أو صاحبتها. فبين كاتب الرّسالة وقارئها، وبين "من أَرْسَل" و"من أُرْسِل إليه" سلسلة من الوساطات والوسائط تؤكّد لنا ما ذهب إليه أبو الميديولوجيا مارشال ماك لوان Marshall Mc Luhan لمّا قال "الرّسالة الحقّ، إنّما هي الوسيط ذاته." ([2]). وليس وسيط الرّسالة سوى بريدِها. فعمل الإرسال ذاته يعبّر عنه بفعل "بَرَدَ". فـ"**بَرَدَ بَرِيداً أَرسله**". وما بريد الرّسالة إلاّ "**الرُّسُل على دوابّ البريد**". فـ"**البَرِيد الرّسول**"، أي حامل الرّسالة. والبريد أيضا "**سِكَكُ البرِيد، كلّ سكّة منها اثنا عشر ميلاً** ". فالبريد بهذا المعنى هو اسم الطّريق بما هي فضاء التّنقّل

---

[1] انظر، لسان العرب، مادّة [ب.ر.د]

[2] انظر، Marshall Mc Luhan, (1968-2000) *Pour comprendre les médias*, Paris, Points-Essais, p25. ، حيث قال، « le vrai message, c'est le médium lui-même (…) » .

والنّقل، بل هو المسافة الّتي تقطعها الدّوابّ الّتي يمتطيها الرّسول، وتسمّى أيضا "**البرِيد**". فقد سُمِّيَت "**المسافة الّتي بين السّكّتين بريداً**". أمّا الدّابّة الّتي يمتطيها الرّسول فيطلق عليها اسم البريد أيضا: "**وقيل لدابّة البريد بَريدٌ، لسيره في البريد**". وأصل الكلمة فارسيّة "**أَصلها «بريده دم»، أي محذوف الذَّنَب، لأَنّ بغال البريد كانت محذوفة الأَذناب كالعلامة لها**". فلفظ "**البريد**" اسم جامع يطلق على **الرّسول**، حامل الرّسالة، ويطلق أيضا على **الدّابة** الّتي تحمل الرّسول، ويجرى على **الطّريق** الّتي كانت الدّوابّ تسير فيها، وتسمّى سكك البريد، وكانت تُقاس بالفراسخ والأميال.

ويمكن أن نعتبر البريد حلقة وسطى من تطوّر شبكات التّواصل، بها أصبح التّواصل أرضيًا خفيفا سريعا عابرا للأمكنة بعد أن كان سماويًا في سياق اللاّهوت التّوحيديّ. فإن استحضرنا لفظ "الملاك" في اللّسانين العربيّ والإغريقيّ لوجدنا أنّه ليس ببعيد عن سياق البريد والرّسائل. فالبريد هو الرّسول، حامل الرّسائل، تماما كالملاك، فهو بدوره **حامل الرّسالة** وأحيانا يكون **الرّسالة** ذاتها. فأصل مَلَك هو "**مَأْلَك**"، وقد أُخذ من لفظ "**الألوكة**"، وهي الرّسالة، بينما تعني كلمة Ange، المنحدرة من اللّفظ الإغريقيّ angelos، الرّسولَ أو حاملَ الرّسالة messager. ويبدو من تقارب معاني لفظي «**الرّسول**» و«**الملاك**» أنّ جسد البريد وحامله المادّيّ قد تغيّر. فبعد أن كان في سياق التّوحيد كائنا سماويًا مفارقا للحسّ، آتيا من فوق العالم، ينزل بألواح القانون والكتاب المبين والآيات البيّنات، صار في زمن "المسالك والممالك" والإمبراطوريات، جسدا بشريًا، يطوي الأرض بسرعة الدّوابّ الّتي كان يمتطيها، قبل أن يستبدل في زمن المطابع بطابع البريد، بقطعة من ورق، صغيرة الحجم، خفيفة الوزن، لا تعترف بالحدود الجغرافية ولا بالمسافات، ولا بالأزمنة، ولا بالحيطان والأسوار المنيعة، ولا بالأبواب والبوّابات. إنّه يمرّ دائما، كمفتاح سحريّ يفتح كلّ المغاليق ولا

تقاومه أبدا المراتيج. فمجرّد ظهور طابع البريد يعني أنّ جسد "الملاك" و"الرّسول" قد تغيّر، مذكّرا إيّانا بأنّ الملائكة ما انفكّت منذ غابر الدّهور ترسم خرائط سككنا، وخرائط كوننا الجديد ([1]).

*

لقد نشأ طابع البريد في بداياته من فكرة بسيطة نجمت في بلجيكيا الفتيّة سنة 1830. غير أنّ طابع البريد كان من ابتداع البريطانيّيْن روالد هيل Rowland Hill، وجيمس كالمرJames Chalmers. وقد جرى ذلك في نطاق إصلاح بريديّ بالغ الأهميّة، من أبرز آثاره ظهور أوّل طابع بريديّ متنقّل أطلقته مراكز البريد الملكيّة البريطانيّة سنة 1840. وكان شكله الأوّل يحمل صورة الملكة فيكتوريا، بلون أسود، وبقيمة بنسpenny واحد. ولأجل ذلك أطلق عليه اسم "البنس الأسود" « *Penny Black* ». أمّا أوّل طابع بريد ملوّن فيسمّى "يمامة بال" « *Colombe de BâleLa*». وقد ابتدع في سويسرا سنة 1845، في مقاطعة بال Bâle.

ليست الغاية من استحضار هذه المعطيات الشّائعة أن نذكّر بتاريخ طابع البريد ونشأته الأولى فحسب، وإنّما أن نذكّر بقاعدة بسيطة من قواعد الإبلاغ الّتي تفيد بأنّ "أيّ تغيّر في نظام الإبلاغات يؤثّر بالضّرورة تأثيرا بالغا في المضامين المنقولة." ([2]). وهي قاعدة لا تصحّ إلاّ بقاعدة أخرى تلازمها وتفيد أنّ "أيّ تغيّر في وسائل النّقل يؤثّر أيّما تأثير في نظام الإبلاغات، وبالتّالي في المضامين المنقولة ".

---

[1] انظر، Michel Serres, (1999) *La Légende des Anges*, Paris, Champs Flammarion.

[2] انظر، Jack Goody , (1979) *La Raison graphique, la domestication de la pensée sauvage*, Paris, Minuit, p46 حيث يقول: »[…] tout changement dans le système des communications a nécessairement d'importants effets sur les contenus transmis.«

هذه القاعدة وتلك قد اختبرتهما ريم الزّيّاني، بحـدس قـويّ وعـلى نحـو عفـويّ، في كتابها الشّيّق "**العلامة والرّقم**"، وذلك من خلال دراستها للعلامة البريديّة وهي تنتقل مـن طور العلامة الخطّيّة إلى العلامة الرّقميّة. وليست العلامة البريديّة في طورها الخطّيّ سوى طابع البريديّ. وهي علامة ذات مسار طويل لا يقصّ علينا في آخر المطـاف سـوى مقطـع وحيد مـن تـاريخ شـبكات التّواصـل الحـديث. وهـو في النّهايـة تـاريخ حافـل بـالتّحوّلات والانتقالات من طور إلى طور. ينبغـي في هـذا المقـام أن نـدرك أنّ أيّ انتقـال أو تحـوّل في مجال التّواصل ليس بالحدث الهيّن، لأنّه يرسـم معـه، في الآن نفـسه، مـسار تـاريخ تحـوّل أبنية الثّقافة التّقنيّة ومؤسّساتها المختلفة. هاهنـا نحتـاج إلى استحـضار بعـض المعطيـات الميديولوجيّـة. فتـاريخ ثقافـة في التّـصوّر الميـديولوجيّ لا يكتـب بمجـرّد تغـيّر مـضامينه وتسجيل الانقطاعات والقطائع الّتي جـدّت في نظامهـا المعـرفيّ عـلى النّحـو الّـذي سـطّره ميشال فوكو في دراساته الأركيولوجيّـة الأولى، وإنّمـا ينبغـي أن يكتـب بـالتّوازي مـع تغـيّر وسائطه التّقنيّة ومؤسّساتها أيـضا. فـإذا انتقلنـا مـن ثقافـة تعتمـد عـلى الكتابـة والخـطّ والكتاب المنسوخ إلى ثقافة تعتمد على تقنيات الطّباعة أو تكنولوجيّـات الـرّقم فـإنّ هـذا الانتقال يُترجم في واقع الأمـر تحـوّلا عميقـا، أُنجـز عمليّـا بالانتقـال مـن دائـرة وسـائطيّة Médiasphère إلى أخرى. ذلك أنّه كلّما تغـيّر الوسـيط Médium تغـيّرت معـه مـضامين الثّقافة المعرفيّة ومؤسّساتها الّتي تُعْنَـى بطرائـق الاسـتعمال الاجتماعـي والـسّياسيّ لتلـك المعارف. فالكتاب المنسوخ بالخطّ لم يكن البتّة واسـع الانتـشار، لأنّـه لم يكـن يـدور إلاّ في أفضية محدودة كانـت تحتكـر المعرفـة كبيـوت الحكمـة وأصـحاب المكتبـات، والكنـائس وخزائن الأمراء والملوك...

يطلق ريجيس دوبريهRégis Debray على الدّائرة الوسـائطيّة الّتـي يكـون أسـاس الثّقافة فيها معتمدا على الكتابـة والخـطّ مـصطلح الـدّائرة الكلاميّـة Logosphère. فـإذا استبدلت الثّقافة وسائط الكتابة والخطّ بوسائط الطّباعة فإنّها بذلك الاستبدال تنتقل مـن الدّائرة الكلاميّة إلى الدّائرة الخطّيّة Graphosphère. ولا يسمح المقام بـأن نـستعرض مـا يحدث في مضامين الثّقافة من تحوّلات عميقة حين يطبع من الكتاب المقدّس مائة نـسخة في اليوم بدل مائة نسخة في السّنة. بل لا يسمح المقام بأن نصف ما حدث في بنية المعرفة الكونيّة حين تضاعفت كمّيّا كلّ ربع قـرن، أو كـلّ عقـد، أو أقـلّ مـن عقـد، يـوم انتقلـت معظم الثّقافات المعاصرة من الدّائرة الخطّيّة إلى الدّائرة القـصوىl'hypersphère بفـضل الانتشار المذهل للـشّبكات الرّقميّـة الافتراضـيّة. كـلّ هـذه التّحـوّلات يـصعب رصـدها في شموليتها لأنّ نسقها سريـع وحقلهـا شاسـع. ولكـنّ دراسـتها رغـم ذلـك تظـلّ ممكنـة إن عالجنها في مستواها الجزئيّ لا الكلّيّ، كأن ندرسها في شكل أغراض يـسمّيها دوبريـه غـرض وسائطيّ Médiathème. ففي كتاب "مسيرة اللـه" ([1])، اتّخذ دوبريـه مـن الإلهـيّ غرضـا للدّرس الميديولوجيّ، فبيّن كيف كانت أجساد اللـه تتغيّر كلّما انتقل من السّكن في جسم ثقيل ثابت كالصّنم، إلى الحلول في حـرف نحيـف خفيـف عـابر للأمكنـة والأزمنـة بفـضل تقنيات الكتابة والكتاب... وفي كتابه "حياة الـصّورة وموتهـا"([2]) اتّخـذ مـن الـصّورة غرضـا وسائطيّا درس فيه عصور الصّورة الثّلاثـة، وهـي تمـوت وتحيـى كلّـما انتقلـت مـن دائـرة وسائطيّة إلى أخرى.

*

من منظور وسائطيّ محض، نعتبر كتاب "**العلامة والرّقم**" قد اتّخذ من الطّابع البريديّ غرضا وسائطيّا. إلاّ أنّ المؤلّفة لم تدرس هذا الغرض من هـذا المنظور الميديولوجيّ، وإنّما من زاوية "الدّيزاين" Design، أو علم التّـصميم.

---

[1] انظر، Régis Debray, (2001) *Dieu, un itinéraire, Matériaux pour l'histoire de l'Éternel en Occident*, Paris, Éditions Odile Jacob, Le champ médiologique.

[2] انظر، Régis Debray, (2000a) *Vie et Mort de l'Image*, Folio-Essais.

فقد شخّصت بدقّة مراحل انتقال طابع البريد من الدّائرة الخطّيّة إلى الدّائرة الرّقميّة، أو الدّائرة القصوى، وما تبع ذلك الانتقال من تحوّلات في صناعة طابع البريد، أصابت طرائق تصميمه واستعماله واستغلاله. وبعبارة أخرى فإنّ ما شخّصته المؤلّفة هو تلك "المُعادلة بين **العلامة والرّقم**" لمّا "تأتي من منطق الشراكة التّي وازنت بين **العلامة الخطّيّة** في تمثّلها وتشكّلها و**الرّقم** بوصفه لغة الحاسوب التّي أنتجت **العلامة** وحوّلتها من أُصولها اليدويّة التّشكيليّة لتُقحمها داخل بوتقة الآلة، فأخذت شكلها ولونها وحجمها وجعلتها مفردًا فاعلاً في ثالوث الصياغة والتّقنيّة والآليّة".

هذه المعادلة لا يمكن لغير المختصّ أن يدركها لأنّها بلغة السيبرنيطيقا عبارة عن "علبة سوداء" لا يمكن أن ندرك ما جدّ فيها من تحوّلات لمّا زجّ بعلامة البريد الخطّيّة (أي طابع البريد) في عالم الحاسوب، أو في عالم الرّقميّات الافتراضيّة. فقصارى ما يمكن أن نعرفه هو أنّ **العلامة** الخطّيّة الّتي كانت ترسم باليد خطّا كالخطّ الّذي نكتبه كلّ يوم بأقلامنا، ونلوّنه في صورنا بريشاتنا، قد أصبحت **رقما**، صيغ بلغة خوارزميّة، لا تترجمها لغتنا الطّبيعيّة، ولا لغة الكلام اليوميّ، لأنّها تستعمل في عالم مختلف، ليس بالمعدوم ولا بالموجود، لكنّه رغم ذلك حاضر في عالمنا الواقعيّ، في شكل عالم آخر un autre monde، يسمّي بلغة المنطق الجهيّ la logique modale، العالم الممكن le monde possible. **فالرّقم** في هذا العالم الممكن هو الخطّ، أو **العلامة** الخطّيّة، وقد تغيّرت خواصّها، أو خصائصها الجوهريّة والأساسيّة، فباتت إمكانيّة وجوده خارج كون الحواسيب، وخارج العوالم الافتراضيّة، أمرا مستحيلا. فشخصيّة لارا كروفت Lara Croft، هذه النّجمة الافتراضيّة، لا يمكنها أن تشيخ أبدا كسائر البشر، لأنّها مخلوقة من البيتس bits والبيكسال pixels، لا من لحم ودم([1]). وهي إن كانت تثني رقاب الملايين من سكّان الأرض وتغريهم بفتنة

[1] انظر، Jean-Marie Schaeffer, (1999) *Pourquoi la fiction*? Paris, Le Seuil, pp7-8.

جمالها، فإنّها في المقابل لا تلتفت إلى أحد، لأنّها كأبطال الرّوايات في عوالم التّخييل القصصيّ، لا يمكنها مغادرة كونها الافتراضيّ، ولا بلوغ عالم الواقع. وقس على ذلك طابع البريد. فبمجرّد أن يتحوّل من علامة خطّيّة إلى علامة رقميّة، حتّى يصبح وجوده خارج الكون الرّقميّ مستحيلا. ذلك أنّ سبل العودة من "الواقع الافتراضيّ" « la réalité virtuelle»إلى "الواقع الحقّ" «la réalité vrai» قد أصبحت منقطعة. فما ولد في الحاسوب لا يمكنه أن يوجد إلاّ فيه وبه. ورغم وجود الطّابع الرّقمي في واقع افتراضيّ وفضاء سيبرنيّ cyberespace فإنّه لم ينكفئ على ذاته. فهو، وإن كان وليد الثّقافة السّيبرنيّة cyberculture، أي مجموع الممارسات الثّقافيّة المرتبطة بالميديا الرّقميّة، فإنّه لم يُصنع للّهو واللّعب أو الإبداع الفنّيّ، وإنّما صُمّم لغايات الاستعمال والتّبادل. فالطّابع الرّقميّ قد حافظ على وظائف الطّابع البريديّ القديمة وطوّرها، لأنّه ظلّ مرتبطا بمتطلّبات "السُّوق التّجاريّة البريديّة"، ومقيّدا بـ"طبيعة هذه السُّوق وخصُوصيّتها والمتّحكمين فيها والمسيّرين الجوهريّين في طرق تسييرها ووسائل خلاص المعاليم وهيكلة السُّوق والتّنظيمات المتوازية لدائرة البريد"، ومحكوما بـ"سياسات التّخطيط والصّرف الإستراتيجيّ البريديّ"، و"سياسات الإصدار والسّحب والأرشفة وإستراتيجيّات التّسويق، وإحداثيّات التّجديد التّراكميّ والنّوعيّ"، ومقروءا "في مُعادلات منظومة التّواصل عبر الخطّ". كلّ هذه العبارات المقتبسة من كلام المؤلّفة تدلّ على أنّ مشروع كتاب "**العلامة الرّقم**" لم يكتف بوصف خصائص الطّابع الرّقميّ، هذا المحمل الجديد، داخل منظومته الرّقميّة، وإنّما درسه في سياقه الواسع داخل "السُّوق التّجاريّة البريديّة"، بمنطق العرض والطّلب، وهو المنطق نفسه الّذي يحترمه "الديزاين" ويراعيه المصمّم. فالتّصميم كما تعرّفه المؤلّفة في النّهاية هو "بُؤرةٌ تتلاقى فيها الرّغبة الاستهلاكيّة بالثّقة الاتّصاليّة".

غير أنّ كتاب **"العلامة والرّقم"**، لا يحملنا على التّفكير في عالم "الدّيزاين" والطّرائق الجديدة في تشييد الواقع وأشيائه الجديدة فحسب، وإنّما هو كتاب يواجهنا بلغة تحاول أن تتخلّص من ميتافيزيقا الحضور لتزجّ بنا في ميتافيزيقا الاصطناعيّ والمتصنّع، أو السميولاكر simulacre، تلك الميتافيزيقا الّتي اجتهد مفكّر كبودريار Baudrillard في وصفها وتفكيكها([1]).

وعموما، فإن كانت ريم الزّيّاني تزجّ بنا، بأسلوب عبارتها، في صلب اختصاص "الديزاين"، وتقصف القارئ بلغة المصمّمين التّقنيّة واصطلاحاتهم، إلاّ أنّها تقدّم لنا في محاولتها هذه، الطّريفة والعميقة في آنٍ، عناصر جيّدة للتّفكير والتّأمّل في هذه الثّقافة الجديدة الّتي غزت عالمنا الرّاهن منذ عقود، وشرعت في تغييره وإعادة تكوينه وتشييده. فهي في كلّ الأحوال تجبرنا على أن نراجع مفاهيم كثيرة مثل "الواقع" و"العالم" و"الأصل" و"النّسخة" و"العلامة" و"التّمثيل" و"المحاكاة"، والشّيء والمادّة... خلناها طويلا لا تحتاج إلى مراجعة. وهي في آخر المطاف تُحاور اختصاصات أخرى كالسّيميائيّات والميديولوجيا ونظريّات التّخييل والعوالم الممكنة وتاريخ الفنّ والجماليات والفلسفة والمنطق، دون نسيان الأدب الّذي بدأت بعض نظرياته وممارساته تتفاعل مع الميديا الرّقميّة تفاعلا خصيبا.

العادل خضر

سوسة، 8 أكتوبر 2015

[1] انظر، Jean Baudrillard, (1981) Simulacres et Simulations, Paris, Éditions Galilée, Débats, p.p16-17.

المقدّمة

جسّد رجل الكهف في سالف العصر الحجريّ تخيّلاتـه وأحلامـه وجولاتـه وصـولاته اليوميّة على جُدران الكُهوف ليلاً، فحوّل بذلك المعيش اليوميّ إلى رُموز و**علامات** مختزلـة تُغلّف جدران كهفه. ويُعتبر هذا التّجسيد نوعًا من المماثلة المتعالية التّي ترتقي إلى حالـة من التّشخيص الفنيّ، فرجل الكهف هو صـائغ **للعلامـات** في فـترة مُبّكـرة يحلـم ويتخيّـل ويرسم ويُمثّل حلمه ويُحوّله لمُمارسة تشكيليّة، ومن هُنا ارتبطت الحاجة الإنسانيّة برغبـة عارمة في تجسيد المتّخيّل وتطوّرت رُؤية الإنسان من حولـه عـلى أنّـه مجمـعٌ مـتلازمٌ مـن الفرضيّات المُحدثة والمُتّجددّة معًا، فالمُحيط من حولنا يُقـدّم احـتمالات تعـايش تتجـاوب طوعًا مع احتيّاجاتنا ورغباتنا الدّفينة.

وبالعودة لهذا العصر الباكر التمسنا في الإنسان الحجـريّ رغبـةً وميـولاً في تجـسيد مُتخيّلاته الواقعيّة، فهو يحتلم بالرّسم ويُماثل **بالعلامة الصُّوريّة** الواقع مـن حولـه، ولـيس غريبًا أن تُنميّ لديه هذه الغريزة الفطريّة حُـبّ التّـشخيص فينتقـل إلى محاولـة تكيّيـف المُحيط بشُحنته وجسامة تركيبته وثرائـه بالجُزئيّـات والتّفاصـيل إلى سـعي دءوب حثيـث لاستخلاص **العلامـات** الرّامـزة واستقـصاء المفـاهيم الإنـسانية المُعاشـة وتحويلهـا إلى رمـز متداول غير أنّه يتّسم بالبساطة والاتّفاق والشراكة بين عُموم النّاس.

لذا حاول الإنسان مع تقـدّم العُـصور أن يُخلّـف أثـرًا لحُـضوره باسـتحداث **علامـة** مُتّفق عليها تُساعده على التّواصل مع الآخر، دافعه في ذلك سببان، يتمثّل السّبب الأوّل في سعيه إلى إنشاء تصوّر صُوريّ للعالم، أمّا الـسّبب الثـاني فـيكمن في محاولتـه إيجـاد منفـذ عمليّ للاتّصال بالآخر، كما تُعدّ رغبة التواصـل لديـه دافعًـا أساسـيًّا لنـشأة **العلامـة** حتّـى تتوّحد رُؤى الجماعة حول تصوّر تطبيقيّ مشترك.

لذا من الجدير تأكيد أنّ **العلامة** هي أوّلاً نتاج الحاجة للتّماثل، وهي ثانيًا أداة تواصل واتّصال تُبلّغ رسالة مادّية أو غير ماديّة بين مُصمّم[1] صانع **للعلامة** ومُتّقبّل يتلقّى هذه الرّسالة المنتجة في شكل تصوّري رامز.

وفي هذا المستوى تعالى تصوّر الإنسان تدريجيًّا وتطوّر تشخيص العالم وانتقلت **العلامة** من هامشيّة المماثلة إلى قواعد التّشكيل الفنيّ، وتحوّلنا إلى "عصر يُمّجد الصّورة مقابل المحتوى، والشكل بدل المضمون، والمظهر عوض المخبر، والمبنى محلّ المعنى، والظاهر مكان الباطن، والسّطح بدل العمق، إلى حدّ أنّنا نستطيع أن نقول أنّ عصرنا بحقّ هو عصر البنية"[2]، وبذلك تدرّج التّمثيل من مباشرة سطحيّة إلى بحث جريء في أساليب التّشكيل وأنماطه، وارتقى فعل التّجسيد من المباشرة البسيطة إلى استقصاء مقاييس الحجم ومُعادلات الفراغ والتّعبئة في الرّسم الواحد، ومن ثمّ إلى مُوازنة الأجزاء واعتدال التّفاصيل المكوّنة للتّركيبة، وبذلك تحوّلت صناعة الصُّورة منذ أوائل القرن العشرين إلى "تمارين سُلطة مُماثلة في الوزن تُماثل سُلطة الواقع"[3]، وبذلك ارتقى الفعل من المماثلة الذّهنيّة المجرّدة إلى توليفة تشكيليّة تعتمد أسُسًا قياسيّةً ومُقاربات خطّيّةً بلغت مستوى فنيًّا راقيًّا.

وجاور التّماثل منطق التّشكيل، وصُبغت الصُّورة بدعامة فكريّة طغت على شكلها وطريقة تركيبها حتّى بلغت المآل الفنيّ الجماليّ، فدُعم إخراجها وبرزت أصول تكيّفها مع موضوع التّجسيد والتّشخيص.

---

1 . كان أوّل من أطلق تسمية مصمّم غرافيكي Graphic Designer هو المصمّم وليام أديسون دويغنز عام 1922 الذي عرّف مصطلح "المصمّم الخطّيّ" بأنّه ذلك الشخص الذي يجمع بين العناصر المختلفة من كلمات وصور وألوان وأشكال في صفحة واحدة بشكل يجذب النّظر.

2 . عبد السّلام بن عالي، ثقافة الأذن وثقافة العين، المغرب، دار توبقال للنشر، 2000.

3. Maya Deren, (1985), *Cinematography*: The creative use of reality In G. Mast and M. Cohen (Eds.), Film Theory and Criticism, Oxford University Press, New York, Page. 51-65.

بيد أن هذا المسار التّشكيليّ الفنيّ انقسم في أواسط القرن التّاسع عشر إلى منهجيّن، أوّلهما صُنع **العلامة الصُّوريّة** بهدف خدمة الفنّ للفنّ، وثانيهما جعل **العلامة** تنقلب إلى رمز اتّصاليّ يخدم التّواصل مع الآخر، فغدت **علامة تشكيليّة** أو لغويّة أو صوتيّة أو غيرها.

وإذا ما تعمّقنا في نظريّة التواصل **بالعلامات**، فإنّنا نجد أنفسنا ندخل عالم التّصميم الخطّيّ[1] بمعنى أنّ تشكيل **العلامة** لم يعد مُقتصرًا على الفنّ إنّما اقتحم عالم الصياغة والتّصميم، وجاور ميدان الخطّ الّذي يُعرف اليوم باسم الغرافيكا أو الجرافيكا.

---

1 . مفرد تصميم مصدر من صمّم، مخطّط العمل يضعه رجل الإدارة أو الحاكم أو رجل الأعمال أو رجل العلم ليسيّر من يعمل معه على هديه، جمع تصاميم وتصميمات، وصمّم تصميمًا، صمّم المهندسُ البناء رسمه، خطّط له" عن المعاني لكلّ رسم ومعنى من الموقع الإلكتروني Almaany.com والتّصميم الخطّيّ اختلفت فيه الترجمات نجده تُرجم باللّغة العربيّة حرفيا غرافيك وعُرف بجرافيكس "وقد تعرّض فنّ الجرافيك لعدّة مسميّات باعتباره فنًّا حديثًا، واختلف في سائر بلدان العالم بين أربعة مسمّيات هي: فنّ الحفر، الفنّ المطبوع، التّصميم المطبوع، فنّ الجرافيك" وتسميّات أخرى تقول "ونستطيع أن نوجز هذا التّعريف بأن نسّمي هذا الفنّ "بفنّ الرّسوم المطبوعة" وفنّ الجرافيك هو طباعة نسخ متماثلة من كليشيه محفور، يقوم الفنّان بأداء كل مراحله من عمل التّصميم وتجهيز السّطوح الطّباعيّة وحفرها وطباعتها" في الكتابات الشّرقية بالخصوص، ويُقابل لغويا مفهوم "التّصميم الجرافيكيّ مشتّق من كلمة "جراف"، وهي تعني "رسم بيانيّ"، أما كلمة "جرافيك فتعني تصويري، مرسوم، مطبوع، والبحث عن معنى لهذه الكلمة بالأجنبية لا يشّكل صعوبة تُذكر فمعظم القواميس الفنّية المتخصصّة تفيد أن أصل هذه الكلمة اللاتينية وهي كلمة جرافوس Graphus وتعني ضمن ما تعني"خطّ مكتوب أو مرسوم أو منسوخ"، فأُستعير اللّفظ في اللّغات الأوروبيّة لكي يُطلق على كل رسم بخط منسوخ ثم أصبح اسماً عالمياً لهذا الفنّ وجاء في اللّغة الفرنسيّة هكذا Gravure، فنّ الجرافيك graphic art في معناه العام هو فنّ قطع أو حفر أو معالجة الألواح الخشبيّة أو المعدنيّة أو أيّ مادّة أخرى بهدف تحقيق أسطح طباعيّة، للحصول على تأثيرات فنيّة تشكيليّة مختلفة عن طريق طباعتها، كما يُشير المصطلح كومبيوتر جرافيك" أو رسوم الحاسوب إلى الصُّور التّي يتّم إنتاجها باستخدام الحاسوب، والتّي تشمل الرّسومات التّوضيحيّة ورسوم الكارتون المتحرّكة، وحتّى الصّور عالية الدقة High Resolutions Photos، كما يستخدم نفس التّعبير للإشارة إلى عمليّة سحب الصّور وتلوينها وتظليلها ومعالجتها من خلال الحاسوب" عن رسوميات من ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة، في حين أنّنا اتّفقنا على تسميته التّصميم الخطّيّ اشتقاقا من كلمة خطّ والمفرد في رأينا ذي أصول اشتقاقيّة عربيّة تعود لمُفرد خطّ يخطّ خطًا وجمعها خطّيات وخطوط، والخطّ هو مجموع نقاط متلاحمة ومتوازية انطلاقا من النّقطة نبلغ الخطّ، فنتوّصل إلى مساحة مسّطحة ذات بُعدين أو لمساحة ثلاثيّة الأبعاد، وتبعا لذلك نحصل على نتيجة تفكيريّة تحليليّة فإنّ النّقطة والخطّ أصل ينتج بالتفرّع والتّجميع عن كلّ الفضاءات المرئيّة على اختلافها سواء كانت لونًا أو إضاءةً أو شكلاً أو كتابةً، لذا ارتأينا من الأجدر أن نتبنّى المرجعيّة الخطّيّة أساسًا لتعريف هذا النّوع من التّصميم وقرناه بمرجعيّة أساسها اللّغويّ هو عربيّ محض لا يلتزم بترجمة حرفيّة خاصّة مع ثراء اللّغة العربيّة وقدرة الاجتهاد على تركيب مفاهيم معاصرة تتوازى مع أصول الاختيار اللّغويّ والعربيّ.

ولسائل أن يسأل عن وظيفة ميدان التّصميم الخطّيّ؟ وهنا بالذات فنحن نجزم بأنّ التّصميم الخطّيّ هو تطابق بين حقليّن، الأوّل هو الفنّ والرّسم والتّصوير والتّشكيل، والثاني هو علم الاتّصال والتّواصل بين فرديّن أو أكثر بهدف تحقيق خدمة إعلاميّة أو تجاريّة أو ثقافيّة أو اجتماعيّة.

ثمّ إنّ التّصميم هو بُؤرةٌ تتلاقى فيها الرّغبة الاستهلاكيّة بالثّقة الاتّصاليّة مع الآخر قصد تحقيق الحاجة، والتّصميم هو أيضا ذلك المُفترق الجامع لحاجيّات المجتمع ولمُحدثات الإخراج الصُّوريّ، فتُكسى الحاجة بإخراج تشكيليّ مُميّز يُوّظف خصيصًا لإحداث فعل تأثير وتأثّر ويُراوح بين موازين العرض والطلب.

ومن طرافة الابتداع أن يدخل الإنسان هذا المزج الفنيّ الاتّصاليّ الجديد في ميدان التّصميم الخطّيّ ليُفاجئ بفعل يُصعّدُ من صميم ذاته واحتياجاته الذاكريّة، إذ يُقال "بأنّ العلاقة بين الطّباعيّ والفنّان هي عامل هامّ في سياق الإنجاز الطّباعيّ إنّها علاقة تعاون فنّي راقٍ"[1]، فيتفرّع العمل وينتهي في آخر المطاف إلى مُستلزماته الاستخداميّة، ثمّ إنّ فعل التّصميم هو ذلك المُنازع المتنازعُ على قوى الإنسانيّات والفنيّات ودوافع الإنسان الاستهلاكيّة، إنّه مجمع مُترامي الأطراف ومُتشابك ينطلق من الدّفع والشّرط إلى التّلقيّ والقبول.

وبالقياس فنحن نجد أنفسنا داخل ميدان التّصميم الخطّيّ نقرأ أُسس التّشكيل الفنيّ وقواعد الاتّصال الاجتماعيّ ودوافع التّسويق وشُروط البيع والشراء، وفي هذا الاختصاص بالذات انتقلت **العلامة** من مُستوى التّمثيل إلى قياس التّماثل المشروط بالآخر، وبلغت حدّ تبليغ **المعلومة** بشرط حُسن استخدام الفرضيّات المُتجدّدة من التّجارة والتّسويق والعوالم الافتراضيّة داخل فضاء مشترك حتّى تستقيم حركتها وميثاق تداولها للمعلومة لأجل تأمينها وتبادلها في نسق اجتماعيّ مُتوازن.

---

1 . Harlad Johnson, (2003), *l'impression numérique, réaliser des tirages de qualité*, Paris, France, Editions EYROLLES, page 339.

هنا يتفادى الإنسان صُنع **علامة** مُهمّشة تُحاكي العالم وتُشخصه فتُماثل وتُجانس وتُقارب أمدًا واقعيًا اتّصاليًا، حتّى تُضحي **العلامة** رَمزًا مُتغيّرًا مُتحرّكًا، وبذلك يكون قد وجد ضالته في اختصاص التّصميم الخطّيّ، حينها فقط تحوّلت هذه **العلامة** من مُجرّد رمز إلى مفرد اتّصاليّ مشروط ومن مُجرّد تمثّل إلى **علامة فاعلة** في الرّوابط الإنسانيّة عامّة.

وفي هذا المجال بالذات يتنزّل كتابنا **العلامة والرّقم**، فالعالم من حولنا هو شُحنةٌ متداخلةٌ متفرّقةٌ من **العلامات** ترد علينا من كلّ حدب وصوب، فنحن نُشخّص **العلامة** ومن ثمّ نُمثلّها ونُجسّدها ونتواصل عبرها، فهي مُثير للفكر والتّفكير تدفعنا للتساؤل، كيف نستّمد من **العلامة** صُورةً عن ذاتنا وكيف نتواصل مع الآخر؟ ومن ثمّ كيف تمدّنا **العلامة** بتصوّر واضح عن إنسانيّتنا؟ لذا يتحوّل موقع الإشكال في عُمق السُّؤال، كيف نقرأ **العلامة** ؟ وأين نحن من وابل **العلامات الخطّيّة** في مُحيطنا؟ وكيف نرتقي **بالعلامة** إلى مستوى فهم قياسات الاتّصال الإنسانيّ وفرائضه؟

يُقدّم كتابنا "**العلامة والرّقم**" مُراوحةً بين طرفيْن، وهما **العلامة** بوصفها الرّمز الرّامز من جهة أولى، **والرّقم** الشّكل المُحدث من جهة ثانية، فالمُعادلة بين **العلامة والرّقم** تأتي من منطق الشراكة التّي وازنت بين **العلامة الخطّيّة** في تمثّلها وتشّكلها **والرّقم** بوصفه لغة الحاسوب التّي أنتجت **العلامة** وحوّلتها من أُصولها اليدويّة التّشكيليّة لتُقحمها داخل بوتقة الآلة، فأخذت شكلها ولونها وحجمها وجعلتها مفردًا فاعلاً في ثالوث الصياغة والتّقنيّة والآليّة.

إنّنا اليوم نُباشر فضاء **الرّقم** بوصفه رحم **العلامة** الجديد، فبعد أن وُئدت **العلامة** في مهدها اليدويّ التّشكيليّ ها هي يُعاد بعثها من جديد في رحم الآلة بتقنيّات تداول مُحدثة وبمنطق عمليّ ناجع ولُوجستيك اتّصال فاعل، فانتقلت **العلامة** من أدوات التّشكيل اليدويّ إلى آليّات التّشكّل الرّقميّ، وتجاوزت **العلامة**

إمكانات **الرّقم** بفضل فرضيّات الآلة، ولعلّ ذلك هو ما حملنا على أن نختار عُنوان هذا الكتاب "**العلامة والرّقم، من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض**".

إنّنا حقًّا نُراوح بين أمدين أوّلهما **العلامة** وليدة المتّخيّل الإنسانيّ وزوج الفنّ التّشكيليّ، وثانيهما **الرّقم** وليد السّاعة وقياس الأداة ولُغة الحاسوب المعاصرة، ولقد اخترنا إطار البحث حتّى نتفهّم كلّ هذه الفرضيّات والإمكانات التّي تُقدّمها الآلة من تقنيّات واستخدامات وبرمجيّات تُؤدي بنا حتمًا إلى منطق **الفرضيّة الآليّة** الذّي يُقدّم بدوره مُواصفات الاستخدام الآليّ ويُؤّمن مَنهجًا سارٍ وفاعل من التّعديل والتّوجيه في طرائق الصّياغة الرّقميّة وآليّاتها.

لذا فنحن نقتحم مساحة **العلامة** ليس في تصوّرها الابتدائيّ التّشكيليّ، وإنّما في تحوّلها إلى فضاء افتراضيّ صانع لشُروط تنفيذ جديدة، ولا ننسى أنّه كذلك مُقوّم لضوابط قياسيّة تتبنّى الصُّورة[1] وتُنّمطها وتُفّعلها بلُغة التّعداد الرّقميّ، وبذلك فنحن نتعايش صميم بُؤرة الفعل الآليّ المعاصر الذّي يبدأ من ترقيم **العلامة** وتجسيدها لا وفق منطق التّشكيل فحسب وإنّما بقياس الأداة الآلة وضوابط عالمها وخُصوصيّته.

---

1 . الصُّورة "هي خيلة وخيالة، نسخ حسّي أو ذهنّي لما أدركه البصر مع أو بدون تركيب جديد للعناصر التّي تؤلف هذه المخيّلة بالتعليم بالخيلة حاسّة البصر وحدها تقدّم صورًا خياليةً" عن *Voltaire, Dictionnaire philosophique*, Vo Imagination, CF, idée "إنّها ذكرى صدى طيف شبح صورة لإحساس قديم قد نجده في أنفسنا بعد إحساس ناشئ من الخارج عفوي مشابه للإحساس بالذات" وهي تمثيل عينّي من إنشاء فعاليّة الفكر إلى تركيبات جديدة من صُورها إن لم يكن من حيث عناصرها فهي تنشأ من الخيال الخلاّق" كما يرى "رنوفييه أنّها نسخ بصرّية خيال بالمعنى الحقيقي، في حين أنّ تلميذه بيون عمّم كلمة خيّلة "على كلّ صنف إحساسيّ يُخلّف في الذاكرة نوعًا فكرّيًا أو خياليًا مناسبًا، سمعت منذ قليل صوتًا، ها أنا أسمع في ذاكرتي صداه أو ما يشبهه"، عن أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، معجم المصطلحات التّقنية والنّقدية، تعريب خليل أحمد خليل، أستاذ في الجامعة اللّبنانية، أشرف عليه أحمد عويدات، بيروت، منشورات عويدات، باريس، الطبعة الثانية، 2001، صفحة 617-618.

وبهذا التّصوّر تتّضح معالم مُقاربتنا، فهي تقوم على صياغة مُعاصرة لرمز علاميّ يتشكّل بمنظور رقميّ. ولكي نُؤمّن شرعيّة طرح موضوع كتابنا فقد اعتمدنا مُدوّنة corpus بحث هي الطابع البريديّ في إخراجه الرّقميّ. وتعود أسباب اختيارنا لهذا المحمل الخطّيّ بالذات هو ما يزخر به من مفاهيم صياغيّة واتّصاليّة وتشكيليّة مُتداخلة ومُتفاعلة معًا.

يُعدّ في البداية **الطابع البريديّ** محملاً خطّيًا حاملاً لدلالات تشكيليّة، فهو أوّلاً حامل لتركيبة مُتكاملة المفردات تتكوّن من اللاّئحات النّصيّة والخُطوط والألوان والأشكال في أُنموذج مُصغرّ هادف. وهو ثانيا محمل خطّيّ ذو أبعاد ثقافيّة حضاريّة يُسجل حدثًا تذكاريًا وطنيًّا وإقليميًّا وعالميًّا، وهو كذلك **طابع** ينتج ضمن سلسلة عاديّة أو تذكاريّة، فيُصوّر الآثار والمعالم والبلدان وغيرها من رُموز الهُوّية التُّونسيّة، فتتبلوّر وُجوهه ومقدّماته وصياغاته في أدوار اتّصاليّة متعدّدة دون أن يبتعد عن دوره الأصليّ ألا وهو الاستخلاص الماليّ.

وهو ثالثا محمل يتعايش منذ أكثر من مائة سنة[1] ونيف مع المحامل الورقيّة المتداولة، لذا فإنّ قدم المحمل لم يمنع من أن تُصيبه تقلّبات الحداثة، فتطوّرت **علامته الخطّيّة** من التّقنيّات القديمة النافرة والغائرة إلى الطباعة الحديثة المسّطحة إلى أن استّقرت اليوم في بوتقة العالم الافتراضيّ، فظهر الطابع الرّقميّ بوصفه أُنموذجًا مُعاصرًا للطّابع البريديّ، وهو ما شجّعنا على اتّخاذه موضوع مُدّونة وجدناها جديرة بالتّحليل والنّقد في ظلّ كُلّ هذه المُحدثات المُعاصرة.

1 . يمتّد تاريخ الطوابع البريديّة التّونسيّة إلى ما يُقارب 127 سنة من الإصدارات الوطنيّة، إذ أنّ أوّل طابع بريديّ تُونسيّ يعود لسنة 1888.

لهذه الأسباب الثلاث تناولنا الطابع البريديّ موضوعًا للبحث والتّقصي لنفهم صيرورته الطباعيّة، أي كيف تحوّلت **العلامة** من شكلها اليدويّ بألوان مائيّة وأقلام جافّة إلى **علامة** مُسحت في البداية مَسحًا ضوئيًّا[1] فاقتحمت بُؤرة شاشة الحاسوب حتّى تُعالج وتُنقح، ثمّ هي في مرحلة أولى تُسجّل اقتحامها **فضاء الرّقم** لا بقصد صياغتها وإنّما بهدف تهيّئتها فقط للإخراج الطّباعيّ، ومن ثمّ تطوّرت **العلامة** في مرحلة ثانية بنظرة المصمّم الجديدة **لعلامة** الطابع البريديّ، إذ بدأ يُحاول صياغتها داخل فرضيّات الآلة، وهذا ما يُعتبر تجسيدًا رقميًّا نسبيًّا **للعلامة**، فالطابع يُصنع رقميًّا ويُنفذ طباعيًّا على الورق، ومن ثمّ فهو يتحوّل من فرضيّة الأداة إلى ماديّة الورقة، أمّا في مرحلة ثالثة مُعاصرة طبعًا فالطابع أصبح يُصنع ويُنمذج ويُحفظ حتّى تستقر أشكال إخراجه رقميًّا ويُحقّق بالتّالي مسارات التّداول الاتّصاليّ داخل بوتقة الشاشة، وهذا في الواقع مآل بحثنا وغايته المنشودة وهو الطابع الرّقميّ.

فلمُتأمّل أن يلحظ في هذا الكتاب مُداولات هذا الطابع البريديّ ومستويات فعله وتفاعله، ذلك المحمل الصّغير المحمّل بالأدوار والمزايا، فيرى أشكال صياغته ومُواصفات حُضوره وأنماط تغيّره، ويكتشف ما يزخر به هذا المحمل بالرّغم من ثبات جنسه الخطّيّ واستقرار دوره ألاستخلاصيّ من تعدّد وتنوّع في تقنيّات صياغته وأشكال إخراجه، وكذلك فهو على الرغم من صغر حجمه فهو يحمل قابليّة للتحوّل من الفكرة إلى الورق المادّيّ ومنه إلى فضاء **الرّقم**.

---

1 . آلة ماسحة Flate bed تقوم على جزئيّات لاقطة يطلق عليها Charge coupled deviceينتظم جهاز تسلسليّ للشّحن على طول البلوّرة الماسحة، وتقوم اسطوانة ضوئيّة بإحداث مسحات حسب عدد نطاق الألوان المختارة من المصمّم، تمرير واحد لمسح تدرّج اللّون الرّماديّ، ثمّ ثلاث مرّات في حالة اختيار نطاق الألوان الضوئيّ الثلاثيّ، كما تصدر الإضاءة عن اسطوانة ويُسّطح المحمل على مرآة المسح، فيتفاعل هذا المسّطح مع مستويات طول الموجة وعُمق اللّون حتّى تترجم فيما بعد إلى معلومات رقميّة.

تتخذ ها هُنا **العلامة** أشواطًا تاريخيّةً فرضتها الصناعة الطباعيّة لتُسّجل قفزات تقنيّة دفع بها التطوّر التّكنولوجيّ إلى الأمام وتحويرات جوهريّة صاغتها برمجيّات مختّصة في التّصميم الخطّيّ ونماذج إخراجيّة متعدّدة قدّمتها الصيرورة الإحداثيّة البريديّة وأشكالاً تسويقيّةً مُتنوّعةً روّجتها مُعاملات سُوق العرض والطلب البريديّ.

وللملاحظ أن يقرأ في مدارات البحث خليطًا مُتجانسًا مُتفاعلاً فهي أوّلا التّشكيلات الخطّيّة وشُروطها، وثانيًا المُستّجدات التّقنيّة ومُحدثاتها، وثالثًا التّقلّبات التّسويقيّة وخُطورتها، فكتاب "**العلامة والرّقم**" هو تلك القراءة في المنطق الصياغيّ الخاصّ بميدان التّصميم الخطّيّ، وهو ذاته المتأمّل في المسار التّقنيّ وإحداثيّاته، وهو نفسه الباحث في تدّاعيّات العرض والطلب البريدّي وتأثيرهما في بناء فكر شموليّ يختّص بتقديم الأُنموذج من ثلاث زوايا هي التّصميم والآليّة والسُّوق البريديّة، خائضًا بذلك مراحل من التّحليل والدّرس والاستخلاص لنتائج تخدم لا محالة مُستقبل **العلامة الطابع**.

ولمُقاربة فكرة الكتاب "**العلامة والرّقم**"، **من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض**، فلقد انقسم إلى أربعة أبواب متدرّجة مترابطة واضحة المعالم تتفرّع وتتواتر وتستقي منطق حُضورها من رابطها المتّصل والمنفصل معًا.

ولقد ساقنا التّفكير في هذا المحمل الزاخر بالتّفاسير والشُّروح إلى إماطة اللّثام على أربعة مستويات تفكير استغرقت أبواب الكتاب الأربعة:

المستوى الأوّل هو **الطابع والعلامة** ولقد صُرف الباب الأوّل في الكشف على العلاقة القائمة بين الطابع البريديّ ومدى تشكّله **علامةً طباعيّةً**[1].

1 . تعرّضنا لهذا الموضوع في مرحلة الماجستير في بحث قمنا به بعنوان "التطوّر التّقنيّ وتأثيره على الطابع البريديّ التّونسيّ" بالمدرسة العليا لعلوم وتكنولوجيات التّصميم سنة 2006 الجمهوريّة التّونسيّة، الدندان، جامعة منّوبة، تحت إشراف الأستاذ. الدكتور حمادي عبيد.

أمّا الباب الثاني فقد اقتحم لُوجستيك سُوق المبادلات البريديّة واعتنى بالطابع والتّبادل، وهنا ابتعدنا عن **الطابع العلامة** لننتقل إلى **الطابع** في علاقته بمنطق المُبادلة التّجاريّة.

أمّا الباب الثالث فزاوج بين **العلامة** وتدّخلها في إستراتيجيّة التّوزيع والصّرف.

وانتهى الباب الرّابع إلى إرساء معالم البحث حول ثُنائيّة **العلامة والرّقم**، فخُضنا عبر هذا الباب مُعادلات فضاء الرّقم وشُروط الاتّصال عبر الخطّ.

ثمّ نحن لا ندري هل أنّ الحاجة الاتّصاليّة البريديّة هي الدافع إلى صياغة الطابع؟ أم هل يُساهم المنظور المرئيّ الإنسانيّ في تحوير مُفردات الطابع؟ وما تأثير الصياغة في بلورة التّقنيّة الآليّة كمًّا وكيفًا؟

وبناء على ذلك، قام منطق هذه الثُنائيّات على المزاوجة بين **الطابع بالعلامة والطابع بالتّبادل والعلامة بالتّسويق** وأخيرا **العلامة بالرّقم**، وكلّ ذلك قد تقدّم لبيان ما شُحن به هذا الأُنموذج الصّغير من ثُنائيات مُوجبة تتداخل لتُنتج وتبتكر، فلا تخليد لقديم ولا ديمومة لمُتداول، وهنا بالذات تكشف فلسفة الكتاب على عديد المُراوحات التّي وفرّت إمكانات تحليل وتأويل في ميادين مشتركة ومتّصلة هي التّصميم والتّسويق والآليّة الحاسوبيّة.

وفي الواقع تُحيط بنا **العلامة** من كلّ فجّ، وتملأ المحيط من حولنا، وتسبح في ملكوت الفضاء قُبالتنا، إنّنا نعيش ونتعايش **العلامة**، ونسعى لفهم تراكيبها ومستجدّياتها، "من حيث تستقي **العلامة** فكرة حقيقة الظّاهرة من الوظيفة المناسبة للواقع، غير أنّها تختفي مع الفنّ باختفاء هدف الاحتمال"[1]، ثمّ إنّ **العلامة** هي سبيلنا إلى تركيز شفرات اتّصال مُشتركة تجمع الإنسان بالآخر في لغة مُوّحدة،

---

1. S. Gablik, (1979), *Progress in Art*, New York, Rizzoli International Publications, page 157.

ثمّ إنّنا نستلهم من العلامات الخطّيّة زادنا لأجل تفكيك الغموض والاستفسار حول الأشكال الاختزاليّة وتفسير تحوّلاتها المتّغيّرة عندما تتطوّر الأداة الآلة.

اليوم ليس ككُلّ يوم نُواجه عصرًا معلوماتيًّا بما تحمل الكلمة من معنى، اليوم أداتنا قُبالتنا شاشة الحاسوب، تترّكب من ثنائيّة أبعاد مسّطحة ذات عمق ممتّد يحملنا إلى أبعد ممّا نتصّور، إنّه يُقحمنا في جنّات عدن من التّفكير والتّصنيع والتّأليف، ويهيم بنا في رياض ثلاثيّة الأبعاد متناهية ليست ملموسة ولكنّها افتراضيّة، وليست ماديّة ولكنّها حقيقيّة، وليست كذلك رمزيّة ولكنّها صانعة للرّمز **العلامة**.

نعم، نحن داخل بؤرة شاشة الحاسوب نصنع تشخيصًا وتمثيلاً، ونحيك رموزًا وعلامات، ونخيط دوافع ونوازع، ونخوض بحارًا ومراسي، وننتهي آخر المطاف إلى تركيبة خطّيّة هي دافعنا الأصليّ للقيام بالتّجربة الاتّصاليّة.

الباب الأوّل

الـطـابع والعلامة

قراءة في مُحدثات صياغة العلامة الصُّوريّة

مقدّمة الباب الأوّل

راجعنا تاريخ التطوّرات العلميّة وتعمّقنا في أسباب نُشوء المتغيّرات لنجزم بأنّ مُنتهى التطوّر يُنتج حتمًا هدمًا للنّظام المألوف، فيتحوّل الإنسان إلى عمليّة استبدال للواقع الحاضر، وذلك عند صناعة مُتغيّر فاعل يُجدّد خلاله رُؤيته ويُلبّي أقصى احتياجاته فيُقيم تغييراً في طُرق إدراكه.

إنّنا نُحاول أن نُميط اللّثام عن غُموض الإفرازات المتجدّدة والمحدثة غير أنّها تتحرّك فينا كلّ يوم وتُبعث داخلنا كلّ ساعة، فهي حقيقة بنات طُموحاتنا وأحلامنا التّي تتزايد كُلّ يوم، وهي في الأصل تتأتّى من رغبتنا في التّجديد فتُبعث من تأثيرات القديم وتتعايش مع التطوّر المحدث، كما أنّها تكتسي غُموض فترة الإنجاز وتستهدف مرامي الغد الوشيك الغامض.

إنّنا نمتلك أسباب التحوّل والتّغيّر من حال إلى حال لكنّنا نجهل نتائج الإحداث التّكنولوجيّ ومستجدّاته، ومهما كانت توّقعاتنا لرُدود فعل المستهلك، فإنّ الواقع يُفاجئنا بمُتلّبسات التطوّر السريع، كما أنّنا نجزم بأنّ مرجعيّة موضوعنا هي نتاج التّطوّر التقنيّ وتأثيره في **العلامة**، فالطابع تحوّل إلى رمز إيحائيّ هادف نُحلّل من خلاله طبيعة الصيرورة التّطوريّة ونجزم بأنّ ثمن كلّ تحوّل يُنتج حتمًا تغييراً جذريًا في طُرق التداول التّواصليّ وآليّاته.

وهُنا بالذات ضبطنا مراحل التطوّر التّقنيّ وإفرازاته التّي عكست محملاً استثنائيًا يخرج عن مجموع التّصاميم التّواصليّة، إذ أنّه ينخرط ضمن منظومة البريد عُنصرًا حركيًا يتدخّل في نظام إداريّ مقنّن، ويتجهّز كذلك بتركيبة تحمل معطيات أساسيّة وعناصر قرائيّة ثابتة، وهنا يتمحور **الطابع** في جهاز إدراكيّ تواصليّ مضبوط المعالم ليُنتج عديد القيم المُضافة.

حقًّا لقد حوّرت الصّياغة التّشكيليّة مادّة التّصميم مفهومًا قرائيًّا شاملاً يُحوّل الذاتيّ فعلاً مشتركًا يتعدّى محدوديّة المجموعة ليبلغ سعة العموم، ومن أجل أن تبلغ الذات الواحدة المجموعة طوّعت **صياغة التّصميم** كلّ مستحدثات التّطوّر التّقنيّ الذّي تميّز بالابتكار طورًا وبالتّجديد طورًا آخر.

كما أدّى هذا الإحداث التّكنولوجي المُعاصر إلى تنظير طابع بريديّ رقميّ يتجاوز مرأى المحمل القرائيّ الورقيّ إلى ظهور ملابسة افتراضيّة إلكترونيّة، ثمّ إنّ هذا الطابع **الرّقم** هو عبارة عن **علامة** فارقة تُسجّل الماضي وتتغيّر وفق تجاوزات الحاضر، وهي كذلك تنتقل وفق مفارقتين أوّلهما قيميّ معرفيّ حضاريّ، وثانيهما صناعيّ ماديّ، لذا فهو فعل مُتعدّد الرّؤى يتطوّر ماديًّا في شكل تصوّره ويتقدّم معنويًّا في مُواصفات استخدامه.

وبذلك سايرت عمليّة الإنجاز حركيّة الإحداث العلميّ والتّجدّد المرئيّ، وخلصنا إلى نتيجة هامّة تُؤكد أنّ الفعل قد تطوّر من **اليدويّة** إلى ملابسات مستجدّة للإنجاز الآليّ ومنها إلى التّحديث الميكانيكيّ الفاعل إلى أن بلغنا مراحل متطوّرة رقميّة عدّلت مشهد التّصميم وتجاوزت ما تعوّدنا رؤيته من تقاليد الإنجاز ألطباعيّ.

لذا تجاوبت جدليّة التّحوّل التّقنيّ مع احتياجات المشهد القرائيّ وحوّرت ضوابطه بما يُوازي الحاجة التّصميميّة المعاصرة، وبذلك تفاعل التّصميم مع التّحويرات التّقنية للرّسالة الخطّيّة وتجاوز أنظمتها بتثبيت صلة متينة بين قواعد الفعل الاتّصاليّ وشُروط الإمكانات الإنجازيّة الرّقميّة.

وما راعنا خلال هذا المبحث إلاّ أن نتعمّق في المراحل التّقنيّة التّقليديّة للطابع في إخراجه الكلاسيكيّ باعتبار أنّ الفعل التّصميميّ تطوّر بشكل سريع في جُلّ المراحل الطباعيّة، وذلك ما شدّنا فعلاً إلى تقصّي هذا المبحث الجدليّ في هذا الباب القائم على تثبيت أركان العلاقة المُحدثة بين **الإنجاز والعلامة**.

هنا يُجاوز الطابع البريديّ طريقة عرضه وطُرق توزيعه وصرفه إلى أن تسنّ مُمارسته الطباعيّة مقاييسها فتُؤثّر طوعًا في أساليب صياغته وطرق عرضه وقراءته وحتّى في أشكال إخراجه، وبذلك يُحدث التّطوّر التّكنولوجيّ في المادّة المقروءة الكثير من التّغيير، فتتحوّل الصياغة الماديّة الملموسة إلى تصميم متحرّك غير مباشر وفق منطق اليكترونيّ يخرج عن ضوابط الطباعة ويتجاوز حدود الورق ذا البعدين، وليس غريبًا أن يقودنا المبحث إلى التشبّث بمُعطياته المتجدّدة، فالفعل التّصميميّ والإخراجيّ للمحمل بقي أمدًا مُتغيّرًا ما فتئ يتصوّر إلى حدّ بلوغ درجة هامّة من التحوّل من محمل طباعيّ ماديّ إلى مثال رقميّ تنظيريّ.

إنّنا نستمدّ مجالات البحث من صيرورة تحوّل هذا المحمل فهو في الأصل مثال ورقيّ مطبوع، وهو ما يُبرّر التزامنا في هذا الباب بتحليل تاريخيّ للمجالات الطباعيّة التّي ساهمت في تطوّر صياغة الطابع البريديّ.

إنّنا نُقدّم في بداية هذا الكتاب **العلامة والرّقم**، ثُنائيّة "**الطابع والعلامة**" حتّى نستطيع التجوّل في "قراءة مُحدثات صياغة **العلامة الصُّوريّة**"، إذ نحن ننكّب على قراءة مُرادفات **العلامة الصُّورة** وتركيبها وصُنعها ونمذجتها ضمن مُدوّنة الكتاب الطابع البريديّ، فنتجلّى مُحدثات التّقنيّة ومُتغيّراتها ونتوّغل في سبر أغوارها حتّى نفهم صيرورة هذه الباكورة الصُّوريّة **للعلامة الرّقم** في مراحل لاحقة.

ينقسم هذا الباب إلى محوريّن اثنيّن، فنحن نُقدّم المحور الأوّل تحت عنوان "إحداثيّات الصياغة الطباعيّة وتأثيرها في انطباع **العلامة الخطّيّة**"، ويتفرّع هذا المحور إلى أربعة فُصول تُقدّم الأولى ضابط المعياريّة والقياس في بنائيّة الطابع الكلاسيكيّ، وتعرض الثانية ضابط الجماليّة اللّونيّة والارتسام الفنيّ في تشكيلة الحرف الغائر، أمّا الثالثة فتتناول مستجدّات التّقنيّة وإحداثيّات الانطباع ألحبريّ

من مستجدّات الإنجاز إلى مفردات الحبكة والدّقة والخطيطة وقياس النّسبيّة والتّرشيح اللّونيّ وتقنيّات المعالجة والتّصحيح، وننتهي رابعًا إلى استعراض إحداثيّات الأسلوب ألطباعيّ من ازدواجيّة التّعداد إلى أن نلج مفاهيم الازدواجيّة الرّقميّة فنتطلّع إلى كثافة اللّون وعُمقه، ونفتح قوسًا حول ضوابط التّرجيحات اللّونيّة والمُوازنات الضوئيّة وقيم الاستبدال اللّونيّ.

أمّا المحور الثاني فيتناول "إحداثيّات الصّياغة الطباعيّة وتأثيرها في انطباع **الرّقم**" ويأخذ على عاتقه ثلاث فصول أساسيّة هي مُعادلات الإحداثيّات الاتّجاهيّة للرّسم الرّقميّ وقراءة تراكيب اللأئحات الخطّيّة وأخيرا تأثير المحدث في تطوّر المبدأ الطّباعيّ المسّطح.

I. إحداثيّات الصّياغة الطباعيّة وتأثيرها في انطباع العلامة الخطّيّة:

يظهر الطابع منذ نشأته وفق ما تُمليه عليه مستوجبات الرّسالة التّواصليّة ليُحقّق ترابطًا جدليًا بين ماهية الصّياغة التّشكيليّة وبادرة التّطور الصّناعيّ، فيتشكّل **علامةً** حركيّةً تُصوّر المادّة الفكريّة في تشكيلات فنّية متعدّدة، وبذلك تُقيم الحركة مبدأ الاتّصال العالميّ الذّي يسري مفعوله في نطاق شرعيّ وقانونيّ وماليّ وفق نُظم التّفاعليّة الموجبة.

هنا بالذات يعكس هذا المنتج المقنّن هوُّية الانتماء بما أنّه مُصادق عليه من فرد يُنّظمه ويضبط مساره ضمن إطار المجموعة، ثمّ إنّه يتعدّى مرحلة الفرد المنعزل إلى العُموم فيخرج من بوتقة الزمان والإطار المكانيّ إلى أن يبلغ متقبلّه على اختلاف انتمائه ومكانه وزمانه، وهو بذلك ينتقل من موقع أوّل وطنيّ إلى ثانٍ عالميّ، فيتعدّى حدّ الانتماء والهُوّية إلى أن يبلغ شُموليّة العُموم وينتهي في الأخير إلى بلوغ الآخر حتّى يصله ويتواصل معه، ولعلّ ما يُميّز هذا الحُضور المزدوج على المستوى الاجتماعيّ هو الجمع بين ركيزتيّن فاعلتيّن تتّفقان أوّلاً في درجة إخراج الصّياغة الشكليّة لمادّة الموضوع، ومن ثمّ تتناسقان

ثانيًا عبر التّقنيّة الطّباعيّة قصد سنّ التّطبيقات والبرمجيّات التّي تجمع عددًا تفاضليًّا من الإحداثيّات الرّقميّة وفي الأخير تتمثّل الصُّورة النّهائيّة في شكل رُؤيةً قرائيّةً مُعاصرةً.

وفي هذا المستوى التّحليليّ نتساءل هل ترقى صناعة الطباعة بالتّصميم ؟ أم هل أنّها تفرض ضابطا على آليّات الصّياغة وتشكيلاتها ؟ وهل يُغيّر التّصميم ضمنيًّا وعرضيًّا في مُوجبات التّقنيّة ؟ وهل يُساهم في تجديد التّقنيّة وتطوير قيم التّصميم ؟

وحين نبلغ مآلا جديرًا بالدّرس والتّمحيص من الإجابة يجب أن نُقيم سردًا تأليفيًّا لمختلف المراحل التّقنيّة المتناوبة التّي أثّرت في التّصوّر التّشكيليّ للطابع البريديّ، وإذا ما تعمّقنا في الفكرة فيجب أن نُحلّل المتغيّرات التّقنيّة التّي ساهمت بصفة مباشرة أو ضمنيّة في تحوير المعطى التّصميميّ وتطويره، وهذا ما سيُؤثّر إيجابًا في قيمة هذا الفعل ألإنجازيّ الصّناعيّ وفي المراحل المتقدّمة للتّوزيع والصرف بقصد تحقيق متغيّرات تشمل المبادلات البريديّة والتّوزيع الشرائيّ للطابع البريديّ الذّي تأثّر بدوره بمجموع التّحويرات التّكنولوجيّة التّي أدّت في النهاية إلى قيام طابع بريديّ رقميّ.

1. ضابط المعياريّة والقياس في بنائيّة الطابع الكلاسيكيّ:

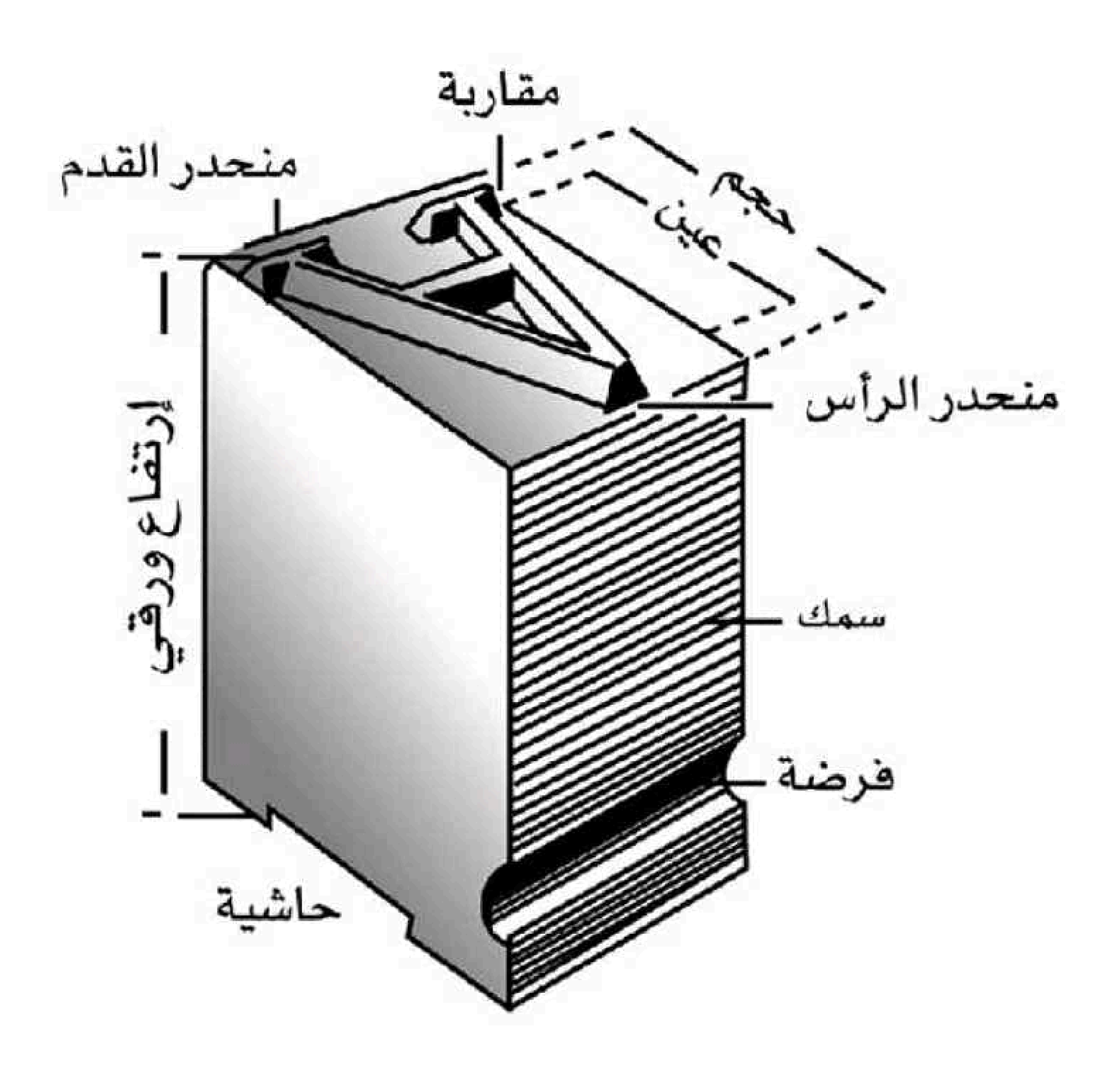
اعتمد الإخراج ألطباعيّ تقنيّة نافرة، وهي مساحة ناتئة مُحبّرة يعود منشأ لفظها إلى الكلمة اليونانيّة **typo** بمعنى **أثر** وبذلك يعني المفرد اللّغوي "**أثر الكتابة**" typography وهي تختصّ بعرض مُستويات متدرّجة في التّنضيد على صفيحة الطباعة، ثمّ إنّها "طريقة الطبع بحُروف منضدّة وكُلّ ما يتعلّق بها من أعمال التّركيب والتّصحيح ألطباعيّ"[1]، كما أنّها تقوم بتخصيص مساحات طباعيّة تغلب عليها مادّة الحبر وتُغطيّها، وهنا يقع توزيع مستويات الارتفاع في التّشكيلة الخطّيّة بتوازن معتدل يُفرّق بين المساحات الممتلئة والفارغة، كما

1 . سهيل إدريس، قاموس المنهل، فرنسيّ عربيّ، الطبعة الحادية والثلاثون، بيروت، لبنان، طباعة دار الآداب للنشر والتّوزيع، 2003، صفحة 1242.

يُضفي هذا التّفاوت في درجات الصُّعود والانخفاض جماليّـة للمـشهد المـرئيّ، ويُـساهم في تحليل العُمق اللّونيّ وتحقيق التباين في حركة التـدرّج الـضوئيّ لتـصنيف أحجـام وأشـكال ومساحات توزيع الحبر بما يُساعد على تشكيل قراءة متكاملة للطابع البريديّ.

بادرت هذه التّقنيّة النافرة بطباعة عدد من المطبوعات منذ أواخر القـرن الحـادي عشر وعملت على تحديد معايير رسم الحرف وضبط مقاييسه كما ساعدت عـلى تـصنيف الطبائع الخطيّة، وبذلك قام الحرف هيكلاً متماسكًا يتجزّأ لمساحات فارغة وأخـرى معبّـأة ترتسم وفق قواعد خطيّة قرائيّة مُوّحدة.

قالب الحرف النّافر[1]

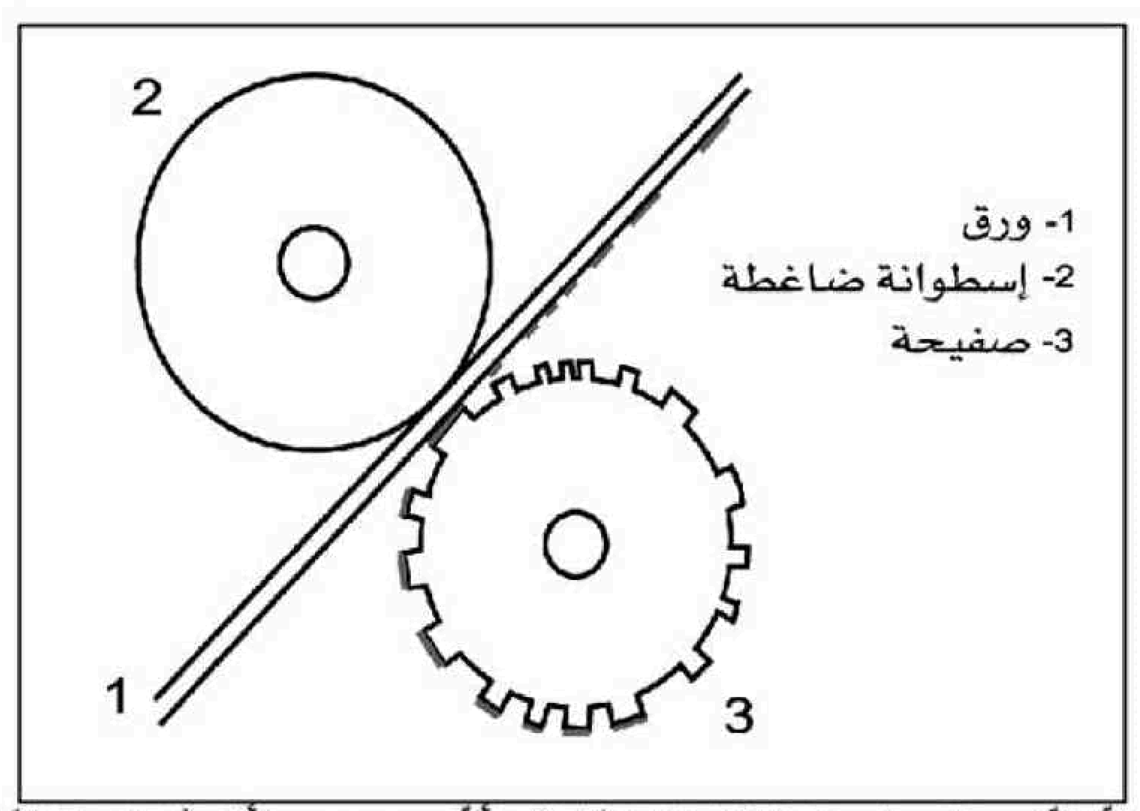


1 . الصادق النيهوم، موسوعة علميّة مُصوّرة، كتـاب الأداة والآلـة، المجموعـة الأولى، المجلّـد رقـم 5، طـرابلس، ليبيا، الشركة العامّة للنشر والتّوزيع والإعلان، طُبع بسويسرا، 1981، صفحة 249.

لقد أثّرت فعليًا هذه التّقنيّة في تطوير الثقافة المرئيّة للخطـوط، وقـسّمتها بالتّـالي إلى ثلاثة أنواع من الرُسوم القرائيّة؛ وهي تتوزّع كالآتي: لائحة ذات قاعدة List linear base ولائحة غير حاملة لقاعدة List written without base تعتمد بدورها أهمّ البنـود الفاصـلة للحرف، وأخيرا الحُـروف السّلـسة وهـي اللأئحـات المرسـومة بخـطّ اليـد List written by hand، ونحن نجدها كلّها مجتمعةً في تركيبة الطابع البريديّ منذ بداية ظهوره وذلـك عـبر رسم معايير خطّيّة تركيبيّة وحدّت لُغة الخطّ، فقُنّن الحرف ووُضعت سُنن تركيبتـه إلى أن أصبح بناءً متكاملاً يتكوّن من فراغات ومـساحات تتـوازن قياسـيًّا ونظريًّـا، وهـذا مـا أثّـر حقيقة في تشكيل الهُوّية الخطّيّة للحـرف داخـل إطـاره المـرئيّ والقـرائيّ ومهّـد بالتّـالي إلى تأسيس فصل حسابيّ هندسيّ في أسس بنيانه ما سـاهم حقّـا في تحـوير الأنظمـة القياسـيّة والاتّصاليّة بصفة عمليّة تجريبيّة تخدم الخـطّ العـربيّ واللاّتينـيّ عـلى حـدّ الـسّواء داخـل فضاء **الرّقم**.

لقد امتدّت فترة الفعل ألطباعيّ النّافر لمدّة تتجاوز الخمس قرون ممّا عـدّد ونـوّع في اللّوائح الخطيّة عبر الحرفيّين، ولقد أثرى هذا الاختيار ألطباعيّ الجانب النصّيّ والصُّوري للطابع البريديّ التُّونسيّ على حدّ السّواء ومن ثمّ تزامن بدوره مع مرحلـة نـضوج التّقنيّـة الطباعيّة، كما ساعد على اكتشاف وإرساء تقنيّة الرّوسم Cliche وهـي عبـارة عـن أُنمـوذج نمطيstereotype يُصنع من الجبس ويُصاغ في شكل نمـوذج معـدنيّ نمطـيّ، ومـن ثـمّ فهـو يتشكّل في إخراج طباعيّ حامل لمساحات بـارزة وناتئـة تـسري داخلهـا مـادّة الحـبر التّـي تتحوّل طوعًا إلى انطباع يُشبع الورقة عند حُدوث أيّ مطابقة بين الرّوسم والمحمـل، ولقـد قادت كلّ هذه المحدثات الحرفيّين إلى تطوير الفعل الميكانيكيّ وبلورة كلّ وحدات القياس الحرفيّ حتّى تُصبح قابلة للتجاوب مع تعدّد الإفرازات الشكليّة لمجموع اللأئحات الخطّيّـة ولضبط الوحدات المعياريّة عبر آلات تعمل على قولبة السُّطور وتحديـد مقـالات الـشُّغور والتّعبئة عُمومًا.

نموذج الطباعة النافرة[1]



إنّ الدّارس لمجمل هذه المفاعلات التّقنيّة يتأكّد من وجود تأثير مُباشر في التّركيبة النّصيّة والشكليّة للطابع، وذلك عند تأمّل صياغة الطابع البريديّ التّونسيّ، ولقد التزمنا بأمثلة من هذه المحامل في تلك الفترة نذكر منها السّفينة القرطاجنيّة[2] التّي يظهر النصّ فيها بحُضور مُوجب وفق حركة متعاكسة بين الأرضيّة والحرف، فيتكيّف الحرف تدريجيًّا مع مُستلزمات الفضاء القرائيّ ويُناصف بين المساحات بالتّعبئة والفراغ، وبذلك تتفرّق القيمة الضوئيّة في حركة خطوط متباعدة ومتقاربة قادرة على تحويل هذا النّحت الادخاريّ إلى إيجابيّة واضحة في مشهد الرّسم وأدّق ملامحه.

1. ميشال برقس، غرامي الطوابع البريديّة، بريطانيا العظمى، نشر دار القراءة العالميّة للكتب، طباعة بكسترمان، أكتوبر 1993، صفحة 49.

2. السّفينة القرطاجنيّة، رسم ديمولن لي Dumoulin L، نحت بيبلات Puyplat، القيمة 1 فرنك، 2 فرنك، 3 فرنك، الحجم 5،34 على 5،20 مم، تاريخ الإصدار 1925، تقنيّة طباعة نافرة.

السفينة القرطاجنيّة[1]



تجتمع كلّ هذه المفاعلات لتعكس تنسيقًا صياغيًّا تتداخل داخله عناصر النصّ ومُلابساته، وقد ينطبق اللّون عبر درجات كثافته ويتجسّد إمّا بالمسح أو التّنقيط في جُلّ المفارقات الضوئيّة ليُوازي بين درجة الامتلاء والفراغ المساحيّ، وبذلك تتدخّل هذه التّقنيّة لترسم جُزئيّات التّركيبة الخطّيّة، فيعمل ألطباعيّ على تقنين شكلها وضبط علامات تركيبها ممّا يجعل قرائيّة الطابع أمرًا مشاعًا ومتّفقًا عليه يُساعد على إرساء قواعد البناء الخطيّ وضبط نُظمه.

وهنا تشمل كلّ هذه الأشكال القرائيّة عددًا من علامات الاستخلاص الضريبيّ ورُموز المعاملات البريديّة وحتّى عناصر الزمن والانتماء والتّسعيرة، ليتأمّل المتمعّن في الطابع توارد التّراكيب الخطّيّة وحركتها ويلحظ في رُسوم الكتابة تدخّل الخطّ بصفة سطحيّة، ومن ثمّ يتبيّن الناظر توازنه واعتداله وعمقه في مرحلة متطوّرة من حُسن ارتسام الحرف وبنائه، لذا نجد من بين عناصر الطابع ما يجعله عُنصرًا متكاملاً يتدخّل في تفاصيل الرّسم المنحوت وبذلك يُعدّ هذا الإخراج الخطّيّ عَملاً مُتطوّرًا يخدم بالأساس طبيعة القالب وخُصوصيّته حتّى يبلغ حدّ تأسيس عَمل تركيبيّ حرفيّ متكامل.

---

1 . الطوابع البريديّة التّونسيّة من سنة 1888 إلى سنة 1999، إصدار البريد التّونسيّ، تونس العاصمة، مركز الطوابع البريديّة، تصميم وطباعة بيكتيرا، 2000، صفحة 27.

حقيقة يُقرّ المتأمّل في إيجابيّات هذه الطباعة الحرفيّة بقيمة النجاح التّقنيّ للنّحت الادخاريّ التّدريجيّ، وهي طريقة في الرّسم تُعنى بالخصوص بحُسن تدرّج اللّون الواحد monochrome من الفاتح إلى الداكن، كما أنّها تستلهم حُضورها من اللّون الأبيض وهي مرحلة الغياب الكُليّ للمادّة اللّونيّة إلى مرحلة انطباع اللّون ايجابيًا عند ارتسام الكمدة العالية للحُضور ألحبريّ، ولو أنّه قد يُنتج نُقصًا في وضوح الجزئيّات وتآكلاً في حُدود الرّسم إلاّ أنّه يُقارب بين فوارق اللّون الضوئيّة ونسبه ويُنتج صُعوبةً في المفاضلة والتّمييز بين جُملة العناصر الخطّيّة.

ولقد أثّرت سلبًا في وُضوح دلالات الطابع البريديّ ما أدّى إلى تدارك الأمر والبحث في كيفيّة استعمال الصفائح الكهربائيّة the electrolysis plates وهي تتكوّن بدورها من مادّة نحاسيّة يتخلّلها رسم الحرف المنصهر بالشّمع الذائب، فتجاوزت بذلك ضبابيّة الجُزئيّات إلى رسم عناصر التّركيبة بوُضوح، غير أنّ الحرفيّ ما فتئ يبحث عن بديل تقنيّ حتّى توصّل في أوائل الخمسينات إلى اعتماد الحفر الفوتوغرافيّ الذّي حقّق من خلاله تجاوزًا في مراحل تطبيق الطباعة النّافرة فاختفت الصفيحة وحلّ محلّها التّصوير الفوتوغرافي التّركيبيّ Photography compositional وهو عبارة عن مثال سالب تجميعيّ لمُجمل عناصر التّركيبة الخطّيّة.

وبذلك حافظت التّقنيّة على صياغة الرّسم بشكل نافر ومعكوس غير أنّه طوّر آليًا بالحفر الضوئيّ الفوتوغرافيّ المادّة التّصميميّة من حيث مُلابسة الجزئيّات وارتسامها، إلاّ أنّه في الوقت ذاته بقي عاجزًا على مُقاربة التّعدّد اللّونيّ، وللملاحظ أن يُسّجل أنّ تحقيق كلّ تجاوز تقنيّ يُنتج بالمقابل إضافةً مُوجبةً تُنقح وتُجدّد في طبيعة المادّة غير أنّها تُولّد تساؤلات متعدّدة يعمد المصمّم إلى البحث في تحقيقها ؟ كما يعمل في الآن ذاته الحرفيّ ألطباعيّ على توفير رُدود فعل تطبيقيّة شافية لمعالجة نقائص تنفيذ هذه الصياغة التّشكيليّة، وهكذا

دواليك فإنّ دقّة الرّسم وقع تجاوزها في حين أنّ التّشكيلة التّصميميّة فرضت فوارق ضوئيّة ولونيّة تُجدّد في مُلابسات المشهد القرائيّ !

ولمتمعّن أن يتثبّت في أنّ المزاوجة اللّونيّة للمساحة الطباعيّة الواحدة لم يعد قيد القدرة الصناعيّة في تلك الفترة، وبالتّالي فإنّ الحرفيّ قد عمل على إثراء التّشكيليّة باعتماد تقنيّة المجاورة اللّونيّة، وهي تقنيّة تعتمد عددًا من الدرجات الضوئيّة للون واحد، غير أنّ الفصل المساحي كان بيّنًا فهي تتجاور ولا تتطابق داخل عناصر التّركيبة، وبذلك تقوم الصياغة على مقاربة لونيّة عمادها التقارب التفاضلي، فتفصل بذلك بين مساحات تعبئتها ببياض يُؤمّن انطباع اللّون دون إحداث أيّ تداخل أو تطابق مع مثيله، وتلك هي أقصى إمكانيّات تقنيّة المطابقة اللّونيّة آنذاك، فالصفيحتيّن المقلوبتيّن تُقرّان بأنّ كلّ مساحة لونيّة تُطبع على حدّة منفصلة عن مُجاورتها.

زيادة على أنّ طبيعة الحُضور اللّونيّ تتّسم بالإشباع وهي نتيجة مرئيّة منطقيّة يعكسها قُصور الصناعة، ثمّ إنّ اللّون في تلك الفترة لم يخضع بعد للدّمج الكيميائيّ، كما لا تزال المزواجات الحبريّة حتّى أواخر القرن الثامن عشر تُستخرج من الموّاد الصّابغة الطبيعيّة، إلاّ أنّ هذه المرحلة بالذات قد عجزت حقيقة على أداء المزواجة ألحبريه باعتبار أنّ الحبر مادّة سائلة طيّعة لا تخضع للتّطبيق الانطباعيّ أمّا في المراحل اللاّحقة فسيتمكّن ألطباعيّ من توليد ألوان ثانويّة عبر المُطابقة الفعليّة للصفائح الطباعيّة.

أنتج هذا التطوّر التّقنيّ للحفر الفوتوغرافي تقنية التّأليف بالطرح subtractive synthesis ما يعني فصل الألوان عن بعضها، ولقد توّصلت تقنيّة الحفر الضوئيّ Optical drilling technology إلى تحقيق مساحات من الفوارق المتباينة في درجة الألوان، وذلك بتغطية مساحات الورقة بالإضاءة والعتمة كما تُحقّق هذه الطريقة تصويرًا كيميائيًّا ناتئًا.

ووفقا لهذا الاختيار التّقنيّ فرضت المعطيات التّصميميّة مُفارقةً بين الرّسم الخطّيّ ذا اللّون الواحد والرّسم المتدرّج من مجموعة ألوان متقاربة، وبذلك تكون التّقنيّة قد حاولت الموازنة بين المفارقات الضوئيّة المتباينة والمتقاربة في الآن ذاته، ولعلّ ما يشدّ اهتمامنا حقًّا في هذا التّحليل هو استنتاج أنّ الحرفيّ قد حاول مُسايرة فرضيّات الحاجة التّشكيليّة غير أنّ درجة التّجاوب الآليّ بقيت نسبيّة ما منع الارتقاء بشكل واضح ومرحليّ نحو جودة الإنتاج الفنيّ، وبذلك عجزت الفرضيّة الصناعيّة حينها على تخطّي الإشكال التّطبيقيّ دون أن تُحاذي كُلّ إمكانيات المراحل اليدويّة للإنجاز الفنيّ.

وخلافا للمزواجة اللّونيّة في المرحلة الضوئيّة، فإنّنا نكتشف بالتّحليل والدّرس ما يُسّمى بالمقاربة بين **الرّسم الخطّي** ذي الدرجة الضوئيّة المكتملة في مساحة تحمل حبكة موجبة من جهة، **والحركة الخطيّة** ذات المفارقات الضوئيّة السّالبة من جهة ثانية، ونجد أنّ هاذين المثالين يجتمعان في التّصميم الواحد إذ يشترط المصمّم عادة حُضور التّشكيلتيْن معًا، فيُحقّق بذلك الإخراج المرئيّ غُموّضا في جزئيّات التّشكيلة المرئيّة التّي تنشطر بدورها إلى مساحتيْن واحدة معبّأة موجبة والثانية متدرّجة سالبة، وهنا تُساهم ثنائيّة عناصر الطابع في استرداد الألوان color refunds وتحقيق اختلافات لونيّة عبر المُطابقة الطباعيّة المتعارضة، لنتخلّص في الأخير إلى مرحلة متقدّمة جدًّا تعمل على تطوير الاندماج اللّونيّ عبر التّطابق ألحبريّ السّالب والموجب .

صاغت هذه التّقنيّة الطباعيّة النّافرة شكل محملنا القرائيّ وميّزت حضوره باعتباره **رمز** استخلاص ضريبيّ يُهيئ الوثيقة الماليّة المقنّنة ويضبط مقاييسها وفق ثوابت أمنيّة، غير أنّ العمل الحرفيّ قد شكّل مرئيًّا وباعتماد الطريقة النحتيّة تجديدًا قرائيًّا وصاغ الحبكة الخطيّة في مجموعة خُطوط أو نقاط تُترجم توزيع الفوارق الضوئيّة ودرجات الظلال، ويُعدّ هذا الإخراج ألطباعيّ إضافة

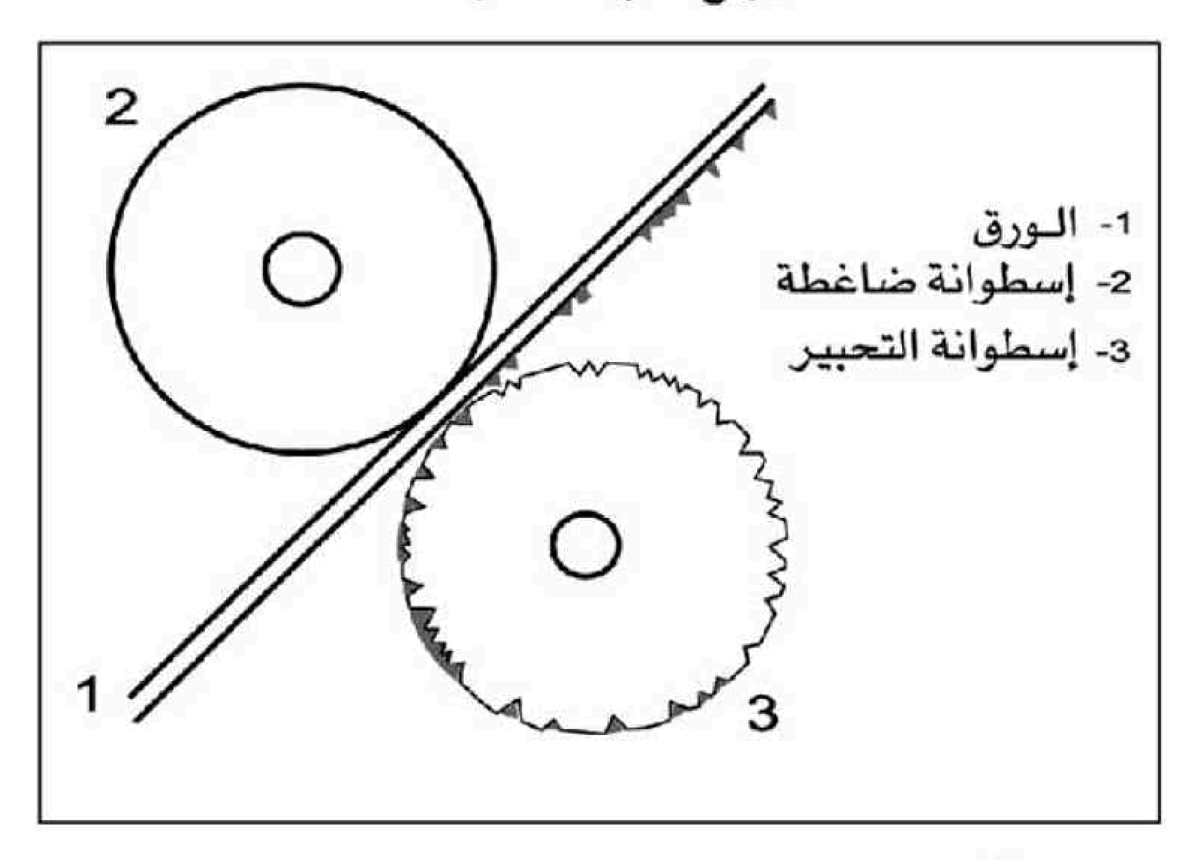
متميّزة في مستوى أمنية المحمل حتّى أنّه قد ساهم في الحدّ من إمكانيّة استنساخ هذا الأنموذج، وبذلك وبالرّغم من عجز التّقنيّة على خلق مزدوجات لونيّة وضُعف التّراكيب الخطّيّة إلاّ أنّ التّقنيّة قد مكّنت من صيانة المحمل بعيدًا عن خطر الاستنساخ ألطباعيّ وذلك بتعسير الانطباع ألحبريّ عبر الحبكة المنّقطة أو الخطّيّة التّي تُعطي جماليّة خاصّة للمشهد القرائيّ وتحول دون إعادة ابتكار الأنموذج.

وبذلك سجّلت الطباعة النّافرة حُضورها في صياغة الطابع البريديّ التّونسيّ ما يُناهز الأربعين سنة، ولقد تزامن نُضج هذه التّقنيّة مع جلّ مراحل تحوّلها من المرحلة اليدويّة للنّقش الحرفيّ إلى شتّى مختلف أشكال الصياغة اليدويّة إلى أن بلغت مراحل الصّهر الفوتوغرافيّ الميكانيكيّ.

2. ضابط الجماليّة اللّونيّة والارتسام الفنيّ في تشكيلة الحرف الغائر:

لم يستطع التطوّر التكنولوجيّ الحدّ من متطلّبات الحاجة التّصميميّة، فرغم أنّ تقنيّة الطباعة النّافرة قد أنجزت خطوات مرئيّة هامّة في المستوى الشكليّ واللّونيّ للمادّة التّصميميّة إلاّ أنّ الحاجة الاستخداميّة قد فرضت وسائل تقنيّة متجدّدة ما فتئت هي بدورها تعمل على تطوير الإخراج المرئيّ خاصّة وأنّ مجموع أدوات التّحوير الشكليّ لم تشمل فقط الطريقة الطباعيّة إنّما تجاوزتها إلى عدد من المراحل التّحضيريّة التّي سجّلت بدورها عبر الحفر الضوئيّ والتّصوير الفوتوغرافيّ خطوات هامّة جدّا، غير أنّه وفي هذه المرحلة بالذات وردًّا على إستراتيجيّة الإجابة the response strategy في تكيّيف مفاعلات الصناعة الطباعيّة انقلبت جميع الموازين التّقنيّة رأسًا على عقب، فالسّطح المحبّر للحُروف تحوّل إلى ثغرة غائرة مقاربة بالمناطق المجاورة للرّسم ما ترجم قياس عُمقها وأبرز درجة كثافة اللّون ومدى حُضوره الضوئيّ.

نموذج الطباعة الغائرة[1]



هنا بالذات أدرك المصمّم احتياجات متلقيّه وسارعت هـذه التّقنيّـة الغـائرة إلى إبـراز متغيّرات واضحة في اللّون قصد شدّ انتبـاه المتلقـيّ، فـصاغت عـبر نـسيج النُخـروب alveolus حبكةً ترتسم بالتّدافع طورًا وبالتّباعد طورًا آخـر حتّـى تُحـدث اختلاجـات في بنائيّـة الـصُّورة وتُحسّن رسم تقاسيمها، وبذلك انطلقـت هـذه التّقنيّـة في صـياغة منطقـة جديـدة للتفاعـل ألحبريّ تتطـابق بـين الـصفيحة الحاملـة للتّجـاويف والورقـة المـضغوطة، وبالنتيجـة تنوّعـت أشكال النّحت اليدويّ واختلف المشهد المرئيّ، لذا يقول المنصف بن سالم في مقالته "المداخلـة الفنيّة" بـأنّ "الخطـوط تميـل لأن تغـرق في الورقـة والأثـر في غالبـه مـرئيّ في ظهـر الطـابع"[2]،

1. ميـشال بـرقس، غرامـي الطوابـع البريديّـة، بريطانيـا العظمـى، نـشر دار القـراءة العالميّـة للكتـب، طباعـة بكسترمان، أكتوبر 1993، صفحة 49.

2. المنصف بن سالم، مقال المداخلة الفنيّة، تونس، مجلة لابـاراس La press magazine، رقـم 470، الموافـق ل 13 أكتوبر 1996، صفحة 43.

وهنا يتلخّص فعل النحت الحادّ في تنحية المعدن بإثارة نُتوء خفيف ما حقّق عُمقًا غارقًا يُسّجل مستويات الدقّة النّقطيّة في حركة دقيقة لانطباع الجزئيّات كما تُبرز عُمق الفوارق الضوئيّة، ولقد عملت كذلك طريقة النّحت بماء الفضّة على تعريّة القشرة المغلّفة فوق صفيحة المعدن حتّى تُوّفر قدرة واسعة في تنويع الخُطوط العريضة والسّلسة.

وحينها أضاف الحفر المائيّ طبيعة مائيّة للرّسم المُحدث، وسجلّت غالب هذه التّقنيات الحفريّة قراءة متفاوتة في نسب القيم الضوئيّة كما ساعدت على تصنيف جُلّ القياسات البنائيّة للنقطة الحبريّة التّي نجدها تتبلور حسب عُمق الثغرة المنحوتة وهذا ما أدّى إلى إقامة نوع من التدرّج الإضائي الذّي يُترجم عتمة اللّون وشفافيّته، ولقد أضاف هذا الأخير ظلالاً متفاوتةً تُبرز مُفارقات ضوئيّة متعدّدة تُعين على قراءة تدرّج اللّون المرتسم وتُفسّر مستويات الاختلاف في الصُّورة.

هنا تُعدّ هذه المرحلة النحتيّة اليدويّة مرحلة تحضيريّة تُساعد على وُلوج تقنيّة صناعيّة جديدة، ولعلّ هذا التطوّر المتباعد الأطراف يُذّكرنا تاريخيًّا بنفس الفترة التّي عاشها الطابع البريديّ حتّى اليوم، فالتّحوّل التّقنيّ قد شارف في نهاية هذه المرحلة على تحقيق انتقال جذريّ ومرحليّ من اليدويّ إلى الصناعيّ حتّى أنّنا أصبحنا نشهد قطعًا نهائيًّا مع المرحلة الصناعيّة لنستفتح بذلك مرحلة رقميّة جديدة.

وفي كلا التحوّلين الصناعيّ والرّقميّ تقطع التّقنيّة المستهدفة مع نظيرتها السّابقة وبالرّغم من صُعوبة تسييّر أدوات مُمارسة هذا الإحداث الجديد فإنّ الفرضيّة التّقنيّة القديمة يصعب دائما تجاوزها، كما أنّها تُساهم منطقيًا في تطوير مُستجدّات الحاجة التّصميميّة وتغيّير مفاهيم الإدراك المرئيّ ما يُنتج استبدال التّقنيّة المعتمدة حتّى وإن اضطرّ الأمر إلى إقامة تحوير جذريّ.

ثمّ إنّ الإنسان يتطوّر بطبعه كما وصفه ابـن خلـدون "الإنـسان حـضريّ بطبعـه" يتفاعل ويفعل في محـيط هـو يلتـزم بمُحدثاتـه ويـسعى إلى إحـداث التّوافـق طوعًـا مـع متغيّراته حتّى وإن سبق تطوّعه إحساس بالرّفض للتّجديد فإنّه يلتزم لاحقًا بفهم الأسـباب والمسبّبات، ومع تحليله للنتائج فإنّـه يُـدرك أقـصى أهدافـه ويـسعى إلى تطويـع نفـسيّته وحُضوره بحسب الإطار المتجدّد دائمًا.

وإذا ما درسنا مرحلة ما بعد الصياغة التّقليديّة فـإنّ النّحـت الحـادّ يتجـاوب مـع مراحل التّصنيع الإليكترو ميكانيكي، ثمّ إنّنا نُلبّي أولى النتائج المبتغاة وذلك بالمُحافظة على جودة المنتج ألطباعيّ خاصّة عند ارتفاع كميّات الـسّحب، لـذا تُعـدّ المراهنـة عـلى جـودة النّوعيّـة في الأمثلـة الطّباعيّـة هـدفًا جديـدًا يفـرض حُـضوره خاصّـة عنـد ارتفـاع نـسب الإصدارات نظرا لزيادة الطلبيّة، وهذا ما يجعلهـا تـدرّ عـلى أصـحابها ربحًـا وفـيرًا، ثـمّ إنّ إعادة النشر أو إصدار نفس التّصميم يكون إمّا لاحتلاله حُضورًا تذكاريًّا قيّمًا أو لاسـتعادة ذكرى أو لإحياء عمل فنّي رائع.

وهنا تكون الطباعة الغائرة قـد يـسّرت في منحاهـا الـصناعيّ اعـتماد نمـوذج ثُـلاثيّ الألوان، بمعنى أنّ التّشكيلة تعدّت مرحلة اقتطاع مساحات مُلوّنـة متجـاورة منفـصلة إلى مرحلة تصميم طوابع متعدّدة الألوان polychrome، وهـذا مـا سَـجّل تجاوبًـا إيجابيًّـا مـع ضوابط التّصميم عـبر منطـق الاستنـساخ ألطبـاعيّ في هـذه المرحلـة الـصناعيّة المتقدّمـة، ولدارس أن يلحظ أنّ أوّل النّقاط الإيجابيّة التّي وفرّها المنهج ألطباعيّ المـصنّع هـو تـأمين التّعدّد اللّونيّ وهو بُعدٌ تصميميّ وتشكيليّ طالما سعت الحاجة المرئيّة والفنّية إلى بلوغه.

وللأمانة العلميّة فإنّ أوّل المجـاورات اللّونيّـة انتمـت إلى نفـس الدرجـة الضوئيّة وإلى نفس سُـلّم الألـوان، وهـو مـا جعـل أنّ أيّ اخـتلال في المطابقـة الطباعيّة لا يُشكّل خطـأ مرئيًّـا إنّمـا يُخفـي في الآن ذاتـه تطابقًـا غـير مقـصود وبالتاليّ فإنّه لا يكشف خللاً في حوّاف الصُّورة النّهائيّة بما أنّنا نلحظ تطابقًا في

اللّون الواحد، وبذلك فقد تدرّج المبحث الصناعيّ ألطباعيّ منذ بدايته إلى سعي حثيث لأجل ضمان البياض القرائيّ بين الألوان المتجاورة، كما نجد أنّ التّقنيّة تُحدث في محاولة أولى تقاربًا دون أيّ تطابق، ومن ثمّ تُمكنّنا في مرحلة ثانيّة من تأمين كلّ لون على حدّة، وتعود الأسباب الجذريّة للفصل اللّونيّ إلى عجز التّقنيّة على المطابقة بين ازدواجيّة الألوان، لذا فهي تلجأ إلى تأمين فراغ يُحيط بالمساحة اللّونيّة الواحدة من جهة وبين المساحات الانطباعيّة ذات الألوان المختلفة من جهة أخرى حتّى تضمن في الأخير نقاوة اللّون الواحد وصفاءه.

تُفسّر الصيرورة التّطوريّة المنطقيّة أنّ المسيرة الخطّيّة تبدأ محتشمة بما أنّها تهدف إلى تأمين مشهد قرائيّ نهائيّ **للطابع العلامة**، ففعل المطابقة لم يكن من محض الصدفة إنّما شهد مراحل تدرّجيّة قاربت اللّون بنظيره عبر درجات ضوئيّة يقوم خلالها المصمّم بضبط حُدود الخلفيّة أو ما يُعرف بالأرضيّة إلى التقدّم مرحليًا في رسم ضوابط التّشكيلة وتقاسيمها.

وهنا نستطيع أن نقرّ بأنّ تقنيّة الاسطوانتيّن المحبّرتين قد بلغت ثلاثة ألوان وهذا ما جعلها تتبع نسقًا متطوّرًا جدًّا، فلقد استفردت الاسطوانة الأولى بطبع أرضيّات ذات طبيعة مائيّة، في حين اعتنت الاسطوانة الثانية بضبط دقّة الجزئيّات وتفاصيلها، ولقد سُجّل لأوّل مرّة محاولة جدّية في المطابقة ألحبريه السُداسيّة، وذلك بتنفيذ عدد غير متناه من الألوان الأوليّة والثانويّة.

وبذلك يكون قد تجاوب مرحليًا المنهج الصناعيّ مع مستلزمات التّصميم في مقاربات لونيّة متنوّعة، وحقّقت الحاجة التّصميميّة إعادة بعث لعديد الأعمال الفنيّة، وهذا ما نشهده في الطابع الفرنسيّ **كنيسة ستراسبورغ**[1] حيث تمّكنت

1. طابع كنيسة ستراسبورغ الفرنسيّ، نحت ادخاري جاك لارفياي jacky larrivierre، مطبعة الطوابع البريديّة الفرنسيّة، فرنسا، 1985، حائز على الجائزة الأولى في جودة النحت في اجتماع طباعيّ الدولة والمهتميّن بالطوابع البريديّة من 14 إلى 16 سبتمبر سنة 1987 بواشنطن.

التّقنيّة من تحقيق إمكانيات المزج اللّونيّ، وبذلك تكون قد سجّلت هـذه المرحلـة جدليّـة إيجابيّة تخدم كلا التّصميم والصّناعة ما خوّل استنساخ الأثر أُنموذجًا طباعيًّا جائزًا للتصوّر والتداول البريديّ ومُحاذيا لقواعد الجودة الفنّية.

كنسية ستراسبورغ[1]







غير أنّنا لا نستوفي ذكرًا إذا ما تناسينا صُعوبة الإنجاز التّقنيّ وغلاء تقنيّات النّحـت اليدويّ، ولا ننسى كذلك مشقّة المراحل التّـي تتـأنّى في تقطيـع الاسـطوانات المحـبّرة حتّـى تفصل بين أجزاء التّشكيلة وتُفرز كلّ لون عـلى حـدّة، فالعمـل لا يـزال يـرتبط في مراحلـه الإنجازيّة والتّحضيريّة بقُصور شديد في الانجاز اليدويّ، ما يُلزمه وقتًـا طـويلاً لأجـل تهيئـة الأُنموذج ألحبريّ، ومن قبله، كما أنّنـا نكتـشف أنّ عمليّـة الـنّقش أو النحـت تُقـام بـثلاث تقنيّات تُلزم بعناية ودقّة شديدتين مـن طـرف النحّـات بهـدف مماثلـة النـسخة الأصـليّة والمُحافظة على أدقّ جزئيّاتها.

وتتمثّل أهـمّ المـداخلات التّطبيقيّـة في تجـاوز طـرق الـصياغة اليدويّـة تجـاوزًا لا يقطـع معهـا نهائيًـا إنّمـا يُـزاوج بـين المـراوحتيْن، فهـي طـورًا عمليّـة إنـسانيّة يدويّـة

1 . La Poste française, conception et réalisation l'agence Synelog, page 102 *Impressions expressions, le timbre poste français*, (décembre 2003), Paris ,

وطورًا آخر ميكانيكيّة صناعيّة، وسنشهدها حقيقة تتقدّم في نفس خُطى التحوّل السّريع إلى أن تبلغ المرحلة الرّقميّة الحالية التّي كانت دافعًا مُلهمًا استحثني لبعث موضوع هذا الكتاب "**العلامة والرّقم**" للمُقاربة بين كلا المرحلتيّن الإنسانيّة والصناعيّة وحتّى أنتهي في آخر المطاف إلى المخاض الرّقميّ الحالي.

ومن ثمّ فإنّني حاولت أن أُماثل بين مرحلة أولى صناعيّة ومرحلة نهائيّة رقميّة تقطع جزئيًا مع ضوابط المرحلة الميكانيكيّة وعجزها وكذلك مع مرحلة أخرى سبقتها يدويّة قدّمت اختيارات فنيّة واسعة المدى، فأستوفي بذلك جميع فترات البحث لأجل تصميم طابع يتأصّل من مساحة أثبتتها قدرات اليد منذ القدم إلى ولوجها فضاء **الرّقم** آنيًا.

أوردت الحاجة الفنيّة محاولات عدّة في القراءة اللّونيّة الواقعيّة لعدد من عناصر الطبيعة أو المناصب التّذكاريّة أو المعالم والآثار الهندسيّة لتُحقّق تجريدًا قرائيًا يُقارب بين انتماءات متجانسة جدًّا تُترجم كُلّ أشكال الواقعيّة الجديدة، وبذلك حقّق الموضوع التّذكاريّ تضافرًا مع ضمنيّة نصّ الرُّؤية التّشكيليّة وتثبيتًا للهُوّية الحضاريّة وللمكان الإطاري.

وبالنتيجة تطوّر الحضور بالانتماء في الطابع البريديّ التّونسيّ وكانت أوّل الإصدارات سلسلة طابع الجريد والكاف[1] ليشهد الأثر المرئيّ حيويّة الانتساب في متمثّلات الرّسم وملابسة لجزئيّات الحياة المعيشة، كما طُبع الإخراج ألطباعيّ بنفس ذي حُضور تُونسيّ مُميّز، فالرّمز يُصوّر منظورًا حيويًا لم يعد دوره تعريفيًا فحسب إنّما تجاوزه إلى تصميم يُحدّد مواصفات الطبيعة ويضبط مواطن الانتساب.

1. طابع الجريد، رسم حاتم المكّي، القيمة 60 مليم، الحجم 36 على 22 مم، تاريخ الإصدار 24 أكتوبر 1959، تقنية الطباعة الغائرة، أمّا بالنّسبة لطابع الكاف، فهو من رسم حاتم المكّي، القيمة 90 مليم، الحجم 36 على 22 مم، تاريخ الإصدار 24 أكتوبر 1959، تقنيّة الطباعة الغائرة.

سلسلة طابع الجريد والكاف[1]





خدمت التّطورات التّقنيّة الطابع البريديّ التّونسيّ كما عملت على تحويله وثيقة حضاريّة يبرز من خلالها الانتماء الوطنيّ كما يُمَّكن من تعزيز هوّية التّونسيّ في عرض تقاليده وعاداته، وهنا اعتمد الحرفيّ عددًا من لائحات الخطوط العربيّة الأصيلة حتّى يُظهر التّمايز بين أشكال الكتابة اللاّتينيّة والعربيّة، وبذلك فقد جاوز بالبعد التّطبيقيّ التّقنيّ إمكانية المزج بين عناصر التّشكيلة الخطّيّة إلى الحرص على توضيح عناصرها برسم حُدود الإطار الكلاسيكيّ المتمثّل في التّسنين حتّى يُعطي للتّركيبة حُدودًا اعتباطيّة يتوزّع خلالها اللّون بحسب عمليّة التّحبير قصد إبراز عناصرها وعلاماتها، فترتسم العلامات الخطّيّة بأكثر حضور وتظهر عناصر الهوّية والانتماء الوطنيّ في كثرة المبادلات المتنوّعة من التّوزيع المساحيّ وكذلك اللّونيّ.

حظي التّصميم ببوادر لا نهائيّة في تشكيل صياغة النصّ والرُّسوم وتوزيع الألوان ليظهر إمّا سالبًا أو موجبًا وليحمل فوارق ضوئيّة تتمثّل في ثنائيّات وثلاثيّات لونيّة كما أنّه اعتمد تقاربًا في المزاوجات وأنتج مطابقات تُحدث عددًا محترمًا من إمكانيّات الاستخراج اللّونيّ، ثمّ تمّكنت المداخلة التّحليليّة من إيجاد علاقة عضويّة بين المحمل في شكله الجماليّ القرائيّ وضوابط التّقنيّة وإضافاتها

1. الطوابع البريديّة التّونسيّة من سنة 1888 إلى سنة 1999، إصدار البريد التّونسيّ، تونس العاصمة، مركز الطوابع البريديّة، تصميم وطباعة بيكترا، 2000، صفحة 87.

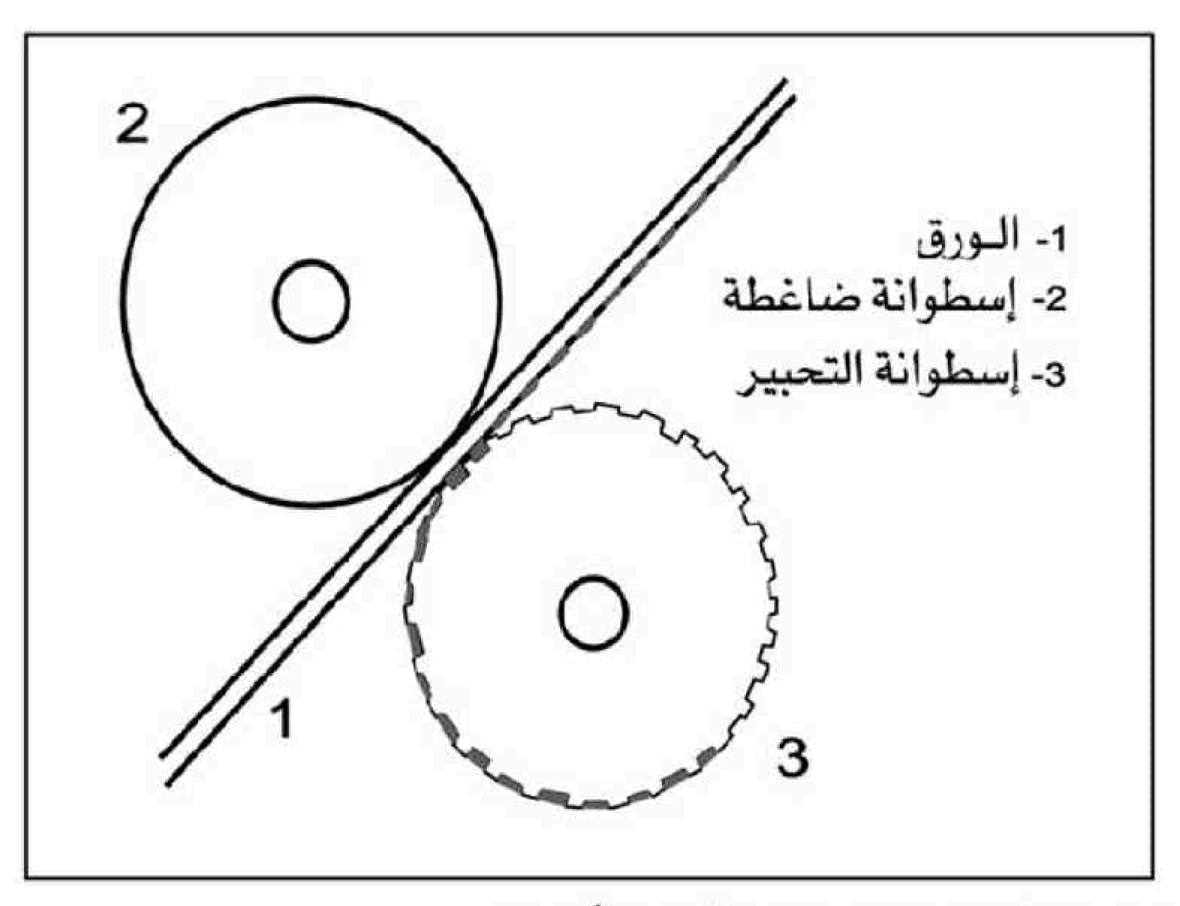
التّي لبّت ولو بقدر نسبيّ الإخراج النّهائيّ لهذا المحمل المتعدّد الوظائف، والذّي يطمح المصمّم من خلاله إلى إعطاء شكل عامّ متداول قرائيّ وجماليّ في ظرف صناعيّ وتقنيّ مُتجدّد دومًا.

3. مستجدّات التّقنيّة وإحداثيّات الانطباع:

أطلعتك سيّدي القارئ في مرحلة متقدّمة من كتاب **الرّقم والعلامة** على قواعد القياس الغائر والناتئ في تشكيليّة الحرف ومدى تأثير موازين البُروز والانحدار في مستويات إخراج المراسم الخطّيّة، وبذلك استند كتابنا في بدايته على البحث في تقاليد الطريقة اليدويّة التّي أقحمت تدريجيًّا البعد الصناعيّ ومثاله الميكانيكيّ، وبذلك حقّقت احتياجات تصميميّة متنوّعة جعلتنا نعمل في المحورين السّابقين على إيراد تأليف متكامل لجُلّ تقاسيم المشهد الصُّوريّ الكلاسيكيّ من الهندسة المعياريّة في القياس إلى ضبط جماليّة فنيّة في ارتسام بنائيّة الحرف ومتغيّراته، ووفقا لذلك وُضعت ضوابط هذا التطوّر الملحوظ في أساليب الصّياغة وشُروط تشكيل التّركيبة الخطّيّة وفرضيّاتها.

وفي هذا المحور سنسعى إلى الحديث عن مرحلة الصناعة الهيلوغرافيّة المتطوّرة عبر الطباعة الغائرة والتّي تُمثّل بدورها تواصلاً منطقيًّا في الممارسة التّطبيقيّة الطباعيّة، ثمّ إنّ تقنيّة الهيلوغرافيا heliography وهي عبارة على اسطوانة حاملة لمجموعة نخاريب تتكوّن بدورها من خُطوط متوازنة من حبكة النّسيج الغائر، كما أنّها تُحدث انطباعًا فنّيًا عبر تقنيّات التّصوير الفوتوغرافيّ الصّناعي الذّي يُدّعى التّصوير عبر الميكانيكا الضوئيّة photomechanical، وبالقياس تنصهر مجموعة النخاريب المتمثّلة في ثغرات مختلفة العُمق والسّعة لتُصوّر درجة الكثافة اللّونيّة وشفافيّتها وتُفسّر مآل انطباعها في عمليّة الضغط بين اللّبدة المطاطيّة والاسطوانة المحبّرة حتّى تُحقّق تفريغًا وتوسيعًا للتّجاويف الحاملة للمادّة ألحبريه.

نموذج الطباعة الهيلوغرافية[1]



1.3. نظريّة ثالوث الحبكة والدّقة والخُطيطة:

اعتمد سابقا الرّسام في تشكيل أحجامه توزيعًا متفاوتًا من النّقاط أو الخطوط المتقاربة والمتباعدة ليُترجم قياسات الظلال ويُصنّف الفوارق الضوئيّة في الحجم والمساحة والشكل القرائيّ، غير أنّه وفي مرحلة علميّة متطوّرة أصبح من مهامّ المصمّم الذّي يتفاعل تقنيًّا مع التّطور ألطباعيّ أن يعمل جاهدا على إيجاد لغة متوازنة لعمله، فيُحوّل الرّسم ويُوزّع نقاطه بمنطق ميكانيكيّ صناعيّ فيصوغ مفهوم تشكيلته حسب قواعد الإخراج الصُّوريّ والمرئيّ لأنموذج التّركيبة الفنيّة.

1. ميشال برقس، غرامي الطوابع البريديّة، بريطانيا العظمى، نشر دار القراءة العالميّة للكتب، طباعة بكسترمان، أكتوبر 1993، صفحة 49.

ونخلص إلى نتيجة منطقيّة مفادها أنّه على المصمّم أن يُعنون توزيع النّقاط ويُعرّف طبيعة الحبكة واتّجاهاتها، وهنا تتمثّل الحبكة في صورة شبكة أو لُحمة أو أجزاء متقاطعة ومتماثلة من النّقاط ألحبريه التّي تُحوّل الأُنموذج إلى مثال صُوريّ يتكوّن من مجموع ملابسات تتفاوت في حجمها وعُمقها وشكلها ترسم وتطبع انطباعات الصُّورة وأجزائها، وقد رسمت هذه الحبكة جُلّ الرُّسوم في شكل متقاطع أو دائريّ يقوم توزيع نقاطها على المماثلة اللّونيّة التّي تتطلّب تفريقًا وتوزيعًا متساويًا في زاوية كلّ لون على حدّة لتفادي التّموّج mooring النّسيجيّ ألحبريّ وتلافيه.

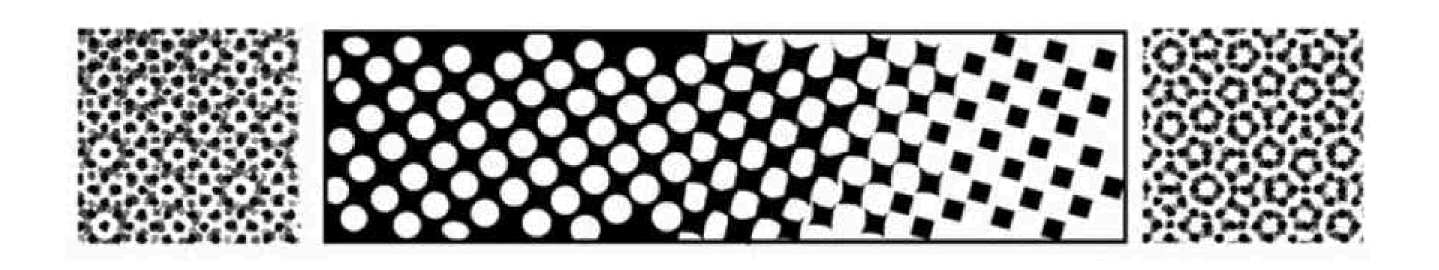
وازى هذا الاكتشاف بين قانون الحبكة وصناعة الورق المتكوّن من شبكة متقاطعة ومنسوجة تُسّمى خُطيطة، وهي عبارة على مساحة مسّطحة من شبكة ليفيّة تتقاطع داخلها ألياف متقاطعة تمتصّ المادّة ألحبريه، ولقد أنتجت هذه الدراسة العينيّة تطبيقًا واضحًا في درجات توزيع كميّة الحبر حسب مفردات الحبكة الليفيّة المرتبطة أساسًا بقياس الدّقة النّقطيّة، ولقد فرض نسيج الورق المستخدم وطبيعته شرطًا أساسيًا وأوّليًا في تحديد واختيار قاعدة الحبكة وتثبيتها حتّى نتوّصل في الأخير إلى تحقيق طباعة واضحة المعالم وحسنة الارتسام.

وهنا قامت دراسة حسابيّة تعمل على إيجاد معادلة ترجيحيّة بين علامات الحبكة ألحبريه والشبكة اللّيفيّة للدّقة النّقطّيّة وخُطيطة الورقة، كما عملت هذه النظريّة على تسجيل تقدّم ملحوظ في تنويع أساليب المطابقة بين الحبر المادّة السائلة والورق حامل الألياف على اختلاف أشكال المطابقة وأحجام الحبكة وتنوّع اتّجهاتها.

قدّم هذا التّطوّر التّقنيّ مُداولات الانطباع ألحبريّ على الورق وذلك باكتشاف أنّ الحبكة الليفيّة هي أرضيّة تستوعب درجة الحبر وكميّته، ونظرا إلى أنّ هذا التحوّل الصناعيّ قد صاغ مقادير قياس الحبر وتعبئته فإنّه عمد إلى ربط

علاقة وثيقة بين عدد الألياف في المساحة الواحدة وعدد النّقاط ألحبريه، ثمّ إنّنا خلصنا في النهاية إلى أنّ التّطبيق التّقنيّ والممارسة الانطباعيّة يضبطان نظريّة متجدّدة تُؤكد بأنّ عدد النّقاط ألحبريّه تتوازن في مقاربتها مع عدد الألياف، ولقد أوصلتنا هذه الاكتشافات إلى دراسة أنّ التعدّي المنطقيّ من المرحلة الرّقميّة يستند أساسًا إلى مقاييس شبكة الورق الليفيّة ومنه إلى التّنظير الإليكترونيّ بدراسة وتمعنّ في انطباعات المادّة ألحبريه على الورق لإبراز جماليّته وحسن إخراجه.

الحبكة اللّيفيّة الورقيّة[1]



ضبطت حركة النقاط بالتجمّع والتفرّق وبالتقاطع حينًا وبالتشتّت أحيانًا حركة توزيع الدرجات الضوئيّة والظلال اللّونيّة، فظهرت تجزئة اللّون عبر متدرّجات أوليّة ما أعطانا تجميعًا مرئيًّا يُصوّر إيحاءات متفرّقة، وهنا تتميّز حبكة الهيلوغرافيا بـ175 و200 نقطة كما يُوّفر تضافرها مزجًا لونيًّا رائقًا تتفاعل داخله مجموع النّقاط في مسح قرائيّ متماسك.

حقيقة لقد ساهمت اتّجاهات الحبكة التّي تتفاوت فيما بينها بـ30 درجة في تجميل المشهد القرائيّ، فهي تختلف بين رُباعيّة الملابسات اللّونيّة ما يُساعدها على تفادي التّغدير ألحبريّ، وهنا تسوق الحاجة التّصميميّة ضرورة توفير مشهد

1. René Bouillot, (Juin 2005), *cours de traitement numérique de limage*, France, imprimé par I.M.E. 25110 Baume-les-Dames, page 214

قرائيّ للصُّورة ذي حدود قائمـة ورُسـوم ثابـت منتهاهـا، وبـذلك تنـدرج المطابقـة ألحبريـه باعتبارها فعلاً ميكانيكيًّا يدرس مستوجبات الإخراج الدّقيق للجزئيّات غـير المرئيّـة بـالعين المجرّدة خاصّة من حيث تكتّلها وحدوث تموّج في كلّ الطبقات المتتالية.

ساهمت كلّ هذه التّجارب الفعليّة بقدر وافر في تحسين المردود ألطباعيّ فمهّدت التّقنيّة إلى قيام قراءة افتراضيّة تتعدّى الاشتغال اليدويّ في رسم الأشـكال عـبر التّنقـيط أو التّخطيط إلى بعد ميكانيكي يُصيّر كـلّ هـذه الإمكانيـات في منطـق صـناعيّ تقنـيّ فاعـل، وسنشهد تحوّل مجموع هذه الأهداف الجماليّة الطباعيّـة إلى **لغـة الـرّقم** حـسب وحـدة قياس تُدّعى البوصة فتتمحوّر بذلك كُلّ المتطلّبـات الاسـتهلاكيّة والمرئيّـة والإدراكيّـة وفـق شُروط التّقنيّة المعتمدة والمتجدّدة.

2.3. مطابقة المسّطحات المختارة وغياب التداخل اللّونيّ:

إذا ما حلّلنا جُلّ المراحل الصناعيّة فإنّنا نلحظ أنّ بداية الهيلوغرافيا سجّلت تراجعًا في المراجعة مثلها في ذلك مثل الطباعة النّافرة لأنّ التّقنيّـة سـجّلت صـعوبة في إمكانيـات التّعديل والتّسوية، كما أنّه ليس من السّهل تحقيق الانطباع المتكامل إلاّ بتمرير الحبر من البسيط ذي الفيلم الواحد إلى المعقّد المكوّن من تراكيب تجمعيّه بلغت الاثنتي عشر لونًا، وبذلك نكون قد أقرّينا أنّ طباعة المسّطحات تتنافى تمامًـا مـع التّطـابق ألطبـاعيّ للألـوان وتمازجها، وهو ذات الاحتشام الذّي انطوت عليـه الطباعـة النـافرة، ثـمّ إنّ هـذا لا ينفـي نهائيًـا مـا حقّقتـه الهيلوغرافيـا مـن مـساحات احتياطيّـة reserve واضحة ترسـم معـالم التّشكيلة النّصيّة، وهي كذلك نفسها التقنيّة التّي استطاعت أن تبرز رُسومًا وتستثني تمامًا الأرضيّة العامّة فنُلبّي بذلك أغلب الاحتياجات التّصميميّة.

تعتمد أوّل محاولات الطابع البريديّ التّونسيّ القيام بالمطابقة اللّونيّة التّي تظهر في طابع **تجديد الهاتف**[1]، وهنا تُسجّل المرحلة الطباعيّة استثناء، فاللّون الأسود يعتلي أرضـيّة موجبـة وذلـك بهـدف تحديـد ملابسات الرّسـم، ومـن ثـمّ يـشهد المـشهد القـرائيّ ترتيبـا لمـساحات متّـضحة ومحـدّدة تتفـرّق بالإيجـاب والـسّلب لإبـراز تـشكيلة الـنصّ العـربيّ والفرنسيّ.

تجديد الهاتف[2]



توصّل الفعل ألطباعيّ إلى إرساء رسم منظور هندسيّ معقّد تتخلّله ظلال متفاوتـة في نفس سلسلة الإصدار، وهنا تمكّن المصمّم من إدراك أقـصى مـا تُقدّمـه إمكانيّـة توزيـع المساحات الموجبة والسّالبة في ادّخار حذافير الرّسـم وتحقيـق قـراءة تجـسيميّة للمنظـور الهندسيّ، وبذلك انتظمت في نفس المستوى القـرائيّ إمكانيّـات واسعة تعمـل عـلى تمريـر طبقات حبريّه تُحقّق ظلالاً ضوئيّةً واضحة التّوزيع، فالمساحات الموجبـة والمـدّخرة للـنّص تخصّ اللّون الذّي يقع تمريره في البداية في حين يلتـزم اللّـون الأسـود بتحديـد جانـب مـن الحوافر في نهاية المطابقة الطباعيّة.

---

1 . طابع تجديد الهاتف ديسمبر 62، رسم حاتم المكيّ، القيمة 100 مليم، الحجم 21 مم عـلى 32 مـم، تـاريخ الإصدار 7 ديسمبر سنة 1962، تقنيّة طباعة الهيلوغرافيا.

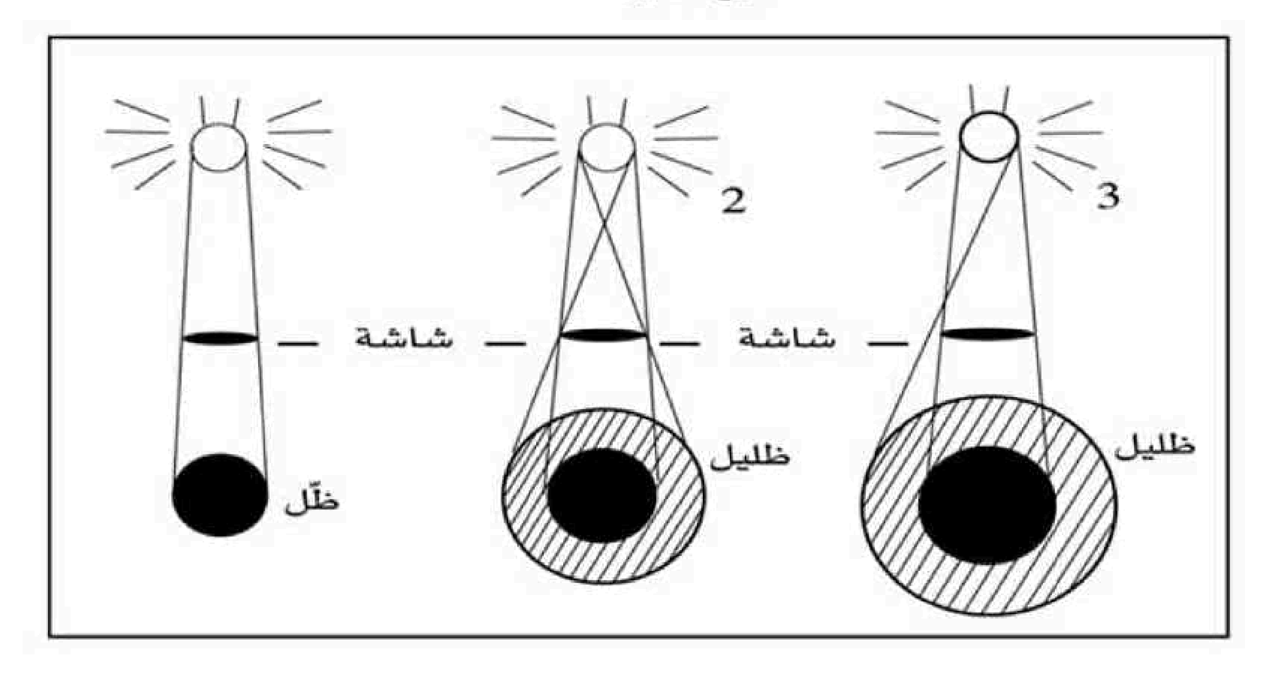
2 . الطوابع البريديّة التّونسيّة من سنة 1888 إلى سنة 1999، إصـدار البريـد التّونـسيّ، تـونس العاصـمة، مركـز الطوابع البريديّة، تصميم وطباعة بيكترا، 2000، صفحة 97.

وهنا تضعنا أغلب هذه التّطورات الطباعيّة في تدرّج منطقيّ يُضفي وضوحًا على نوعيّة الإخراج النّهائيّ للمنسوجات الورقيّة، وبذلك يكون نظام تمرير الألوان قد حدّد وضوح المعالم ومن ثمّ لم يعد اعتباطيًّا بل إنّه اتّبع تدرّجًا مرحليًّا من الفاتح إلى الدّاكن ومن المساحات السّالبة إلى الموجبة، وهذا الاختيار فرضته الحاجة التّصميميّة لإعطاء معادلة واضحة للمساحات وكذلك لتقرير تركيبة النصّ التّشكيليّة.

3.3. قياس النّسبيّة في درجات الحبكة اللّونيّة:

حسب المنطق التّقنيّ للحفر الضوئيّ تُترجم تظليلات اللّون الواحد في هذا الإطار عددًا هامًّا من درجات الكثافة والعتمة اللّونيّة، ثمّ إنّ الامتلاء المساحيّ للّون يُعادل 100 درجة ويصنع حاجزًا مانعًا لعمليّة الإشعاع الضوئيّ، في حين أنّ الدرجات التّي تتراوح كثافتها بين 10 و90 درجة تخترقها الإضاءة بحسب درجات الاختلال في المساحة الفيلميّة، ويقع بالتّالي صهر فيلم سالب معكوس للفيلم الموجب وهنا تنعكس نسبة التحوّل من جديد في مرحلة الانطباع ألحبريّ على الورق.

انطباع تركيبة الظلال[1]



1 . النيهوم، الصادق، موسوعة علميّة مُصوّرة، كتاب الأداة والآلة، المجموعة الأولى، المجلّد رقم 5، طرابلس، ليبيا، الشركة العامّة للنشر والتّوزيع والإعلان، طُبع بسويسرا،1981، صفحة 269.

وليس غريبًا أن تتدرّج كميّة الإشعاع الضوئيّ بحسب حاجز نسبة كثافة الحبكـة في اللّون الواحد، إذ هنا يُؤمّن شريط مراجعة القيم الـضوئيّة درجـات الـسّلم الـضوئيّ، حتّـى نتمكّن طوعًا من مراجعة توزيع درجات الإضاءة وصلاحيّة الفيلم ودرجـة رطوبتـه، ومـن ثمّ أثبتت كلّ هذه المفاعلات التّقنيّة أنّ جلّ المـداخلات كتوقيـت الانـصهار وحالـة المـوادّ الكيميائيّة المستعملة وحتّى درجة رطوبـة الفـضاء المعتمـد تتفاعـل كلّهـا في التّـأثير عـلى درجة القيم الضوئيّة وحُضورها الإيجابيّ من عدمه.

لذا تُترجم الحبكة وقياسات توزيعها دسامة المـادّة ألحبريـه المترجمـة عـن البُوصـة حتّى يعتدل التّطابق اللّونيّ ويتوازن وذلك بحُسن توزيع النّقاط، وقد يتـدرّج مـساحيًّا بمـا يُمكّننا من خلق مساحات متفاوتة بدرجات ضوئيّة معتدلة في أرضيّة كلّ لون، ولـيس مـن الغريب أن تُوصلنا هذه المرحلة إلى تحقيق تدرّج ضوئيّ بيّن خاصّـة إذا مـا اسـتعملنا أداة فرد الدّهن أو المرذاذ ألحبريّ، وقد مكّنتنا عمليّة التّصوير الضوئيّ من تحقيق صـهر لفـيلم سالب يليه مطابقة لفيلم موجب.

هنا طوّعت التّقنيّة قدرات الإنجـاز ألطبـاعيّ في تجـاوز للمـساحة المـسّطحة ذات اللّون الواحد إلى إحداث تدرّج ضوئيّ متميّز، ولقد طوّرت هذه الإمكانيّـة المهنيّـة الابتكـار التّشكيليّ إلى صياغة ميكانيكيّة قادرة عـلى مقاربـة عـدد مـن الإمكانيّـات الخطّيّـة للـون يتدرّج بنسب معتدلة في آخر درجات حضوره، ومن ثـمّ وفي مرحلـة متطـوّرة فاعلـة جـدًّا حتّى يُحقّق جماليّة التّصميم ويُساعد على تحوّل المادّة الطباعيّة إلى مشهد فنيّ، وينتهـي في الأخير إلى تفاعل لونين ابتداء من اللّون الأبيض الغائب الحاضر إلى بلوغ لون آخر يكون حاضرًا بدرجات متفاوتة، لقد حقّقت كلّ هذه المفاعلات التّقنيّة تحـسّنًا واضـحًا في إدراك أطياف الألوان حتّى بلوغ طيف متكامل من الدرجات الضوئيّة واللّونيّـة في أرضـيّة طـابع **مهرجان الإفريقيّ الأوّل للشباب**[1]، بما أنّه تجـاوز حـدود الإمكانيّـات المختـصرة في طباعـة الهيلوغرافيا وبما أنّ التّحديث التّقنيّ افتتح بذلك أمدًا مرئيًّا واسعًا.

---

1 . طابع المهرجان الإفريقيّ الأوّل للشباب، رسم حاتم المكيّ، القيمة 40 مليم، الحجم 26 عـلى 37 مـم، تـاريخ الإصدار 15 جويلية 1973، تقنيّة طباعة الهيلوغرافيا.

مهرجان الإفريقيّ الأوّل للشباب[1]



4.3. فرضيّات لونيّة ولوجستيك المطابقة:

هيّأت كلّ هذه التّطوّرات التّقنيّة تمثيلاً واقعيًا للمُحيط المعيش بمقتضياته، وبذلك فنحن نلحظ في هذه المرحلة جرأة في اختيار المواضيع أنتجتها القدرة الصناعيّة التّي تتلّخص في مماثلة الألوان بما يخدم القراءة التّجسيميّة والتّعريفيّة للبلاد، لهذا تعدّدت إمكانيّات الإدراك المرئيّ بأن استقطبت الحيوانات والألبسة التّقليديّة وغيرها من المواضيع التّي تعتمد على جُزئيّات مرّكبة ومُعقّدة تحدو بالمصمّم إلى إيصال معلومة واقعيّة من صُلب الحياة حتّى تُعيد هيكلة المنظور الجماليّ للطابع البريديّ التّونسيّ.

لقد ساهم تحليل النّظام الشّمسيّ للألوان في اكتشاف الأمزجة الأوليّة التّي لا تخضع للتمازج والخلط، إنّما هي ألوان ابتدائيّة تتفاعل فيما بينها لتُفرز ألوانًا ثانويّةً فتبلغ بتجميعها اللّون الأسود، وبذلك تعمل رُباعيّة الألوان على توفير إمكانيّات مُزواجة ومُطابقة حبريّه أساسها في ذلك الحبكات المتطابقة والمتشابكة على المساحة الورقيّة الواحدة.

---

1. الطوابع البريديّة التّونسيّة من سنة 1888 إلى سنة 1999، إصدار البريد التّونسيّ، تونس العاصمة، مركز الطوابع البريديّة، تصميم وطباعة بيكترا، 2000، صفحة 124.

إنّ الغريب في الأمر هو اكتشاف أنّ مزوّد الألوان الأوليّة هو التّصوير الفوتوغرافيّ الذّي يعمل بالمرّشحات على إفراز رُباعيّة الألوان الأوليّة، لذا فهو يُورد عبر هذه المرّشحات إضافات موجبة أدّت إلى خلق تزاوج ضوئيّ يتحوّل مزيجه للّون حبريّ طباعيّ ومن ثمّ يقع استثناؤه من الشاشة الرّقميّة ليُصبح نوعًا من المعايرة calibration بين عالميْن مختلفيْن، أوّلاً عالم افتراضيّ رقميّ يحمل ألوان ضوئيّة ثلاثيّة)أحمر وأزرق وأخضر (في حقل يُراوح بين 85000 إمكانيّة لونيّة وثانيًا مقاربة ألوان أوليّة)سماوي، أرجواني، أسود، وأصفر(في عالم طباعيّ مادّي يتجاوز حقله 350000 إمكانيّة لونيّة، فما هي الضمانات التّي يُوّفرها هذا التعدّي الضوئيّ؟ وكيف يُساعدها على تحقيق نجاعة الألوان وحُضورها الفعليّ، وما هو مبلغ التّصميم في تحقيق اختيارات لونيّة متّفق حولها في طابع بريديّ رقميّ؟

تفرض جُلّ هذه الملابسات التّقنيّة مفارقات بين عالميْن تختلف آليّاتهما وطُرق تنفيذهما وحتّى منطق المطابقة بينهما، وهو ما شدّ انتباهنا في إيراد هذا التّحليل ألتأليفيّ للتحوّل التاريخيّ لنتحقّق من تطبيقات الطابع البريديّ التّونسيّ وحتّى نستشفّ من خلاله التطوّرات الحاصلة وفاعليّة الخطوات المدرجة في هذا السّياق، والتّي أدّت بدورها في مرحلة متطوّرة من موضوع كتابنا إلى قراءة منطقيّة تُعنى بقراءة تدرّج الأسباب والمسبّبات الفاعلة لتصوير مستجدّات التّقنيّة والتجاوب مع احتياجات التّصميم.

يحتذي المثال الأصليّ بالتّصحيح والمعالجة بلوغ نتيجة طباعيّة مُوّفقة، إذ تعمل آليّات الطباعة على تعديل القيّم الضوئيّة ومراجعة الألوان ويُضيف إليها ألطباعيّ ضبط المداخلات وقراءة نظام صيرورة الفعل ألطباعيّ، فعمليّة تمرير اللّون تخضع لخطّة مزج مختلفة[1]، ومن منطق المطابقة ينتج توزيع الألوان عبر منطق التّصميم ترتيبًا هادفًا يساعد على انطباع الطبقات اللّونيّة ودرجات تداخلها.

1. عمليّات تمرير اللّون تخضع لخطط مزج مختلفة فهي تارّة تستخدم أرجواني وأصفر وأزرق ثمّ وفي خطّة ثانية تستخدم أسود أو أرجواني، ثمّ أصفر، وأسود، فأزرق بما يتماشى مع المعايير القياسيّة للأنموذج المعتمد.

5.3. التّرشيح عبر الانتخاب اللّونيّ:

إنّ الأمثلة النموذجيّة المعتمدة للطباعة هي أمثلة قاتمة غير منفذّة للضوء، لذا من الواجب تحويلها إلى مادّة فيلميّة حسّاسة وشفّافة، وبذلك يقع فصل طبقات اللّون وتُدرس مدى قدرتها على التحوّل إلى مادّة صائغة حبريّه، وحينها يخضع الأنموذج الأصليّ إلى عدد من مراحل التّرشيح عبر الانتخاب اللّونيّ بهدف تحقيق الأفلام السالبة التّي تتجاوب مرئيًا مع التطوّرات التّقنيّة لأجل تحقيق نتائج خطّيّة تتوازن تصميمًا وطباعةً فتُوَفر إنتاجًا بريديًا متطوّرًا.

لقد أثّر تنوّع المردود ألطباعيّ في نماذج الطابع البريديّ التّونسيّ، ثمّ إنّ الهيلوغرافيا تختلف صُوريًا وتقنيًا لتُحقّق عددًا من الخدع المرئيّة الفنيّة، ولعلّ هذا التّجاوز التّقنيّ يتعدّى حدود التّقنيّة ليُثري الجانب الصّناعيّ والماديّ والمرئيّ للمُنتج، ولو أنّ كلّ الاختلاف في تقنيّة الهيلوغرافيا يكمن حقيقة في الملمس الرّطب وفي غياب القفا الناتئ.

لقد تراءى المشهد القرائيّ بمُفارقات تقنيّة متعدّدة، وكأنّ التّجربة الطّباعيّة تُعاود درج تاريخيتها وتُورد مراحل صياغة تقنيّة الطباعة النّافرة والغائرة وحتّى المشاهد القرائيّة التّي تخلّلت تطوّرها، فإذا بنا نُشاهد الفراغات تُفتعل لتُنحي اللّون عن مثيله فتظهر بذلك ثغرات سالبة في المساحة الطباعيّة عرّفناها بالنخاريب، وبذلك تحدو تقنيّة الادخار إلى إبراز حركة خطيّة حرّة ترسم العناصر التّصميميّة، وهذا ما وفّر أرضيّات قاتمة تُحلّل تراكيب الرّسم وتُبرز أدّق جزئيّاته التّي يهدف المصمّم إلى إبرازها، ومن ثمّ نشهد الطريقة الحفريّة للطباعة الغائرة والنافرة وعملهما معًا على رسم تقاسيم الوجه وإبراز حركة ظلال عفويّة بما يحفظ البعد اليدويّ للعمل الفنّي فيُوفي في نفس الوقت بمُميّزات الرّسم الحفريّ ويُدّعم حُضور الموضوع في شكله القرائيّ والجماليّ.

وفي الأخير تُحقّق الطباعة مُختلف الفرضيّات المرئيّـة والتّقنيّـة بهـدف إبـراز قيمـة البُعد التّصميميّ، فقُدرة الإنجاز واسعة تظهر خاصّـة عنـد إتبـاع مُطابقـة بـين المنتخبـات اللّونيّة على مُستويين، يتمثّل أوّلاً عندما تُبرز مساحات كثيفة عبر وحدات لونيّـة مزدوجـة أو ثانيًا عند حملها لدرجات مـن التـدرّج الـضوئيّ القـائم عـلى توزيـع حـبكيّ مـن النّقـاط المتفاوتة.

6.3. تقنيّات المعالجة الضوئيّة والتّصحيح اللّونيّ:

يعتمد الإنجاز ألطباعيّ على مادّة حبريّه سـائلة تتـوزّع عـلى الورقـة بنظـام حـبكيّ متفاوت ويُنأى بالطباعة الرُّباعيّة على أن تُعيد تماثـل اللّـون مـع الأنمـوذج الأصـليّ بـصفة متناهية وفاعلة، غير أنّ تحقيق مُوازنة ضوئيّة بين المثال الأصـليّ والمنـسوخ المـدرج يـصحّ أساسًا بتعديل متفاوت سواء بالزيادة أو النّقصان، ويُصبح بالتّالي هدف ألطبـاعيّ تحقيـق هذه المعادلة من مرحلـة تنقـيح التّـصوير الفوتـوغرافيّ إلى مراحـل الـصّهر الـضوئيّ لأجـل تثبيت مُماثلة جذريّة مع خصائص الطبيعة الشكليّة للمُنتج.

لعب الأنموذج دورًا هامًّا في تصحيح الألوان من مثال كثيف قاتم إلى فـيلم شـفّاف ومنه إلى صفيحة معدنيّة، فلعبت الأقنعة الموجبة على تنقيح ألوانها من الـصُّورة الـشفّافة slide السّالبة إلى القاتمة الموجبة، وشملت المعالجة ثنائيّة الدرجات الضوئيّة واللّونيّة عـلى حدّ السواء، وبـذلك فلقـد تمكّـن ألطبـاعيّ مـن تحقيـق عـدد مـن التّـصحيحات فاعتمـد مرشّحات معالجة تنتج بدورها عن أفلام سالبة ومُوجبة.

وانحصر بالتّالي فعل التّنقيح في عدد من الأقنعة ذات الإضاءة العالية من أفلام أرتوكروماتيّة[1] orthochromatic وأقنعة سالبة فهي عبارة عن مُضادّات للهالة الضوئيّة anti halo بل إنّها تُصحّح درجات التّباين وأنصاف الدّرجات كما تُزكّي حُضور الألوان المنتخبة، وبما أن هذه التّحويرات تتدخّل في تعديل المثال ألطباعيّ وتُقاربه بالأُنموذج الأصليّ فإنّها تُؤثر تأثيرًا موجبًا في مجموع المعالجات الضوئيّة واللّونيّة التّي تُحدث على برمجيّة أدوب فوتوشوب مُوّفرة بذلك إمكانيّات مُتفاوتة من طُرق المعالجة والتّنقيح، كما تُعالج هذه البرمجيّة الصُّور وتُهيئ أرضيّة مُلائمة لإنشاء الطابع الرّقميّ وصياغته.

ولعلّ إلمامنا بهذا المجال يعود لانفتاحنا على تحوّل جذريّ بين مجالين متعارضين أوّلهما ميكانيكيّ وآخر رقميّ، ووفقا لهذا الاختيار رجّحت المُعادلة النظريّة حقل الألوان ومدى اتّساع دائرته القُطبيّة على احتمالات القيم الضوئيّة، ثمّ إنّ مجمل هذه المطابقات تحدث انطلاقًا من مادّة فيلميّة حسّاسة وتنتقل منها إلى حبكة خطّيّة ورقيّة، فتُعدّل درجات اللّون وقيمه الضوئيّة، وبذلك ساهمت كلّ هذه العناصر في تخطّي قُصور العمل اليدويّ وتحوّلت بالأهداف التّصميميّة إلى لغة ميكانيكيّة تحذو إلى أن تبلغ أن تكون لُغةً رقميّةً، فاللّون لم يعد خليطًا مائيًّا بل أصبح درجةً ضوئيّةً قابلة للصّهر والحفر الضوئيّ، أمّا النّسيج ألحبريّ أو ما يُعبّر عنه بالحبكة واختلاجاتها ذهب إلى أبعد من ذلك إذ يتساجل اليوم **علامةً رقميّةً**، كما وقع التّحكم في صياغة القيم الضوئيّة عبر التّنقيح والمعادلة لتعمل مجموع كلّ هذه المبادلات على خلق تناسب قياسيّ بين المادّة المُصوّرة والنتيجة الطباعيّة.

1. فيلم أرتوكروماتي يعني فيلم فوتوغرافيّ أسود وأبيض حسّاس لجميع درجات الضوء المرئيّ باستثناء اللّون الأحمر، يُستخدم الفيلم في الضوء الأحمر داخل غرفة مظلمة ولكنّه يعجز على إنتاج فوارق ضوئيّة بالأسود والأبيض تتوافق بشكل وثيق جدًّا مع حقيقة اللّون في الواقع ولا حتّى مع رُؤية الألوان بالعين المجرّدة.

7.3. الإحداث الالكترونيّ في طرق الإنجاز:

إنّ هدفنا من تأليف كلّ هذه التحوّلات التّقنيّة هـو التـدرّج إلى أن نبلـغ الخُطـوة التّكنولوجيّة الرّقميّة التّي يعتبرها بعض القُرّاء منفصلةً تمامًا عن الـصيرورة التّاريخيّـة غـير أنّها بالتّحليل والمتابعة تُعتبر مرحلة تدريجيّة توالديّة تنتج عن مجمل تفاصيل الإحداثيّات التّقنيّة التّي تجاوبت مرحليًّا مع حاجيّات التّصميم.

عايشت تقنية الهيلوغرافيا مشقّة نحت الأسطوانة الطابعة وصُعوبة تحضيرها مـمّا تطلّب تدخّلاً بشريًّا يدويًّا وميكانيكيًّا لحفظ درجات اللّون وقيمه الضوئيّة، كـما تفاعلـت تقنيّة الحفر الضوئيّ مع مجموع تأثيرات كيميائيّة عملـت بـدورها عـلى إضـفاء تحـويرات يدويّة، وهذا كلّه أنتج قدرة إنجـاز ضـعيفة ليقـع مـن جديـد درس طُرق مجابهـة هـذه الصُّعوبات التّنفيذيّة التّي تُنتج غلاء في التّكاليف وثقلاً وتعقيدًا في مراحـل تـصنيع المنـتج الهيلوغرافي.

وهنا وفي هذا الميعاد بالذات وقـع تـسجيل مُحاولـة مُعـاصرة مـن التّطـوّر التّقنـيّ تتجـاوب مـع مُـستجدّات معلوماتيّـة إذ تـمّ أوّلاً حفـر الاسـطوانة باليـاقوت وفـق نظـام معلوماتيّ رقميّ يعمل على إحداث آثار الحبكة ألحبريّـه، فـالأداة تتحـرّك بـصفة منتظمـة وتنحت تجاويفًا تختلف درجات عمقها عبر آلة اللّيزر المباشرdirect system laser، ومن ثمّ تمّ ثانيًا اكتشاف آلة نظام اللّيزر المُباشر التّي تتفاعـل مـع أشـكال البطاقـات المـسجّلة الرّقميّة من أمثال Tiff أوPDF، وتُعـدّ هـذه القـراءة المتقدّمـة مرحلـةً جدّيـةً في علاقتهـا بالمنحى الرّقميّ فالآلة تُحدّد هندسة التّجاويف وأشكالها بقياس 400 سـطر في الـسنتيمتر الواحد، كما أُستغلّ في مرحلـة ثالثة قُطـر الـشُعاع في تثبيـت القـيم الـضوئيّة مـع فـصل المنتخبات اللّونيّة، وفي الحقيقة لقد برزت مرحلة رابعة هي آلة SHAC وهي مختصر لـ Super Half Autotypical cell بمعنى خليّة نـصف نموذجيّـة فائقـة الجـودة تـتحكّم في درجة طاقة الإشعاع ومُحيط التّجاويف.

إنّنا لا نستطيع إنكار دور هذا التطوّر القياسيّ العمليّ في التّقليل من تكاليف المنتج والتحكّم في استغلال المادّة ألحبريّه، وتكمن الإضافة كلّ الإضافة في اتّكال الصّناعة على التّحديث التّكنولوجيّ الرّقميّ الذّي وفّر سجّلات تحكّم ومعالجة لضوابط غير متناهيّة تُلّبي حاجيّات المصمّم للوصول إلى إخراج متميّز للمنتج البريديّ.

هنا تقودنا عمليّة تحليلنا للتطوّر التّقنيّ وملابساته وتأثيراته في فاعليّة الإنجاز إلى العمل على اصطياد المفاعلات الرّقميّة بالخُصوص، فلقد عملت القراءة الإليكترونيّة على تحقيق مواضعة مثاليّة هي عبارة عن آليّة إليكترو فوتوغرافيّة تعتمد خلايا إليكترونيّة قارئة لعلامات التّطابق بين المُنتخبات اللّونيّة، وبذلك فإنّ التباعد بين الإشارات الصوتيّة يُفسّر طوعًا المطابقة غير الموّفقة في حين يعني التّطابق بين المفردات الصوتيّة مواضعة صحيحة، فتتحوّل كلّ هذه البيانات إلى أمر إليكترونيّ نافذ يضبط حركة الورق وميزانه في إيقاع تطابقيّ مثاليّ.

إنّ إيرادنا لهذا المثال ليس من وحي الصدفة إنّما هو سبب إضافيّ نُضيفه إلى قائمة الإحداثيّات المتفاعلة بين المنحى الصناعيّ والأسلوب الرّقميّ، فالمصنّع أصبح يلتجئ في عديد المراحل إلى استغلال ثوابت التّعيين وجودة فاعليّة المردود الإليكتروني ليُحقّق بالتّصنيع والمعالجة صياغة ناجعة وسريعة بأقلّ التّكاليف وبأبسط السُّبل التّطبيقيّة.

ساهمت حقًّا هذه الطباعة في تطوير المردود ألطباعيّ وجاوزت حُدود الإمكانيّات اليدويّة والميكانيكيّة لتُعطي تفاعلاً مع المنحى الرّقميّ الإليكترونيّ وتردّ على المقروء ألطباعيّ بنتائج مرضيّة تُواكب حاجيّات التّصميم التّي يسعى إليها المصمّمون منذ سنين، وفي هذا السّياق يُورد أديلاكروا E. Delacroix " بأنّه من غير الممكن أن نُصمّم في الأدب، في حين أنّ إحداث عمل فنّي يُؤثّر في الرّوح قد يُظهر فكرة عمل تجريبيّ أو ابتدائيّ به نستطيع أن نُعبّر عن فكر لا

متناه من ماهيات التّعبير"[1]، وبذلك فهي قد فتحت مجالاً واسعًا ومُستقبلاً يُـؤذن بحُـسن تدخّل المنهج ألمعلوماتيّ الرّقمـيّ الـذّي سـيرقى بالفعـل ألطبـاعيّ عـلى جميـع مـستويات الإنجاز رُقيًّا شاملاً.

4. إحداثيّات الأسلوب الطّباعيّ:

1.4. المسّطح الحجريّ الميكرو إليكترونيّ والارتسام المجهريّ:

لبّت الطّباعـة الحجريّـة نوعًـا مـا متّطلبـات الإخـراج وقواعـده في مـادّة التّـصميم القرائيّ، كما عملت على رسم مساحات مسّطحة في حضور لونيّ أقلّ حيويّـة ووضـوحًا مـن الطباعة الهيلوغرافيّة الّتي سبقتها، وبالرّغم من نعومة ملمس الـورق المطبـوع حجريًّـا إلاّ أنّ الطّبيعة المائيّة أثّرت في أولويّات الحُضور التّشكيليّ لعناصر الطّابع البريـديّ، فالأرضيّة بيّنة وموجبة في حين أنّ خواتم الحروف تعجز عن الارتسام بوضوح خاصّة إذا كـان الـنّصّ يعتمد تقنيّات الادّخار.

ولعلّنـا لا نتنـاسى أنّ التّـشكيلة الخطّيّـة تتمتّـع بحُـضور أوّليّ في الـصّياغة، غـير أنّ المنحى ألإنجازيّ في الطباعة الحجريّة يعجـز عـن المحافظـة عـلى الأولويّـات ويُقـارب فقط بين الأدوار، وها هُنا لا نستطيع أن نُنكر تراجـع قيمـة الرّسـم التّمثيليّ المـشخّص في مُقابل اعتماد ألوان متطابقة تعجز حتّـى عـلى تـصوير أدقّ جزئيّـات التّـصميم إضـافة إلا أنّ عُنصر المواضعة في الانتخاب اللّونيّ قد اختفى تمامًا، وبذلك أصـبحت الطباعـة تعتمـد ألوانًا حبريّه ممزوجة تُوضع على الحجـرة الكلـسيّة ليحـصل انطبـاع الأثـر بـين ورق نـديّ ومحمل حجريّ في عمليّة تدافع وتجاذب بين سُيولة المـاء ودماثـة الجـسم الزيتـيّ، وهنـا ينتهـي الإخـراج الخطّـيّ بحُـضور نفـس الـدّرجات الـضوئيّة وتُـساق المرجعيّـات اللّونيّـة

---

1 . *Eugène Delacroix*, (1980) Journal (1822-1863), lettre du 4 avril, 1854, page 480.

فتُصبح المفارقة التّقاربيّة أمرًا قائمًا لا محالة على تدرّج يـدويّ لا يُنـتج مطابقـةً حبرّيـه إلاّ عند تداخل الحبكات الحبريّه على اختلاف اتّجاهاتها.

وأمام هذا العجز الصناعيّ في عصر شهد عديد المتغيّرات أثّر ميـدان الالكترونيّـات الدقيقة microelectronics على قياس الأنظمـة الـصغيرة micro-system وسـاعد عـلى ضمان صيرورة الطباعة الحجريّة الضوئيّة optical lithography التّي تعمـل عـلى نمنمـة حجـم الجزئيّـات الإليكترونيّـة وكثافتهـا حتّـى بلغـت الحبكـة قيـاس أربعـين بادئة nanometer[1]، وبذلك أصبح هذا المبحث ألمخبريّ يُساهم في إعطاء العمل الطّبـاعيّ بُعدًا إليكترونيًّا، كما أنّنـا لم نتجاهـل البتّـة دور الـصياغة في إظهـار أدقّ جزئيّـات الحبكـة المركّبة للصُّورة عندما بلغت بالفاعلة الكيميائيّة دقّة واسعة لتأمين انطباع جزئيّـات الحـبر خدمة لأجزاء التّصوير المسّطح عبر عرض ضوئيّ صاهر ففعلت في الطبقات الكيميائيّة فعلاً موجبًا، وبذلك قد ساهمت الطباعة الميكرو-إليكترونيّـة بـصفة مبـاشرة وفعليّـة في تقريـر درجات انحلال اللّون المرّكب ودقّته.

يقوم اختيارنا في هذا التّقديم على أنّ الطباعة الحجريّة كانت تتحـوّل تـدريجيًّا إلى مفاعله رقميّة إليكترونيّة، فهي تنحت المـصفّحات بمـا يـضمن رسـمًا مثاليًّـا لأدقّ جزئيّـات التّصميم، وهي بالتّالي عوّضت قُصور الطباعة وعجزها على تأمين أعمال فنيّة تترّكـب مـن أجزاء صغيرة في تركيبة الرّسم خاصّة مع صـغر حجـم الطـابع وهـو مـا مثّـل حقًّـا إشـكالاً طباعيًّا بارزًا.

وبذلك تحوّلت الأنظمة الصّغيرة إلى تقنيّة قـادرة عـلى نمنمـة أدقّ جزئيّـات الصُّورة وترجمة علاماتها، ثـمّ إنّ الـصّور الفوتوغرافيّـة هـي محمـل خطّـيّ يُقـدّم عددًا لا متناهيًا من الدرجات الضوئيّة واللّونيّة، وهـذا مـا جعلهـا تجـد ضـالّتها في

1 . نانومتر هو جزء أو واحد من المليار من المتر، ويدّعى باللّغة العربيّة بادئة.

النّظام الميكرو-إليكترونيّ الذّي ضمن لها مثاليّة دقيقة في ترجمة الحبكة ودرجاتها بقصد تطوير مردود المنتج ودلالاته الجماليّة.

إنّ قصور فترة التطوّر الإليكترونيّ الرّقميّ في الطباعة الحجريّة لم يتجاوز السّنة والنّصف، بالرّغم من أنّها لبّت احتياجات التّصميم ووظّفت جليّا عناصر الموضوع القرائيّ وأمّنت توزيع ظلال المنظور المرئيّ ودرجاته، إلاّ أنّ طباعة الأوفست واكبت نفس الفترة التّاريخيّة وسجّلت أسبقيّة باثنتيْ عشرة سنة على صعيد إنتاجيّة البريد التّونسيّ ما جعلها تُحقّق تجاوبًا فعليًا على المستوى ألطباعيّ وبأقلّ التّكاليف وممّا أثّر سلبًا على دور الطباعة الحجريّة وجعل حُضورها مُتقلّصًا خاصّةً عند رسم دقائق النّصّ وإبراز جسم التّركيبة القرائيّ.

2.4. الإحداث الصياغيّ الرّقميّ:

في هذه المرحلة نكون قد قطعنا خلالها أشواطا من التدرّج في منطقيّة الفعل الطّباعيّ، وهنا نُلاحظ تواتر حركة التّفاعل من اليدويّة إلى الميكانيكيّة إلى أن بلغنا المجال الرّقميّ الإليكترونيّ الذّي حوّر طُرق صياغة التّصميم وأفرد منطقًا جديدًا للعلامة الخطّيّة وساهم كذلك في إثراء المحمل الطّباعيّ بما يُقدّمه من فاعليّة وجودة عالية للمُنتج البريديّ.

لذا فليس عجيبًا أن يهدف المنتج الطّباعيّ إلى تحقيق موازنة في مردود الإنتاج كميًّا ونوعيًّا فيُميّزها بشموليّة تفتّحت على شتّى مجالات التّطوّر الإليكترونيّ وارتبطت جدّيًّا بالتقدّم الرّقميّ، وهنا يتجاوز هذا التحوّل ألانصهاريّ كلّ الحدود فهو لم يُغيّر في تحضيرات الصّفائح ولم يُؤثر في صهر الأفلام ولم يُجدّد في عمليّات المواضعة الطباعيّة ليمرّ مباشرة إلى تحوير صياغات التّصميم من فعل يدويّ يعتمد رسمًا مائيًا أو أقلامًا جافّةً أو خليطًا من التّشكيلات الفنّيّة

إلى قراءة رقميّة تُخضع الصُّورة إلى مقاس الدّقّة النقطيّة[1] resolution، ما جعلها ترتهن في نظامها إلى نظريّة المُوازنات بين الورق والقياس والحساب الآليّ فتنتظم كلّ هذه البيانات وفق برمجيّات رقميّة تعمل على تحقيق متطلّبات التّصميم وتُساير طوعًا مُحدثات الصُّورة.

وهنا ليس عجيبًا أن تتفرّع الصُّورة بدورها إلى نوعيّن، فهناك صُورة قائمة على وحدة التّعداد المزدوج[2]bitmap وهي قراءة عينيّة لعمل يدويّ وفوتوغرافيّ يُحوّل قياس المثال من السنتيمترات إلى وحدة رقميّة تعتمد البوصة[3] pouce وتتكوّن من جزئيّة البيكسل[4] pixel - picture element، فتشمل مسحًا نظريًّا يُغطّي محوريْ المثال عموديًّا وأفقيًّا، في حين تُؤسّس الصُّورة القائمة على أبعاد اتّجاهيّة vector image عددًا من نقاط التحوّل المتكوّنة من منحنيات ومستقيمات وفق نظام رقميّ يضبط خصائص الرّسم ويُعيّن أدقّ ملابساته ويطبعه بقابليّة وطواعيّة وسلاسة في التّصوير والتّصغير والتّكبير بما يُثني على معالجة التّركيب والاستخدام ويُساعد على سُهولة استدراجها في تغيير المعطيات الرّسميّة بحسب احتياجات المصمّم والمتطلبّات الجماليّة واعتدال مشهد التّصميم.

---

1. **الدّقة النّقطية** تُقارب 2400 نقطة في البوصة مثلا نجدها في الإخراج الطّباعيّ لبعض النّاسخات، فإذا ما تحدّثنا عن خطيطة بـ 8 ضارب 8 فإنّنا نحصل على مجموع 64 نقطة، وبذلك نجد 8/2400 = 300 نقطة في البوصة، وتتوارد الاستعمالات بكثافة بين اللّغتيْن الفرنسية والانكليزية فـ dpi أو PPP تعني عدد النّقاط في البوصة، وإذا ما تحدّثنا على بطاقة رقميّة، فإنّنا نتناول المحمل الطّباعيّ القابل للتداول اليدوّي ثمّ يُفسّر المقابل المعنّوي عدد النّقاط في البوصة الخطّيّة للورق المعتمد حتّى نبحث في جدوى هذه الاستعمالات الواردة فإنّنا نُفرد كلمة بيكسل في البوصة لنفهم العلاقة التّحويليّة بين التّنظير الرّقميّ والمطابقة الورقيّة حتّى نُهيئ شبكة من البيكسلات المتجاورة لمسح مُعطيات الصُّورة، وهنا سنتوصّل إلى فهم العلاقة بين العنصر الرّقميّ وطريقة تحوّله إلى صفيفة Matrix ورقيّة، إذ يخضع كلّ المسح إلى عمليّة توافق تكبيريّ تُساوي حجم الإخراج النّهائيّ، فيتضاعف بذلك حجم الجزئيّات اللأقطة ويحصل توافق تضاربيّ بين بيكسل الانطلاق والنّتيجة النّهائيّة، وهذا ما يُفسّر تفاعل الدقّة النّقطيّة المختارة التّي لا تضمن توافقًا فحسب بين شاشة العرض والمثال الطّباعيّ إنّما تُوازي بين البطاقة الرّقميّة وخطيطة الورق المعتمد.
2. صورة ذات تعداد مزدوج، وتُسمى كذلك الصّورة النّقطيّة والصّورة الرّقميّة والصّورة القائمة على مزدوج الأعداد والصّورة القائمة على ثنائيّة الرّقم.
3. وحدة قياس أنجلوسكسونيّة تُساوي 2,54 صم بما يُقابل واحد من اثنتيّ عشر من القدم.
4. الوحدة الأساسيّة والأصغر لإنتاج الصُّورة النّقطيّة في النظام الرّقميّ، والمفرد في أصله تقليص عبارة "عنصر الصُّورة" وهو لا يُقرأ بالعين المجرّدة ويمسح امتداد وعرض الشاشة.

إنّها مرحلة تقنيّة متطوّرة لم تُساهم في معالجة درجات إضاءة الصّورة وتنقيحها فقط، بل تعدّتها إلى صُنع موضوع الإصدار وهيكلته، فتحوّل بذلك الطّابع إلى مادّة صائغة تتفاعل بسلاسة مع متطلّبات العمل في مختلف إيجابيّاته عبر أشكال متعدّدة من اختلافات البطاقة الرّقميّة المتداولة، كما أنّها خضعت إلى قياس متّفق عليه، فنظّرت معدّلات الدقّة النقطيّة بحسب اختيارات يفرضها العمل ألطّباعيّ.

تدخّل النظام الإليكترونيّ ليمسح كلا الصُّورتين الفوتوغرافيّة واليدويّة ويُقحمهما ضمن النّمط القرائيّ الرّقميّ، وذلك عبر برامج متنوّعة من تعديل وتنقيح النّموذج الأصليّ إلى تحسين جودته وتحويله مادّة قابلة للاستخدام الطّباعيّ، وإذا ما درسنا الصُّورة الاتّجاهيّة فإنّنا نتأكدّ من أنّها تُعتبر وليدة النّظام الرّقميّ وتخضع لمجموع مقتضياته وشُروط تحويراته.

3.4. ازدواجيّة التّعداد الرّقميّ:

تنتج الصُّورة الرّقميّة ذات التّعداد المزدوج تشخيصًا ضوئيًّا[1] وتعكس معطيات شاشة الحاسوب جميعها، كما تعمل على تحويل القياس المتعارف من السنتيمتر المتداول إلى لغة المعادلة الرّقميّة.

هنا تتدخّل الصُّورة في الفضاء الرّقميّ بواسطة آلة الماسح الضوئيّ scanner، ويُعاد بالتّالي تركيبها في التّعداد الرّقميّ ضمن عدد من برامج تعديل الصُّورة وآليّات تحويرها، وبذلك يُحدّد هذا المسح مختلف أبعاد الصّورة وقياساتها على مستوى العرض والارتفاع بحساب عدد البيكسلات المستخدمة في البُوصة الواحدة، وهذا ما يُوازي تمامًا في مُعادلات الدقّة النّقطيّة للآلة المشخّصة.

1 . التّشخيص الضوئيّ ويُعرف كذلك بالمسح الضوئيّ.

أ. نظريّة الدقّة الرّقميّة:

تلتحم الدقّة النّقطيّة بتركيبة الحبكة التّي تتوّزع بحركة تجمّع وتفرّق على مختلف المستويات الانتخابيّة للألوان الرُّباعيّة، ونستطيع من خلال هذا الفصل أن نقتحم الطبقات المتداخلة فنحفظ التّعديل ألحبريّ ونُوازيه بالأنموذج المحتذى، وبذلك ترسم المواضعة شبكةً واضحةً من الألوان المتمازجة وتُقدّم فرضيّات مختلفة في درجات اللّون وإضاءته.

هُنا قدّمت الدقّة النقطيّة تجاوبًا مع عدد ألياف الورق بحسب قياس البُوصة، وإذا ما ضبطنا هذه المُعادلة فإنّنا نكون قد حدّدنا كميّة الحبر بمُوازاة خُطيطة الورقة وذلك لتحسين مردود المُنتج الطّباعيّ، وحتّى نُحسّن من ضبط مقاييس هذه المُعادلة وجب وضع نظريّة الدقّة النقطيّة رهن التّطبيق لنُحدّد طاقة استيعاب الورق للمادّة ألحبريّه، والحقّ أنّ نظريّة الدقّة النقطيّة قد بيّنت أنّ ليفه واحدة تتطلّب نُقطتيّن من الحبر لتحقيق مردود طباعيّ جيّد، وبالتّالي فإنّ تجاوز هذا المقياس أو التّقليل منه يُنتج إمّا تغديرًا أو نُقصًا في الإشباع ألحبريّ لا يستوفي رسم مُكوّنات الرّسم.

الدقّة النقطيّة = الخُطيطة x 2 x نسبة تكبير الأنموذج الأصليّ

ب - نظريّة التدرّج الضوئيّ:

لقد أضاف هذا المنهج الرّقميّ الكثير في أُسس تعديل الصُّورة وتصويبها، وأصبحت القراءة الرّقميّة تعمل على إيجاد مُعادلات في كميّة الحبر تجمع بين صُورة ذات تعداد مزدوج وإعادة تحويلها إلى مادّة حبريّه سائلة تمسح الورق طباعيًا، لذا وجب أن نقيس معادلات التدرّج الضوئيّ في اللّون المُوجب المُنطبع على بياض الورقة، كما لا يجب أن تحمل الخُطيطة المتدرّجة انكسارات مرئيّة تشذّ عن رتابة الحركة اللّونيّة ونمطها، ووفقا لهذا المنهج وقع ضبط 256 مستوى

من درجات التدرّج اللّونيّ لتحقيق لون مثاليّ من قمّة كثافته إلى بياض الورقة السّالب عند غياب اللّون نهائيًا.

يعتمد هذا الاختيار منهجًا رقميًا يُحدّد وحدات قياسيّة تُدّعى قالب matrix، وهي عبارة على مُسطّح مربّع يحمل حبكة خطّيّة تتراوح بين 16 ضارب 16 بيكسل أو خطّة أضعف 8 ضارب 8 أو 4ضارب 4 أو 2 ضارب 2، حتّى نجد القالب الأصغر على الإطلاق وهو 2 ضارب 1 بما يُساوي 2، وتُنتج مجمل هذه القوالب كثافة لونيّة متفاوتة، وإذا ما تأمّلنا تدرّجًا مكبّرًا فإنّنا نلحظ أنّه يخضع لإيقاع متصاعد في توزيع البيكسلات يحتكم لنظريّة تربط بين مثاليّة الانطباع ألحبريّ وعدد الألياف في الخُطيطة الواحدة.

عدد درجات التدرّج اللّوني =	<u>**عدد الدقّة النقطيّة 3**</u> **عدد الخطيطة**

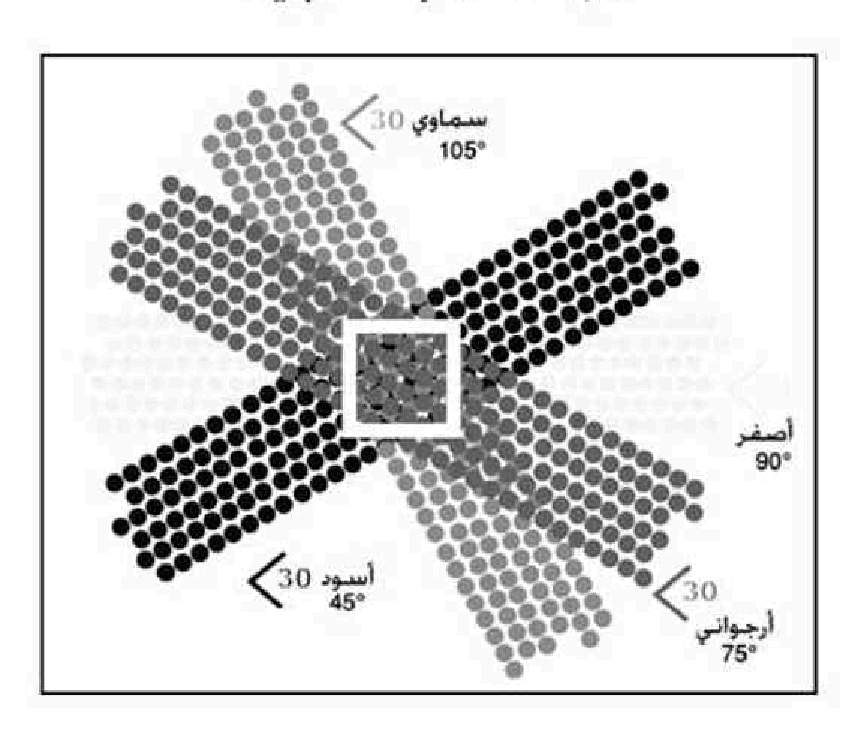
تشهد المُعادلة بين الدقّة النّقطيّة وحركة خطيطة الورق مقاربة رقميّة تُضفي على الحُضور ألحبريّ بُعدًا جماليًا إيجابيًا يزيد في جماليّة إخراج الطابع الرّقميّ، ولتعميم هذا الاختبار من المفروض أن نستنتج نظريّات معادلة حسابيّة تضبط موازين القياس وتفرض نظامًا مشتركًا يتبعه مُختّص المطبعة والمصمّمين قصد تحقيق اعتدال مرئيّ قرائيّ يُترجم القدرة الرّقميّة ويُفسّر استغلال مساحات توزيع التدرّج الضوئيّ، كما تعتني ملابسات العين في تعيين اختلاف تدريجيّ بين كثافة المساحة ألحبريّه وفراغ الورقة الأبيض، وبذلك مكّن الأسلوب الرّقميّ من توزيع درجات الإضاءة في اللّون وظهوره عبر قياسات اتّجاه وتوزيع مختلفة تضبط تواترًا منتظمًا في درجة كثافة اللّون إلى حدود انحلاله وانطباعه.

ج - نـظريّة ميلان زوايا الحبكة:

لقد ارتبطت درجة ميلان زوايا الحبكة بقدرات الإدراك البصريّة، وهنا نلحظ أنّ التطوّر التّقنيّ كان شاملاً في الجمع بين احتيّاجات الإنسان وتقدير درجة إدراكه المرئيّ، وبناءً على هـذا المعطى الفيزيائيّ المادّي جرى اختيار أضعف درجة ميلان لأقوى حُضور لونيّ وهي نسبة قُدّرت بـ45° درجة بالنّسبة للّون الأسود، في حـين أنّ الألـوان المتوّسـطة الإدراك قـد تمتّعـت بـدرجات ميلان أوسع لأنّها تحمل قدرة عالية على الظهور والملابسة القرائيّة.

وتُعتبر هذه الدرجات الأفقيّة أو العموديّة بأنّها الأقوى مـن حيـث الظّهـور للعـين القارئة فعلى سبيل المثال كان حُضور اللّون الأصفر ضعيفًا ليحمـل أقـوى درجـات المـيلان 90° درجة، أمّا الأرجوانيّ فهو متوّسـط مـن حيـث درجـة الإدراك البـصريّ وتُعـادل درجـة ميلانه 75° درجة، في حين يُعـادل الـسّماوي 105° درجـات، وبـذلك يُـوّفر اخـتلاف درجـة الميلان اعتدالاً مرئيًا في الحبكات المتطابقة ليُحقّـق أخـيرا ادّخـارًا مُتكـاملاً لطبقـات اللّـون ويُكوّن مَجمعًا مُتناغمًا للّون رُباعيّ مُتلاحم.

اتّجاهات الحبكة الحبريّه[1]

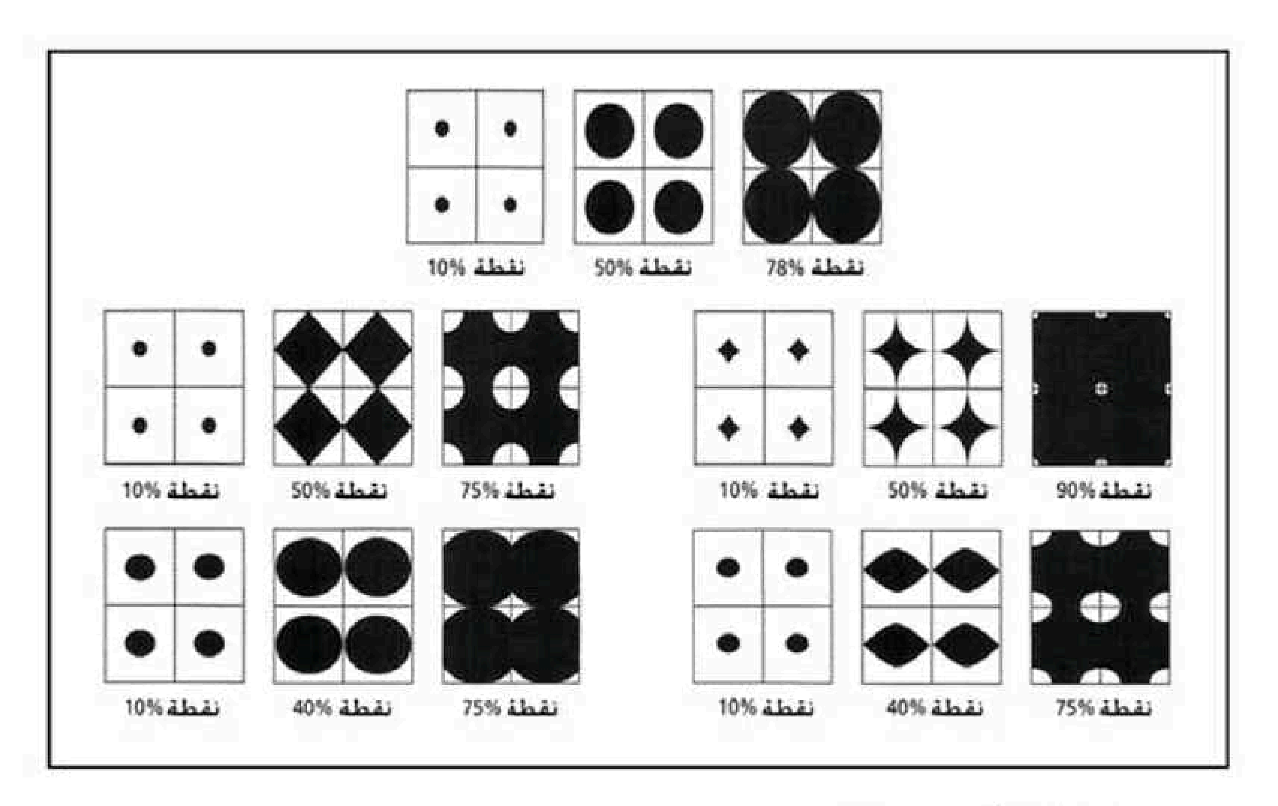


1.René Bouillot , (Juin 2005), *cours de traitement numérique de l`image*, France, imprimé par I.M.E. 25110 Baume-les-Dames, page 214.

د - هندسة نقاط الحبكة:

صاغ التطوّر التّقنيّ تشكيلة متفرّقة من مجموع نقاط الحبكة الدائريّة والمرّبعة والبيضاويّة والتّي سهّلت على آلة التّشخيص التّصويريّ تحديد شكل النُّقطة وهندستها عبر الحبكة المعتمدة، وبذلك يُعدّ الشكل البيضاوي من أحسن رسوم نقاط الحبكة إذ يعتمد مساحات تُعطي أريحيّة في درجات توزيع الحبر، في حين تُنتج النّقاط الهندسية مُطابقةً وتماسًا على أطرافها تُحدثها بفعل تلاصقها ما يُحدث تغديرًا مرئيًا يُؤثّر في جماليّة انطباع المادّة ألحبريّه.

هندسة نقاط الحبكة[1]



هـ - كثافة اللّون وعمقه:

ويُضاف إلى تقدير اختلاف دلالات الحبكة الخطيّة الإقرار بنظام تعديل آلة الماسح الضوئيّ حسب طبيعة كثافة اللّون وتقرير عُمقه القرائيّ، فالنّقطة ألحبريّه تكون كثيفة الظُّهور إذا ما وقع تعديلها على درجة «4»، بمعنى أنّ سواد

1.René Bouillot, (Juin 2005), *cours de traitement numérique de l'image*, France, imprimé par I.M.E. 25110 Baume-les-Dames, page 215.

اللّون أو درجة كثافته densityتُقرّر بحضور مُتناه للّون أسود مشبع أو رماديّ، كما تظهر درجات الكثافة المعتدلة في شكل لون رماديّ يُؤثّر سلبًا في صياغة مجمل الألوان خاصّة في المحامل الشفّافة، وهنا بالذات يتسرّب الإشعاع الضوئيّ بدرجة تفوت قدرة تشرّب المحامل الورقيّة المسطّحة.

خ - قياس البيكسل وازدواجيّته:

البيكسل[1] هو كذلك نظام مُعادلة للرّقم المزدوج ومن ثمّة وقعت تسمية الصُّورة ذات التّعداد المزدوج، فيُقدّمها رُوني بويات René Bouillot "على أنّها بطاقة رقميّة حاملة لشفرة ثنائيّة code binaire كثيفة في معطياتٍ الكترونيّةٍ عُنصرها الابتدائيّ هو البيكسل"[2] ويُعرّفها هارلد جونسن Harald Johnson بخريطة خُوينات[3] "تتّخذ وحدة تعدادٍ بمعنى التّعداد المزدوج الخاصّ بالآلات الالكترونيّة"[4]، فتقرأ آلة الماسح الضوئيّ8 وحدات مزدوجة بما يُقابل 2 ضارب4 وتُساوي 256 درجة، ثمّ إنّ ارتفاع عدد الوحدات المزدوجة المكوّنة للصُّورة يتفاعل إيجابيًّا ليُحسّن دقّة الصُّورة ويضبط عناصرها ومُكوّناتها ليُحقّق صياغة متكاملة للمشهد المرئيّ.

---

1. تقوم **الخوينة** على ثنائيّة الحضور أو الغياب، وتفسّر خوينة / بيكسل على أنّها جزء تقوم عليه الصّورة يتكوّن من ازدواجيّة المعلومة إمّا بالإيجاب أو السّلب، ذلك ما ينّقص في عرض دقائق الصّورة ويقوم على ثنائيّتيّن لا ثالث لهما، 1خوينة = مستويين أو درجتيّن، أمّا بالنّسبة للمثال الموالي، فإنّ 2 خوينة / بيكسال فتتحوّل الصُّورة إلى عرض أكثر الجزئيّات من حيث الدقّ○ة النّقطيّة، وبذلك توّفر الفرضيّة أربع احتمالات لفهم أدقّ معطيات الصّورة وتنقسم إلى 00، 01، 10، 11 بما يقابل أسود وأبيض ومستويين من اللّ○ون الرّماديّ، كما تصفها الصّورة التّالية، 2 خوينات = 1 لنبلغ 256 مستوى من درجات اللّون الرّماديّ، وهذا ما يُعادل تدريجيًا انتظامًا من الأبيض إلى الأسود فنمرّ بما يقارب 8 خوينات، وهي تقابل بلغة رياضيّة 2 ضارب ثمانية نتيجة تقدّر بـ 256 مستوى، 256 = 28 مستوى = (2 81 (2 x 2 x 2 x 2 x 2 x 2 x 2 x خوينات = 256 مستو، وبذلك نحصل على صورة رماديّة حاملة لعدّة مستويات من التدرّج الإضافي ثمّ نجد الدّرجة النّهائية تعادل الدرجات التّي يُقدّمها الحاسوب في تقسيم جزئيّات الصُّورة، فنحصل في الأخير على درجة 2 ضارب 8 وهذا ما يُعدّ من أقوى الإمكانيّات الرّقميّة لتوفير مجموع الفرضيّات التّي تُؤمّن وضوح دلالات الصُّورة.
2 . René Bouillot, (Juin 2005), *Cours de traitement numérique de l'image*, imprimé en France par I.M.E. 25110 Baume-les-Dames, page 1
3 .Harld Johnson, (2003), *l'impression numérique, réaliser des tirages de qualité*, Paris, France, Editions EYROLLES, page 53.
4. سهيل إدريس، قاموس المنهل، فرنسيّ عربيّ، الطبعة الحادية والثلاثون، بيروت، لبنان، طباعة دار الآداب للنشر والتّوزيع، 2003، صفحة 152.

ع - التّعداد المزدوج ومنطق الازدواجيّة:

تصوغ الصُّورة الرّقميّة ذات التّعداد المزدوج مفاهيم ونظريّات رقميّة وتتدخّل في طُرق صياغتها وتحوير محتواها الإليكترونيّ بما يتجاوب مع شكلها القرائيّ النّهائيّ وما يُحقّق جماليّة في المشهد الإدراكيّ ويُحسّن تقديمها لمتقبّليها.

وتُعدّ هذه المُعادلة الرّقميّة مُوازنةً بين الصُّورة الأصليّة وطريقة تحويلها إلى الجهاز الإليكترونيّ، لتُترجم لاحقًا إلى مادّة طباعيّة تُطبع على الورق، وفي ذلك نشهد تصميمًا متكاملاً يقرأ احتياجات القارئ ويُصوّب تقنيّاته نحو تشكيل مشهد مرئيّ معتدل، فهو يصوغ مراحل تعديل الصُّورة وصناعتها وتنقيحها ويجعلها هدفًا للرّسالة التّواصليّة حسب مجموعة من الضوابط المرئيّة من مرحلة تأمين وضوح الصُّورة وتوازن معطياتها إلى تحقيق انطباعها المثاليّ وتوازنها مع الورق المختار، ومن ثمّ ينتهي إلى مرحلة تحوّلها إلى مادّة حبريّه، وبذلك يتمعّن في الضوابط التّقنيّة التّي تعتمدها البرمجيّات الإليكترونيّة تلك التّي تدرس صُنع مفردات الوحدات المزدوجة.

ليس عجيبًا أن تضبط النظريّات الحسابيّة المحمل النّهائيّ بمقاييس رقميّة فتُحدّد توّجهاته الصناعيّة، ثمّ نحن نتطلّع في بداية البحث إلى **نظريّة الدقّة النّقطيّة** التّي حدّدت درجة استيعاب الورق وتشرّبه للمادّة ألحبريّه، وكذلك **نظرية التدرّج الضوئيّ** التّي أضافت قراءة تجسيميّة وافتراضيّة إلى درجات توزيع اللّون في اعتداله وتوازنه، أمّا بالنّسبة إلى **ميلان زاوية الحبكة** من لون إلى آخر فقد أثّرت في طُرق الانطباع ألحبريّ ما جعلها تتركّز بشكل يُخالف تفادي التّغدير والمُلابسات الطّباعيّة المتعارضة، ومن ثمّ نصل إلى **نظريّة تشكيل نقاط الحبكة** وصياغتها التّي عدّدت أحجام النّقاط وأشكالها بهدف تصوير مثاليّ لمُعطيات الصُّورة، كما أنّنا لا نستطيع تناسي دور **نظام الكثافة الضوئيّة** في إبراز درجة تعبئة اللّون المشخّص ومدى تأثيره على جُلّ القراءات اللّونيّة

المتعدّدة مع تنفيذ ربط منطقيّ استدراجيّ **لقياس البيكسل** ودرجة عمقه بهدف تكوين أجزاء الصُّورة وتحقيق أقصى قياسات حُضورها.

كلّ هذه المعطيات لم تُطرح على سبيل الصّدفة ولا حتّى أنّها خارجة عن إستراتيجيّة تطويع جماليّة الصُّورة وتقاسيمها، بل إنّها تُساهم في تحقيق فهم إدراكيّ تواصليّ للمُعطى الصّناعيّ الإليكترونيّ ومدى قابليّته لتحقيق إنجازات مرئيّة وصناعيّة ما جعلها تُضفي الكثير إلى جماليّة الصُّورة وتُساعد على ضبط مقاييسها وحسابها.

وهنا يفترض التّطوّر الصّناعيّ الرّقميّ مرحلة جديدة من التطوّع المادّي الملموس لأجل صياغة المادّة في حالة افتراضيّة متحوّلة ومتغيّرة من الأنماط القرائيّة المدروسة والمتداولة، وهي عبارة عن حركة لولبيّة تقدميّة متوثّبة داخل المجال العلميّ الذّي تضبطه وحدات التّعداد المزدوج، وكما يقوم هذا الحقل الخصوصيّ بتأسيس مُعادلة رقميّة قياسيّة تُقدّم ضمانات من التحوّل المرئيّ المدرك وفق نمط حسابيّ من التّركيب المعلوماتيّ الافتراضيّ، فتتحوّل بذلك الصُّورة الرّقميّة إلى مادّة غير ملموسة بل إنّها تتجدّد تدريجيًا وتصبح فرضيّة احتماليّة إلاّ أنّ أبعادها ومقاييسها تبقى تعتمد بالأساس على قواعد النّظام الطّباعيّ وفرائضه.

لقد يسّر هذا الاقتران بالمنظومة الرّقميّة حالة التداخل بين **العلامة** الماديّة **والطابع** الافتراضيّ ليلتحم بدوره مُجدّدًا بالملموس الماديّ، فيبدأ هذا الطّابع البريديّ من المرحلة الاليكترونيّة وينتهي في الأخير إليها، وحينها يتساءل المصمّم لماذا هذه المُراوحة ذهابًا وإيّابًا بين أُصول العمل اليدويّ وأنظمة الاتّصال عبر الخطّ الرّقميّ، ومن ثمّ يُعاود المصمّم البحث عن حُضوره الإيجابيّ الفاعل وفق معطيات طباعيّة تخدم ملابسات قراءته لتُحوّر المعطى التداوليّ، وهنا تتدخّل عدّة متغيّرات سنأتي على ذكرها مثل الإحداثيّات

الاجتماعيّة والتّجاريّـة التّـي أثّـرت في إسـتراتيجية توزيـع المحمـل فغـيّرت جُـلّ العلاقـات التّواصليّة التّفاعليّة من خلال ضوابط التّجارة الإليكترونيّة ومساراتها خاصّـة عنـد الاطّـلاع على مفهوم التواصل عبر الخطّ وعندها بلغنا النتيجة النّهائيّة لبثّ المحمل وتأكّدنا من أنّ قراءتنا العامّة قد حوّرت وغيّرت وفرضت عُمق التّساؤل ذاته.

هنا بالذات نحن نتساءل لماذا لا يتوّقف الطابع البريديّ في مرحلة إليكترونيّة ثابتة بل إنّه يُتابع دوريًّا مجموع أنظمة الاتّصال عبر الخطّ ؟ ثمّ ما مـدى إيجابيّـة التعـدّي إلى المرحلة الطّباعيّة واستئنافها ؟ ومن ثمّ كيـف تتمثّـل طبـائع هـذا المجـال وخـصوصيّته في فرض مُوازنة بين صياغة المحمل وتوزيعه الإليكترونيّ عبر تجسّد تداوليّ أو تجاريّ !

غـير أنّ هـذه الـصُّورة ذات التّعـداد المـزدوج لا تُلبـيّ فرضـيّات التّـصميم في جُـلّ وُجوهه بل إنّها تُنوّع في الاختيارات الصياغيّة وتُجدّدها، فـصياغة الرّسـالة التّواصـليّة عـبر الطابع البريديّ تفرض ثـلاث حـالات مـن الإخـراج التّـصويريّ، إذ أنّهـا أوّلاً تـسند الـصُّورة المُشخّصة إلى صُورة فوتوغرافيّة أو رسم مائيّ أو عمل فنّي يدويّ، ثمّ إنّهـا تُنظّـر قياسـاتها حتّى تنتهي في منظور **الرّقم**، ومن ثمّ تصوغ الفكرة في مستوى ثانٍ **علامـة** خطّيّـة حـسب ضـوابط الفـضاء الإليكـترونيّ فتُخـضعها للتّـصحيحات والمعالجـة لأجـل المـرور إلى مرحلـة الطباعة النّهائيّة في مرحلة ثالثة.

وفي هذا المنعرج القرائيّ الجديد نجد أنّ المحمل **الطابع** حامل **العلامة** ليس مُعطًى أحاديًّا مُنفـصلاً في قراءتـه الرّقميّـة بـل هـو يتعـرّض لعـدد مـن المنـاولات المتقدّمـة التّـي تُـؤثّر حـتمًا في طبيعـة إخراجـه النّهـائيّ بالإيجـاب، ثـمّ إنّ **الطـابع العلامـة** يتـصوّر ويُـشخّص ميكانيكيًّـا إلاّ أنّ إخراجـه يبقـى نـسبيًّا باعتبـار أنّ قراءة مساحته ألحبريه قد تغيّرت أثناء عمليّة الانصهار الضوئيّ ما أنـتج تحـويرًا في ملمحـه ومـا جعلـه يتلبّس بـبعض المُتغـيّرات النوعيّـة الظـاهرة في دقّـة النُّقطـة

وجماليّتها، وهذا ما لخّص فعلاً جودة انصهاره الحفريّ وما ساهم في ظهور أدّق المسّام ألحبريه، وكذلك في نجاح التّلازم بين الحبر مادّة وطبائع الورق الحامل للصُّورة الممسوحة .

وليس غريبًا أن يُحقّق الورق المصقول اختلافًا قرائيًا إذا ما قارنا ورقًا لامعًا glossy paper بورق كامد Matt a paper، وكذلك فنحن نلتمس درجات الاختلاف في قياس ارتداد الضوء إلى الآلة المشخّصة، إنّه نوع من الارتداد الضوئيّ الذّي يُترجم نسبيًّا بحسب قياسات كثافة اللّون والتدرّج المساحيّ للحبكة، فتعكس بذلك المساحة المقروءة اللاّمعة درجةً عاليةً من الإضاءة تتنافى تمامًا مع التّمثيل الدّقيق لمُلابسات اللّون الحقيقيّة، وهنا يُحدث اللّون اللاّمع a bright color اختلالاً نسبيًّا في قراءة المسح الضوئيّ خاصّة عند ترجمة ميزان اللّون وحُضوره، وذلك على عكس اللّون الكامد a matt color الّذي لا يرتدّ عبره الضوء فيُحقّق مُعالجةً متوازنةً أقرب إلى حقيقة اللّون وصفائه، ومن ثمّ تُساهم جُلّ هذه المعطيات في تغيير درجات الانصهار الضوئيّ وتعديلها بما يصبغ على العمل التّصميميّ فرضيّات عمل تنقيحيّ واجب، والنتيجة التّي نبلغها هو أنّ الصُّورة تفرض أساليب مُتعدّدة في أشكال المعالجة والتّصحيح بعد التّشخيص والمُداولة الرّقميّة.

4.4. أساسيّات تصحيح الصُّورة:

تُمسح الصُّورة المرئيّة بفضل عمليّة الانصهار الضوئيّ فتتحوّل بذلك القراءة الصُّوريّة إلى مادّةً رقميّةً تُقرأ أدقّ جزئيّاتها بلُغة الآلة على أنّها عناصر وجُزئيّات حسّاسة للدقّة الضوئيّة تُطلقها المشخّصات المسّطحة القارئة في الماسح الضوئيّ، وهنا ترتدّ درجة عُمق الكثافة اللّونيّة لتُحدّد المعلومة التّعداديّة الرّقميّة وتُفسّرها وتُحلّلها وتُترجمها بلُغة **الرّقم**، فيتدخّل كلّ عنصر ليترّكز في فضاء الافتراض ويُثّبت في نهاية الارتسام جُزئيّة من الصُّورة المرئيّة الممسوحة.

وبالقياس ترتدّ الدرجة القرائيّة ارتدادًا وتُحدّد معياريّة اللّون وتُفرّق درجات طرحه وتُقاس كثافته ممّا يُمهّد مستقبلاً اعتماد برمجيّات تنقيح تُعدّل في طُغيان الكثافة ودرجة تعبئتها وتُوازن طوعًا بين درجات الإشباع والإضاءة، وبالتّالي فإنّ اللّون سيُحدث توازنًا واضحًا بين الأُنموذج الأصليّ والبطاقة الرّقميّة التّي ستُطبّق لاحقا قاعدة الانطباع ألحبريّ.

اعتمد تحليل اللّون في الحقيقة استثناءات متفرّقة تعمل على تشكيل مادّته في شكل إخراج نهائيّ كما أنّه أنتج ترجمات قرائيّة متلازمة في التّعبير الخطّيّ مثل الإضاءة والإشباع الطبقيّ والتّركيبة الرُّباعيّة والمُعالجة المشخّصة عبر الطبقات، وذلك لتحقيق مُعادلة من التّرجيح اللّونيّ والتدرّج الضوئيّ في عدد من المتغيّرات التّي تتفاعل فيما بينها لتُحوّر المعطى القرائيّ وتُساعد على تحقيق إخراجيّة اللّون في أدقّ جزئيّاته المترجمة من المرئيّ الغير الملموس إلى المجانسة ألحبريّه.

أ - التّصنيف الطبقيّ للّون وتغييّرات الإشباع:

يُقرأ اللّون بتقنيّة الماسح الضوئيّ وهو تشخيص يعتمد مستويات تعديل تتحكّم طوعًا في شدّة الإضاءة أو العكس في شدّة القتامة، ويقوم مستخدم الأداة بترجيح النُّقطتين السّوداء والبيضاء لتحقيق توازن مرئيّ بين درجات الإضاءة والظلال بحسب اختلاف توزيعها وتفاوت نسب تداخلها داخل المساحة المُستقطبة.

ووفقا لهذا الاختيار لا نستغرب أن يضبط المصمّم مُعادلةً واضحةً للقيمة الضوئيّة في مساحات الظلال والإضاءة حسب رسم بيانيّ فارق حتّى يُنفّذ تغيّيرًا واضحًا في مُرّكب اللّون الرُّباعيّ، وبذلك فهو يُحقّق مُوازنةً بين طبقات الألوان الأوليّة في تركيبة رُباعيّة، غير أنّه من البديهي أن نتحدّث على مقاس الشاشة وطريقة عرضها المرئيّ فهي تخضع لنظام مرئيّ ثُلاثيّ يتكوّن من مجموع

الألـوان الـضّوئيّة ؛ أزرق وأخـضر وأحمـر، وبالتّـالي فـإنّ المُـصمّم ينخـدع بالبـثّ العـرضيّ وينحدر باللّون ضمن درجات إضاءة عالية تجعل مـن الـصّعب تحديـد ماهيـة الانتخـاب اللّونيّ ألحبريّ ودرجة إشباعه، وفي هذا المحلّ بالذات تُعدّ الموازنـة بـين مُعطيـات الـشاشة وحقيقة اللّون موضوعًا يطرح إشكالاً فعليًّا ؟؟ فإدراكيّة العـين تنـأى عـن تحديـد الخلـيط ألحبريّ وهنا يعتمد المصمّم التّجربة وعُمق الخـبرة الطّباعيّـة ليـضبط طبيعـة الاختيـارات ويُصنّفها ضمن حقل الألوان الرُّباعيّة، كما أنّـه يُنّظـر لتقـسيم آليّـات التّعـديل والمعالجـة ليخوض إمكانيّات تغيير مُركّبات اللّون ويضبط بالتّالي موازين حُضوره.

ب - ضوابط التّرجيحات اللّونيّة:

يُؤكّد الافتراض المرئيّ عند التّعامل مع شاشة الحاسوب أنّ الألوان لا تُسّجل حُـضورًا حقيقيًّا يُوازي الخليط ألحبريّ، لذا استوجب عـلى المـصمّم التـدخّل عـلى مـستوى تركيبـة الطبقات المكوّنـة للـمادّة ألحبريّـه لأجـل تعـديل ميـزان اللّـون وتـصحيح بياناتـه حـسب تشخيص صناعيّ تُؤمّنه احتياجات المنظومة الطّباعيّة.

وهنا لا يكتفي المصمّم بـالتّنظير الرّقمـيّ إنّمـا يُعـدّل ماهيـة اللّـون في مُروره عـبر الفضاء الافتراضيّ إلى واقع الطّباعة ألحبريّه عبر تقنيّة الأوفـست، وبـذلك تبلـغ احتيّاجاتـه حدّ الاختيار المشخّص والتّصنيفيّ بمعنى أنّ كثافة لون ثانويّ على المساحة المختارة يضطرّ الطّباعيّ إلى تصحيح هذا الطُّغيان بتعديل الألوان الأوليّة الرُّباعيّة، فيتـدخّل فعـل تنقـيح المصمّم تدريجيًّا على مجمل الطّبقات المكوّنة للنّتيجة المرئيّة النّهائيّة.

وفي هذا السّياق تحمل المادّة المتحوّلة اضـطرابًا في التّوزيـع أو التّركيـب أو تفاوتًا في الطُّغيان المرئيّ فتُواجـه بعـدم تـوازن الإشـعاع الـضوئيّ، بمعنـى أنّ كثافة حُضور اللّون تُـصبغ بـاحمرار أو اصـفرار أو اخـضرار ظـاهر نتلمّـسه في بعض الصُّور الفوتوغرافيّة التّي تُؤخذ في أوقات الظهيرة أو عند مطلع الشّمس،

ولتعديل هذا التّفاوت البيّن يعمل ميـزان الألـوان عـلى تـرجيح كفّـة اللّـون عـلى حـساب طغيانه إمّا بالميول إلى الأزرق السّماوي على حساب الأحمر أو الأرجواني مقاربـة بالأخـضر أو الأصفر بالنّسبة للأزرق.

وهنا بالذّات تحتمل الموازين الضّوئيّة عددًا من التّرجيحات المقتضبة غير أنّها تفـي بالحاجة إذا ما اعتمدنا طُرق المعالجـة والتّـشخيص الأخـرى، ففعـليّ التّـصحيح والتّنقـيح يعتمدان عادةً ترجيحات متواترة لضبط درجات الإضـاءة وتـأمين كثافـة الانتخـاب اللّـونيّ بنسب متفاوتة إلاّ أنّها تتفاعل بصفة موجبة إذا ما كان المصمّم ينطلق من معرفة بقوانين الطباعة وصيرورتها، بحيث يُصبح قادرًا على تحديد هدفه التّـصحيحيّ منـذ بدايـة عمليّـة التّنقيح إلى آخرها.

ج - المُوازنات الضوئيّة:

يدرس المصمّم درجات تعديل الإضاءة وتوزيع بُقعها المتفاوتة وهـو يعمـل في الآن ذاته على تفتيح أو تدكين حُضور النقاط ألحبريه على اختلاف درجاتها، وبذلك فهـو يُوجـد قراءة واضحة في مستويات التّباين ويضمن اختلاف المُفارقات الضوئيّة لأغلـب المـساحات الطباعيّة، فيُعزّز بذلك قيمة التّعديلات حتّى يُؤمّن جودة الصُّورة المرئيّـة في أدقّ جُزئيّـات ارتسامها.

ولـيس غريبًـا أن يُنّظـر توزيـع درجـات الإشـباع saturation في ثُنائيّـة الحُـضور والغياب التّعداديّ، وحتّى في عمليّة التّباين بين المساحات المُضيئة والداكنـة، وقـد يعمـد المتحكّم إلى تنقيح وحدة البيكسل بـصفة منفـصلة عـن بـاقي أجـزاء الـصُّورة أو حتّـى في محاولة التّقليل من درجة الكثافة بأدوات تـشخيص رقمـيّ، وبـذلك فإنّـه يعتمـد أحجامًـا نسبيّةً من الاختيارات المتنوّعة للأدوات الافتراضيّة التّي تختلـف قياسـيًّا مـن حيـث سـعة الإشعاع القُطريّ حسب المساحة المنتقاة.

هنا بالذات تتفاعل جُلّ هذه المقوّمات النظريّة لتصحيح مُعطيات الصُّورة وتعديلها من ذلك أنّها تدرس جميع الاحتمالات التّي تطرأ على تركيبة أجزاء المشهد المرئيّ، وبذلك فهي تتدخّل في درجة كثافة حُضوره الضوئيّ واللّونيّ وتعمل على تنقيح مشخّص وشامل بحسب احتياجات التّصميم وافتراضات المنحى الطّباعيّ بما يُقرّ تعديلاً مُوجبًا متوازنًا بين الإخراج المرئيّ لشاشة الحاسوب والمُعطى الماديّ ألحبريّ.

د - الاستبدال اللّونيّ:

حقًّا تتجاوز حاجة المصمّم التّنقيح والتّعديل الضوئيّ بل إنّها تصل إلى حدّ استبدال المعطى الاختياريّ لكلّ لون من أجل إيجاد معادلات جديدة في التّركيبة الخطّيّة واختياراتها، وقد لا يرجع هذا التّصحيح إلى أخطاء واردة في المسح الضوئيّ أو في اقتطاع مشهد فوتوغرافيّ إنّما يندرج ضمن تعديد المقترحات التّصميميّة وتجديد المنظر العامّ للعمل التّصميميّ، وبفضل سعة هذه الإمكانيّات بالذّات نستطيع أن نُدرك ما أتاحته لنا البطاقة الرّقميّة من طواعيّة وسلاسة في تحقيق الاختلاف المرئيّ لأجل تنويع التّصميم وصياغاته، ما قد يُؤهلنا لاحقًا إلى تجاوز الأُنْموذج الأصليّ بوصفه مُنطلقًا جدّيًا لإحداث عدد من المُتغيّرات المنهجيّة في التّركيبة وتوزيع الألوان ومستويات تفرّق درجات الإضاءة والظلال.

وهنا نجد حقًّا أنّ المنحى الرّقميّ قد بدأ ينفصل تدريجيًّا عن تشخيص المحامل المصمّمة بصفة يدويّة ليتعدّاها إلى إرساء صناعة إليكترونيّة متكاملة تجاوزت مرحلة المعالجة والتّنقيح إلى إحداث صياغيّ كامل يشمل عناصر التّصميم على اختلافها ويُلبيّ جُلّ احتياجاته، لنُصبح في هذا المستوى المرحليّ نقرأ أبعاد تنظير **الطابع الرّقم** وتاريخيّته، فنُساير المنهج المتّبع ونقرأ فرضيّات المادّة ألحبريّه المنطبعة ونُمّهد في الآن ذاته إلى مرحلة جديدة من الانفصال التّدريجيّ عن الآلة بالآلة لتأمين مستو عال من إخراجيّة المحمل الورقيّ المطبوع في المستقبل القريب جدًّا.

هنا بالذات نستطيع أن نُقرّ بأنّ البرمجيّات المعتمـدة تجـاوزت التّعـديل في الفعـل الصناعيّ ويسّرت فهم أخصّ مركّبات الصُّورة وأدقّ مفاعلات اللّون مـمّا سـاعد فعـلاً عـلى تحوير تفاعل المصمّم مع الآليّات الإليكترونيّة التّي لم تعد أجهزة لتسريب المعلومة فقـط، إنّما هي آليّات تُعالج وتتقدّم لتصنع وتُبدع المثال القرائيّ، وشيئا فـشيئًا لم تعـد التّعـديلات الرّقميّة تتدخّل لتحسين جودة المردود الرّقميّ للـصُّورة المطبوعـة فحـسب، إنّمـا أصـبحت تُنظّر لفرضيّات جديدة ترقى بالتّصميم في منهج فعليّ متطوّر.

II. إحداثيّات الصياغة الطّباعيّة وتأثيرها في انطباع الرّقم:

1. معادلات الإحداثيّات الاتّجاهيّة في الرّسم:

تقوم الـصُّورة الرّقميّـة في حُـضورها النّهـائيّ عـلى معادلـة حـسابيّة رقميّـة قياسـها البُوصة، فهي تضمّ عددًا من البيكسلات التّي تتفاوت بحسب نظريّـة الدقّـة النقطيّـة ثـمّ إنّها تخضع بدورها إلى عمليّة تسطيح مساحيّ، وهـذا القـول مفـاده أنّ الـصُّورة الرّقميّـة تتجزّأ لبيكسلات وتترّكب بدورها من جزئيّات ونقاط تركيبيّة.

غير أنّ هذا المثال المسطّح الصُّوريّ قد يكون تشخيصًا ضوئيًّا لأنموذج فوتوغرافيّ أو رسمًا يدويًّا ولكنّه يُمرّر إلى صورة اتّجاهيّة تعتمد على أدوات وتقنيّات البرمجة الإليكترونيّة لأدوب إليستراتور، وبذلك أُرجعت "التّركيبة الاتّفاقيّة الخطّيّة إلى تاريخ يُـستبدل بـسلاسة وبلا رمزيّة وبمعلومات محمولة بصريّة ملموسة ضمن فنّ حركيّ لتقنيـات الاتّـصال تُـدّعى الواقع الافتراضيّ"[1]، وهنا تتفاعل هذه الصُّورة في إخراجهـا الطّبـاعيّ انطلاقًـا مـن الوحـدة الحسابيّة الأساسيّة إلى أن تضبط حُضورها وملمسها وجسدها القـرائيّ عـبر نـسبة واضـحة من الدقّة النُّقطيّة المختارة سلفًا.

1 . Richard HELMICK, (1995), *VIRTUES OF VERISIMILITUDE IN DESIGN AND ART*, Department of Environmental Design, University of Missouri Columbia, MO 65211, U.S.A., Computer Graphics Art Vol. 19, No. 4, pp. 505-507.

يُعدّ الرّسم ألاتّجاهيّ رَسمًا رياضيًّا متحرّكًا يقوم على إحداثيّات التّحوّل التّي تتفرّق وتتوّزع على محورين أفقيّ وعموديّ، كما أنّها تتفاعل فيما بينها حتّى تضبط إيقاع الرّسم ومنحنياتـه وذلـك بعـرض مـسارات الحركـة وأبعادهـا، كـما يعتمـد نظـام هـذه التّقنيـة الاتّجاهيّة على نقاط متتالية ترسم خطًّا هندسيًّا يعمل على توفير طواعيّة وسلاسة تُمكّنـان مـن تـصحيح الخُطـوط وتغيـير المنحنيـات وتحـوير اتّجاهـات الخُطـوط لتحقيـق تـوازن واعتدال مثاليّ في الإخراج النّهائيّ للصُّورة الاتّجاهيّة.

وأضفت هذه التّقنيّة المستحدثة عددًا من الإيجابيّات في مهنـة التّـصميم الخطّـي، فالرّسم ألاتجاهيّ هو عبارة عن رسـم قابـل لـلازدواج والتّكـرر والتّـضاعف، فهـو يتفاعـل بالتّصغير والتّكبير دون أن يفقد أُسـس بنائـه عـبر إحـداث اتّجـاهيّ مرّكـب، حتّـى أنّـه لا يُخطئ ثوابت هيكله ويُوّفر سلاسة متناهية في ماهيـة ارتـسامه، فـتمطّط إحداثيّـة الـرّقم مسارها حتّى تُسجّل حضورها في محامل اشـهارية مختلفـة، فهـي تتطـوّع بالتّـصغير عـلى بطاقة جيب، أو تعتدل كذلك بالتّكبير في محامل حائطيّة تُجاوز أبعاد عرض وارتفاع بنايـة شاهقة.

وبذلك يُخضع الرّسم في شكله القرائيّ النهائيّ لضارب الدقّة النّقطيّـة الـذّي يحكمـه خاصّة طبيعة ورق المحمل الطّباعيّ، ثمّ إنّ كلّ هذه الإمكانيّات تخدم **الرّسم** وتفاعله من طواعيّة الأحجام القرائيّة وملابساتها لجُلّ مفارقات التّصميم ما يجعلها تنفتح عـلى مجـال واسع من الممارسات الرّقميّة، فيصوغها المصمّم بذلك ضمن منظومـة إليكترونيّـة مبرمجـة اتّجاهاتها ليضبط جُلّ عناصر التّركيبة بمفاعلات إيجابيّة تخدم مُستجدّات المنظور الرّقميّ.

تتطوّع هذه المادّة اللّزجـة المتحوّلـة لمختلـف الاختيـارات الرّقميّـة حـسب مُجمل المنظومات القرائيّة ووفق إخراج إليكترونيّ يتحوّل بدوره إلى مادّة طباعيّـة، فيُحقّـق مفارقـةً مـع طبيعـة الرّسـم اليـدويّ ويتجـاوز فعليًّـا محدوديّـة المـردود

المرئيّ للفعل الإنسانيّ، ثمّ إنّ المصمّم الباحث إليكترونيًّا في المفارقة التّصميميّة يُراوح بين عمل يدويّ وعمل رقميّ ويضبط الاختلافات الجوهريّة في طريقة الإخراج النّهائيّ للمبحث التّصميميّ ومنهجه.

يتناول المصمّم في مقدّمة رسمه ألاتّجاهيّ شكلاً متكاملاً لا يحتمل معاودة البحث ولا خُطوطًا مبتكرةً يُحدثها الرّسام على الورقة، فهو يصوغ شكل الرّسم وإيقاعه ويضبط افتراضيًّا جُلّ المحاولات الإحداثيّة التّي تتفاعل حركيًّا، ومن ثمّ لا يُبقي أثرًا مرئيًّا سيئًّا، فهو عبارة عن رسم مغلق تتحدّد أطرافه الاتّجاهيّة يمنة ويسرة في حركة دائبة متواصلة.

يعتمد الرّسم أشكالاً هندسيّةً حاملة لمحور وسطيّ كما تُصاغ نقاط تحوّله الرُّباعيّة والنّصفيّة والوسطيّة لتتدّخل في المنظور الهندسيّ بصفة اتّجاهيّة من أوّل نقطة تركيب إلى آخر نقطة، غير أنّ نقاط التّحوّل هذه تُمكّنك من إعادة تحريك جُلّ اتّجاهات التّوزيع مهما يكن الرّسم حركيًّا حُرًّا أو هندسيًّا، ثمّ أنّها تنتهي في آخر المطاف إلى إخضاع أدوات التّنفيذ التّي تُوّفرها برمجة الرّسم ألاتجاهيّ، فنلتمس حركةً سلسةً وطيّعةً تعمل على تقسيم المفردات التّصميميّة لأجل تحقيق صناعة مستحدثة في الرّسم المُرقمن.

لقد تحوّلت إستراتيجيّة الرّسم من يدويّ إحداثه إجماليّ إلى رسم اتّجاهيّ عنصريّ تتفرّق معطياته وتتحرّك افتراضيًّا على لوحة الشاشة لتضبط اختيارات المصمّم بتعديل اختياريّ لقوائم هندسة الرّسم وفق مشهد قرائيّ متّزن. وقد يتغيّر توزيعها وطرق تركيبها، ومن ثمّ يتدخّل المصمّم في حركة خطّها وطريقة رسمها حتّى يبلغ موافقة إجماليّة حول اتّزان المعطى المرئيّ والمنظوريّ، إنّه يتعامل مع كلّ وحدة رقميّة على أنّها عنصر متحرّك يحمل خصائص لونيّة وشكليّة متغيّرة دومًا، فيُطوّع حجمها ويُحوّر خواتم خُطوطها وزواياها ويفعل ويُؤثّر حتّى في سُمك الخطّ وطُرق إدراجه.

إنّنا لا نستطيع أن نُنكر جماليّـة الإحـداث اليـدويّ في افتعالـه حركـة الخـطّ الحُـرّ وطواعيّة أدواته التّي لا تبلغ المثاليّة، لكنّها تتّـسم بالعفويّـة والـسلاسة، وبالمقابـل فهـو لا يستطيع أن يحتمل إمكانيّات تداول واسعة لأنّه كلّ متكامل غير منفصل، وهاهنا تتفاعـل الصياغة بالأخذ والعطاء فالتّصميم يصنع تردّدات مؤيـدة وأخـرى نافيـة، وهكـذا دواليـك يتقدّم الرّسم ألاتّجاهيّ حتّى تـستقيم مفـردات التّركيبـة وتتـوازن إيقاعاتهـا، كـما أنّنـا في المقابل نُواجه خطيطة الورقة التّي تُحدّد درجـة اسـتيعاب المـادّة ألحبريّـه إلى حـدّ تعبئـة مسّام المحمل، كما أنّنا لا نُنكر عجز الصُّورة التّعداديّة في مرحلة متقدّمة من العمـل عـلى إحداث تغيّير في درجة الدقّـة النّقطيّـة عنـد المراجعـة والتّعـديل أو حتّـى عنـدما يُـشرف العمل على نهايته.

في حين أنّنا لا ننفي توّفر إمكانيّات الرّسم ألاتجـاهيّ عـلى قـدرة واسـعة في تغيّـير عناصر التّركيبة في أيّ مرحلة من مراحـل معالجـة التّـصميم، فكـلّ جُـزء هـو كـلّ متّـصلٌ منفصلٌ يتدرّج من تركيبة خطّيّة إلى مجمل عناصر الإنجاز الطّباعيّ، وما أن ينتقي المصمّم عُنصره المختار حتّى يُجري عليه مُجمـل التّغيّـيرات الـشكليّة الهادفـة إلى تحـسين المـردود الـصّياغيّ، وبـنفس قيـاس الطواعيّـة في صـياغة الرّسـم ألاتجـاهيّ يمـسح التّلـوين سـواء مساحات ممتلئةً أو متدرّجةً أو خطوطًا أو نقاطًا، فالصُّورة الاتّجاهيّة قادرة على أن تُقـدّم معطى تقنيًّا يتجاوز كلّ الفرضيّات اليدويّة ويُحقّق قدرة إنجاز سريعة وفاعلة.

تـصوغ البرمجيّـة الرّقميّـة مُجمـل الاحتياجـات التّـصميميّة وتتفاعـل إيجابيًّـا في ترجمـة إمكانيّات التّلوين اليدويّ، فهي تُقدّم مـدرجًا مـن ألـوان أوليّـة أو ثانويّـة، وذلـك لتحقيـق مـزج يعتمد بالأساس على اختيار المصمّم ويُلبّي الفرضيّات التّي يُقرّها المـنهج الـصياغيّ، ولقـد تجـاوز النّظام الإليكترونيّ هذا المستوى الاختيـاريّ ليُعطيـك إمكانيّـة انتقـاء ألـوان ضـمن لائحـة حبريّـه مصنّفة تُدْعى بانتون pantonier وهي تحمل بدورها عددًا متفاوتًـا مـن الخلـيط ألحبريّ عـلى ورق مصقول ومشّبع، ثمّ إنّها تعتمد بخلاف حُضورها الرّقميّ على مرجعيّة ورقيّة يتثبّت خلالهـا

المصمّم من حقيقة اللّون وحتّى من درجة إضاءته وتفاعله مع ورق المحمل فيُقرّ تطابقًا بين العرض الرّقميّ والانطباع ألحبريّ.

لملاحظ أن يرى أنّ صيغة الألوان الأوليّة ألحبريّه التّي تُعرف بألوان الطّرح subtraction color تمتزج لتُعطي لونًا أسود قاتمًا، وهي إذ تتفاعل فيما بينها فهي تُنْتج إمكانيّات متداخلة تبلغ 365000 احتمال لونيّ، وبذلك فإنّ صياغة اللّون المختار تحتمل محاولة بحث من المصمّم سواء بالمزج أو بالانتقاء بما يتجاوب مع حاجته التّصميميّة.

وفي نفس السّياق المتحرّر تفرض إمكانيّات التّصميم تنوّعًا يُحقّق تدرّجًا ضوئيًّا ولونيًّا بمُعادلات رقميّة مفتعلة، وذلك باعتماد أدوات ومشابك barrettes تتفاعل كُلّها وفق نظام مائوي يجمع الألوان، فتندمج بالتدرّج في اتّجاه زاوية المقياس الدائريّ أو المستقيم، ثمّ تُعطي البرمجيّة إمكانات متعدّدة لصناعة اللّون وتركيبته حتّى يصاغ التدرّج حسب مقياس مساحيّ يَقرأ المسافة المنتقاة ويضبط داخلها إشارات حاملة لعدد من الألوان الّتي تتدرّج بحسب المساحات والزوايا.

ووفقا لهذا التطوّر الإدراكيّ فإنّنا نُحاول أن نستوعب الرّسم ألاتّجاهيّ تركيبًا وصياغةً لونيّةً، ثمّ إنّنا ننتقل بهذا المثال إلى مرحلة رقميّةً هامّةً جدًّا عبر أُنموذج كان يُبْتَدَعُ يدويًّا ليتدرّج وسائطيًا مع جُلّ مُتغيّرات التّصميم، وبذلك انتقل مرحليًّا إلى فضاء **الرّقم** فلبّى بذلك شتّى المفارقات التّشكيليّة على اختلاف أنواعها وأشكالها، وليس غريبًا على المتأمّل في هذا التطوّر النموذجيّ أن يلمح مرْوديّة الإنتاج الرّقميّ وجودته الذّي بلغ منطقيًّا تجرّدًا كلّيًّا عن المحامل اليدويّة، وتحوّل سريعا إلى مسألة الفرائض الافتراضيّة التّي أضافت الكثير إلى فكرة تأسيس **طابع بريدي رقميّ** بكامل المُواصفات الاتّصاليّة.

إنّ هذا المبحث وإن اعتنى بالمنهج التّقنيّ وتطوّره فهو يُفسّر نُموّ الفكرة ويُبرّر الدّافع العلميّ الذّي مهّد لبعث موضوع كتابنا، فنُؤكّد وفقا لذلك بأنّ فاعليّة الإنجاز وجماليّة الإحداث تناولت بالدّرس المُعطى التّصميميّ بما يفرضه من ابتكار في مفاعلات التّنقيح والتّعديل إلى جانب تطويع الرّسم عبر آليّات الانتخاب اللّونيّ والهندسيّ، وهذا ما ساعدنا على تجاوز بذلك الأمد الإبداعيّ في تركيبة التّصميم وهنا تتفاعل حقًّا كلّ العناصر لأجل تحقيق رُؤية رقميّة متطوّرة ستبلغ بنا أقصى بحثنا وستُوّلد تفسيراً منطقيًّا للتطوّر التّدريجيّ في مجال التّصميم الخطّيّ.

لقد لبّى الرّسم ألاتجاهيّ حاجة التّصميم لخدمة شُروط التّركيبة والتّلوين كما أنّه تفاعل إيجابيًّا لأجل تشخيص الأحجام التّي تتراكب بدرجات متفرّقة من الإضاءة والظلال، وبذلك فلقد عمل صانعوا البرمجيّة على تحقيق شبكة تدرّج gradient mesh تتحرّك بالالتواء والإنحاء، ثمّ إنّها تترّكب من نقاط تحوّل anchor point تتدرّج باللّون والإضاءة فهي لا ترسم الشكل بقدر ما تصوغ ضوابط الرّسم وأحجامه حتّى تُصوّر حيثيّات الموضوع في حُضور خطّيّ متكامل.

هنا تُترجم نقاط التحوّل المفتعلة توزيع المساحات القاتمة والمُضيئة وسط الشكل المُنتقى، وهي بعكس الفعل اليدويّ الذّي يتدخّل داخل مساحة فاتحة إلى أن تُصبح داكنة، ينطلق التّحبير الرّقميّ عبر خطّ متدرّج داخل أرضيّة داكنة فيجعلها فاتحة، ثمّ يُوّزع المصمّم خلالها نقاط الإضاءة والظلال اللّتان تمسحان الشّكل من طرفه إلى وسطه أو بالعكس، ومن ثمّة يتوّلى المصمّم انتقاء نقاط التحوّل لتحديد اللّون المناسب وإعادة توزيعه حسب حركتيّ الحجم والإضاءة.

2. تراكيب اللأئحات الخطّيّة:

حاولنا في تأمّلنا للمرحلة التّأليفيّة تعديد أشكال صياغة الصُّورة الاتّجاهيّة أو القائمة على التّعداد المزدوج، ثمّ إنّنا قد عرضنا إمكانيّتيْ الإخراج الرّقميّ بحسب احتياجات التّصميم، وحاولنا استنتاج أنّ عمليّة الانتقال من الفعل اليدويّ

إلى المنظومة الرّقميّة قد اعتمد أرضيّة صياغة تحتكم لشُروط الصناعة الخطّيّة، وحتّى نردّ على جميع تساؤلات الانتخاب اللّونيّ من أمثال طريقة الرّسم وتحوير تركيبة الصياغة أو التدرّج بالإضاءة وغيرها، فلقد بات من المهمّ أن نُعرّج على قيمة الحُضور النصّيّ الذّي يُعبِّر عن الانتماء الوطنيّ الإداريّ والمطبعيّ، وهنا فقد عُرِّفَت التّشكيلة النّصيّة على أنّها عُنصر جذريّ يخدم تركيبة الطّابع البريديّ إذا ما كان طباعيًّا أو حتّى رقميًّا.

لذا، وتجاوبًا مع الحاجة الخطّيّة، واكبت متطوّراتُ الإدماج الرّقميّ مُعادلةَ تركيب النصّ وجُلَّ المتغيّرات الكتابيّة، ولذا عملت برمجيّة كوارك إكسبرس Quark Xpress وكذلك لاحقًا إن ديزاين in Design على تسوية تركيبة النصّ والصُّورة الخطّيّة، ولقد ساهمت كذلك هذه البرمجيّات في تحقيق مراحل التّحضير الطّباعيّ وتحويل البطاقة الرّقميّة إلى قياس ورقيّ مطبوع يحمل دقّة نقطيّة ثابتة، وكُلّ هذا قد يسّر تحويل العلامة الخطّيّة إلى واقع طباعيّ ملموس.

غير أنّنا لا نستوقف في كتابنا هذا المآل الطّباعيّ الذّي خدمه المبحث التّكنولوجيّ في مادّة التّصميم الخطّيّ فقط، فما استرعى انتباهنا هو أنّ التّشكيلة النّصيّة التّي خدمتها البرمجيّات الخطّيّة تظلّ دائمًا متواصلةً ومتّصلةً بتاريخ صناعة اللاّئحات الخطّيّة منذ فترة الطباعة النّافرة وهيكلة القوالب المعدنيّة.

وفي الأمد البعيد انتظم النصّ وفق لائحات متفرّقة من عائلات تصنيفيّة مختلفة، غير أنّه اليوم قد عزّز حُضوره وظهوره من جديد بأداة النّظام الرّقميّ، وفي الحقيقة فلقد تمّ تطبيق جميع المقاييس الكلاسيكيّة الخطّيّة المعتمدة سلفًا في الخطّ اليدويّ، ومن ثمّ تمّ تحويلها إلى نوع جديد من القياس المعاصر التّعداديّ بأدوات برمجيّة اليكترونيّة، وبذلك يكون قد وقع تأمين مجموع الفوارق الاستخداميّة الخطّيّة حسب منطق الاتّصال الإنسانيّ واختلافاته، وهذا ما ساعدنا فعلاً على فهم دورها في توظيف قسائم الحرف وتطويعه مادّة لزجة رقميّة واتّجاهيّة في نفس الوقت.

وليس غريبًا أن ينهمك الدّارسُون في تقيّيم الفضاء الفاصل بين السُّطور وكذلك قياس كلا البياض والامتلاء في هيكل الحرف، وهذا ما سهّل في الحقيقة تعديل ارتفاع عرض الحرف وذيله وساقه وبُنده لكي تتفاعل جميع هذه المراسم القياسيّة وتُصبح بيانات رقميّة تُساعد على بناء هيكل اللأئحة الخطّيّة في الفضاء الرّقميّ، ولقد استعانت الأنظمة الآليّة بدورها في تعديل مُشخّص وتصنيفيّ يُضيف إلى المشهد اللأئحيّ الخطّيّ حُضورًا وهيكلاً متّجددًا ينأى عن الإبداعات اليدويّة ويُحدث في الأشكال الكتابيّة الخطّيّة.

وإضافة إلى تنوّع المشاهد الخطّيّة وتجدّدها ومعاصرتها للتقدّم التكنولوجي، فلقد ساهم المصمّم في توظيف أنواع اللّوائح في رسالته التّواصليّة بما يُوازي موضوعها، وهذا ما جعله حقًّا يسعى إلى تعديد الوسائط الإليكترونيّة لتحقيق أبعاده الخطّيّة المتكاملة، كما أنّه أصبح من الممكن اليوم أن يُحوّل النصّ إلى رسم اتّجاهيّ أو أن يُغيّر نقاط تحوّله أو أن يُطوّع المادّة في شكل مُشخّص، وبذلك فهو قادر على دراسة هيكل الحرف والموازاة بين مساحتيْ امتلائه وفراغه وبذلك فلقد تمّكن رقميًّا من التّفاعل مع ثراء مكتبة الخطوط الرقميّة وكأنّه يتفاعل مع قدرات الفعل اليدويّ.

ومن الجائز في التّصميم أن يُقْدِمَ المصمّمُ على صُنع لائحة مشخّصة تعتمد بالأساس الانضباط بقوانين الرّسم الخطّيّ واعتدال وُضوح تقاسيم الحرف في تكبيره وتصغيره بما يحفظ شكله الانطباعيّ وأحجامه المختلفة. وبذلك فإنّه يرتبط بوحدة قياس النّقطة التّي تُعادل 0,36 صم وهو ضارب قياسيّ بين السّاق وذيل الحرف، وإذا ما تمّ تحديد مقاسات الحرف، فإنّ المصمّم ينتقل إلى مرحلة تحديد طُول السُّطور، وعرض الحواشي، وارتفاع الصفحات، بما يُعادل قياس الذّراع[1]pica، وهنا بالذات تتفاعل مجمل هذه القياسات لتضبط حركة الحرف

1 . وحدة قياس الأنجلوأمريكيّة وهي وحدة قياس تقليديّة تعمل على ضبط ارتفاع طول الحرف والفضاءات الشاغرة داخله، وتحسب الوحدة بقياس قاعدة 12 نقطة وبما يُساوي 4,216 مم1) بيكا = 0,351 مم(كما تجدها تُستعمل في برمجيات النّشر المكتبيّ.

وفق ضوابط النصّ القرائيّ، وهذا ما يُمّكن الدّارس من أن يلحظ أنّ تركيبة الضوابط النّصيّة حرّة ومقيّدة في الآن ذاته، فهي تُقنّن تشكيلة الأنظمة الحرفيّة وتُعطي إمكانيّة واسعة للتّحوير والتّنقيح في مُحاولات طيّعة وسلسة قصد تنويع المشهد القرائيّ الخطّيّ.

3.تطوّر المبدأ الطّباعيّ المسّطح:

يُمرّ المثال القرائيّ في مرحلة الدّمج الرّقميّ بثلاث مراحل، تتمثّل الأولى في صناعة الصُّورة ذات الوحدة الرّقميّة المزدوجة، والثانية في اعتماد رسم اِتّجاهيّ إضافة إلى التّركيبة النّصيّ، لتتحوّل الثالثة إلى التّشكيلة القرائيّة المتكاملة المتمثّلة في أنموذج **الطّابع البريدي التّونسيّ**، فلا يتوّقف **الطابع العلامة** في مرحلة إليكترونيّة بل يتعدّاه إلى استخراج **بطاقة الرّقم** بوصفه فيلمًا منصهرًا، كما يعمل الطّباعيّ على حفر الصّفائح المعدنيّة عبر طباعة مستوية تُعالج تنافرًا بين الحبر الدّسم والماء لتحقيق الانطباع ألحبريّ. وبالرّغم من أنّ هذه التّقنيّة قد وفرّت تنوّعًا في أحجام صفائحها ومداومة في استنساخ عدد هائل من أمثلة السّحب الطّباعيّ إلاّ أنّ التّنظير لطابع رقميّ لا يزال رهن الدّرس.

تُعدّ هذه المرحلة الطباعيّة متطوّرة ومُعقدّةً، فهي تشدّ المتأمّل ليُلاحظ شتّى المراحل الإنجازيّة ويتأمّل المنحى الإليكترونيّ الذّي غلب على الفترة الراهنة، ثمّ إنّها ما تزال تتقيّد حقًّا بثلاث تقنيّات مُتفاوتة: الأولى رقميّة تشمل تحضير المحمل الطّباعيّ، والثانية ميكانيكيّة تُترجم مرحلة الطباعة، أمّا الثّالثة فهي يدويّة تصوغ مرحلة أشغال ما بعد الطّباعة، وفي الحقيقة لا يجعلنا مجموع هذه المراحل نُنكر مدى التّعقيد المُدرج في تعديل الإخراج النّهائيّ للمادّة الصُّوريّة.

هُنا وجب الإقرار بأنّ الفعل الطّباعيّ يتأرّجح بين مضختيْ دفع الهواء وسُيولة الماء لضبط علامات المشهد القرائيّ، وتُحدّد بذلك القيم الضوئيّة ومن ثمّ تُثّبت انطباعيّة المادّة ألحبريّه، وبذلك تعمل كلّ هذه المحاولات على استنساخ

مُسوّدات تعمل على تنظير محمل مثاليّ، وهنا يقول مات ولمان Woolman Matt "تحوّلت اليوم صياغة الكلمات وتصوّر الورق بفضل نظام المعالجة وعرض المعلومات للُغة تواصل عبر فضاء الشّكل"[1]، وبما أنّ الطابع البريديّ يُنظَّر عبر أدوات الاستخلاص الضريبيّ بوصفه عُملةً مُتداولةً، فإنّ خلق فوارق لونيّة بين الأمثلة الطّباعيّة يُعدّ خطأ تقنيًا، ووفقا لهذا الإقرار يقع سحق الممسوخات المُسوّدة لضبط نسب السّحب بأعداد محدودة.

ومن التّعقيدات المعتمدة في صياغة الطابع البريديّ قلبًا وقالبًا هي مرحلة التّسنين، وهو عُنصر جماليّ قرائيّ يُعلّم حضوره بثقوب دائريّة تُستخدم بالأساس في فصل الأنموذج **الطابع** عن مثيله، ولقد تفاعلت آليّات التّسنين لتحقيق دور وظيفيّ يساهم في تنويع حركته وأشكاله، وهنا حوّرت مقتضيات الصياغة التّشكيليّة المنهج العمليّ من يدوي إلى ميكانيكيّ ثمّ انتهت إلى رقميّ، وبذلك تجدّدت طرق العرض وتنوّعت آليّات تطبيق هذا المحمل الخطّيّ بأن تحوّل من ركيزة خطّيّة ومرجعيّة ثريّة بالمتغيّرات إلى أُنموذج يتطوّر بحسب مُحدثات التّكنولوجيا ومستجدياتها.

إنّ التّطور مفهوم غير قابل للثبات، وبالرّغم من أنّ المبحث التّكنولوجي والرّقميّ ساع إلى تحوير كلّ القراءات التّقليديّة، فإنّ الطابع كمحمل متداول على ورق مصقول يتّصف بحركة بريديّة سريعة تُؤمّن الإرساليّات وتُوّثق المضمون التّواصليّ، الذّي قد يخرج عن موثقه ويُسافر ليحطّ الرّحال في عالم افتراضيّ مُستوحى وفرضيّ، ثمّ إنّه يُواجه بدوره صيرورة التطوّر التّي قد تنفي عنه الاستقرار والخمود، فيدخل في مشاركة فعّالة مع النهضة التجاريّة ويُساهم بدوره في إقحام مفاهيم التّحول الإليكترونيّ الاقتصاديّ بمنطق فاعل من التّحويرات

1 *Matt Woolman*, (Janvier 2003), *Donnès à Voir*, Thames & Hudson, Traduit de l'anglais par Raymond Borraz, publié en France, C&C Offset Printing, page7

التّقنيّة والاتّصاليّة المتّجددة، ومن ثمّ فقد وقع تحديث مفاهيم الإدراك المرئيّ وتبلوّر مقتضيات التّصميم ما جعلنا نلحظ أنّ محملنا ساعٍ لا محالة إلى أن يحتلّ مكانًا مُغايرًا فيسمو تدريجيًّا عن الإخراج الطّباعيّ الحاليّ ويُغادر إلى حيث انعدام القرار والثبات.

اعتنى هذا الباب بسرد تأليفيّ للمجالات التّقنيّة التّي ساهمت في تطوّر صناعة **الطابع** البريدي التّونسيّ، لذا فقد اعتنينا بتقديم تحليل تاريخيّ متدّرج يصف أسباب كلّ تحوّل تقنيّ وانعكاساته وُصولاً إلى المرحلة الحاليّة التّي طرحت إشكاليّة بحثنا في هذا الكتاب حول مُتغيّرات **الرّقم والعلامة**.

بيد أنّ تركيزنا على المنحى الصناعيّ التّقنيّ لم يكن من محض الصدفة، بل يُعتبر من أهمّ الرّكائز التّي نُرجع إليها منطقيّة التّنظير لمحمل رقميّ يتعدّى الطباعة الميكانيكيّة والتّحضير اليدويّ ليشمل مجموع التّطوّرات التّكنولوجيّة الإليكترونيّة التّي تعمل على قراءة جُلّ احتياجات التّصميم المُعاصر.

وفي نفس المستوى التّطوّري واكبت الفترة الصناعيّة تراجع المبادلات التّجاريّة، ممّا أدّى إلى تقليص التّوزيع الشرائيّ **للطّابع** البريديّ العالميّ بصفة عامّة والتّونسيّ بصفة خاصّة، ولقد برز هذا التّراجع خاصّة أمام قيام معطيات اجتماعيّة واقتصاديّة ونفسيّة أثرت بصفة مباشرة في حُضور المحمل ووُجوده العمليّ، ومهّدت بصفة غير مباشرة في التّنظير والتّحضير لإقامة حُلول استثنائيّة لا تقطع مع القديم ولكنّها تحاول أن تفرض أساليب وطُرق أكثر جدوى وفاعليّة في التّفاعل التّواصليّ.

ولعلّ هذا كلّه قد حمّلنا مسؤولية الإحداث التّكنولوجي بأن نعتمد نتائجه في بقيّة العمل، ونسبر غوره في محاولة لفهم كلّ المقتضيات التّي أحاطت باحتمال التّنظير لأُنموذج رقميّ، فنُجمّع الأسباب والمُسبّبات معًا، خاصّة تلك التّي هيّأت لصياغة فضاء مُدمج ومُعقّد حتّى نبلغ بطرح المحاولات والمقتضيات فكرة المآل

المثاليّ الذّي سنّه المختّصون لإثراء **الطابع** البريديّ واسترجاع حضوره، سعيًا منّا إلى المحافظة على المعطى التداوليّ وسنّ نظم تتفاعل زمنيًّا مع حركة التحوّل القرائيّ وتطوّرها.

فما مدى تراجع **الطابع** البريديّ التّقليديّ في المبادلات البريديّة ؟ وما هي خُصوصيّة الظرفيّة الرّاهنة التّي ساهمت في تجديد المفهوم التّواصليّ الرّقميّ ؟ ثمّ ما هي أسباب تراجع التّوزيع الشرائيّ **للطابع** البريديّ عالميّا ؟ ثمّ ما مدى تطوّر مميّزات الفضاء الاجتماعيّ والاقتصاديّ وتأثيراته في تحوير نمطيّة المُبادلات البريديّة ؟

خاتمة الباب الأوّل

يُعدّ هذا الباب رُؤية تاريخيّة لمُحدثات **العلامة الصّوريّة** في ثُنائيّة "**الطابع والعلامة**" فهذا الباب هو تقنيّ صرف يبحث في كلّ الابتكارات والمُحدثات والمُفاعلات التّقنيّة التّي تعرّض لها هذا المحمل منذ بدايات ظهوره إلى مُوفّى العصر الحاليّ.

وتكمن أساسيّة حُضور هذا الباب في طرح فرضيّات التّقنيّة ومستجدّياتها قبل الانطلاق في تناول إشكاليّة الكتاب، كما يتولّى هذا الباب عرضًا مُوجزًا لمواطن العجز ومُحدثات الإنجاز، وذلك بعرض كلّ الصُّعوبات التّقنيّة والإشكالات اليدويّة التّي تحدّ من جودة إخراج موضوع المدوّنة المتمثّلة في **الطابع** البريديّ إلاّ أنّها تُفسّر تأثير التّقنيّة وثراء إحداثيّاتها في تحسين جودته وتطوير إخراجه.

وستُمّكننا هذه الالتفاتة إلى الوراء من فهم قيمة المتّصوّر الخطّيّ وتقدير المُحاولات الحثيثة التّي استهلكت زمنًا فائتًا بل لنقل قُرونًا من البحث والاستقصاء والتّجربة والاختبار حتّى يرقى المُصمّم بجودة **العلامة الصُّوريّة**، ويُطوّر بالتّالي كيانها وبنيانها وجاهزيّتها للانطباع المثاليّ.

وسنفهم من خلال عرض هذا الباب في مرحلة لاحقة أنّ المُحدثات التّكنولوجيّة هي ذاتها السّبب الأساسيّ في دفع **العلامة الخطّيّة** بأن تتحوّل إلى رمز تداوّليّ وتبادليّ داخل سياق متكامل من ثنائي العرض والطلب في منظومة تُدّعى بريديّة، وسنقوم لاحقًا في الأبواب الثلاثة التّالية إلى كشف إستراتيجيّة توزيعها وصرفها وتقدير مُلابساتها وطرائق قيامها لأجل تحقيق أشكال محدثة في الاتّصال والرُّقي بها، ومن ثمّ سنتطلّع في باب ثاني إلى فهم قيمة **الطابع والتّبادل** وسننتهي إلى تقدير الوجاهة في سياسة تخطيطها، وأمّا في الباب الثالث فسنتناول تحوّل **العلامة إلى إستراتيجية توزيع وصرف** وسنقف آخر المطاف على ركائز **العلامة رقمًا** في باب رابع يُقدّم سريعًا مُداولات التّواصل عن بُعد وطرائقها.

الباب الثّاني

الـطـّابع والتّبادل ...

قراءة في مُحدثات السُّوق التّجاريّة البريديّة

مقدّمة الباب الثاني

ننتقل بالبحث نحو باب ثان تحت عُنوان "**الطابع والتّبادل، قراءة في مُحدثات السُّوق التّجاريّة البريديّة**" ويُبوّب الباب وفق فصليّن مُتوازنين ومُتوالدين عن بعضهما يختّصان في مجملهما بتقديم الأُنموذج ألا وهو **الطابع**، وهنا بالذات يعتني الفصل الأوّل بربط العلاقة بين **الطابع والعلامة** البريديّة الاتّصاليّة، في حين نكتشف في الفصل الثاني هيكلة السُّوق البريديّة والقائميّن عليها والمحتكرين داخلها والمنّظمين لها، فنتّجلى بذلك شُروط السُّوق وخُصوصيّتها وتفاوت العلاقات التّجاريّة بين أعضائها الدائميّن وكذلك عابريّ السبيل.

ارتأينا أنّ أوّل إحداث جدير بالذكر هو تقديم أُنموذج بحثنا في فصل أوّل يُعنى بتعريف العلاقة بين **الطابع والعلامة**، فهذا المحمل يتصوّر في شكل **علامات** جبائيّة وحضاريّة وتبادليّة متفاعلة وفاعلة في الآن ذاته، ولمتأمّل أن يقرأ تحوّلاته الوظيفيّة وشحنة أفعاله التداوليّة، فهو أوّلاً أداة استخلاص مادّي يُؤدي وظيفة العُملة بما تحمل من شفرات تأمين وسرّية في التّداول وتقييم خاصّ في التّعامل مع المادّة الماليّة في شكلها البريديّ، وهو ثانيًا **علامة** مرئيّة اتّصاليّة تروي الحاضر وتُسّجل لحظة الآن التّي تنتقل رُويدًا رُويدًا إلى حدث عابر ماض، فيخّط **الطابع** بصمته ويُسّجل نفسه على أنّه **علامة** تاريخيّة وحضاريّة متجدّدة دومًا ومرجعيّة سلفًا، وهو ثالثًا **طابع** يتعالى عن جسده الورقيّ فيتصّعد في شكل أداة قابلة للتّجميع والتّداول والتّبادل، فيشغل بذلك الهُوّاة ويُنبئهم بقيام تجارة ذات مُواصفات عالميّة.

أمّا الفصل الثاني تحت عُنوان "**هيكلة السُّوق وإستراتيجيّة التّسويق**" فيقتحم بنا بنائيّة هذه السُّوق وخُصوصيّتها، كما قد يتّخذ **الطابع** لنفسه منهج الهواية والغرام المفرط بالتّجميع، فكان لنا أن طرحنا أمامك سيّدي القارئ مفهوم "نشأة الهواية" في محور أوّل حتّى نصف القائمين على إنماء الهواية والسّهر عليها بداية من سُلطة الإشراف الإداريّ إلى سعة المدارات البريديّة وتعدّد القائمين على توزيع **العلامة الطابع**، وكذلك السّاهرين على قيام دوره البريديّ ومن ثمّ تحوّله رمزا تجميعيًّا **علاماتيًّا**.

وليس غريبًا أن ننتقل في محور ثانٍ إلى تفكيك تركيبة هذه السُّوق البريديّة وطرح الإجابة حول السُّؤال التّالي، هل نحن بصدد دراسة سُوق منتظمة ثابتة أم هل أنّها سُوق متحرّكة غير منتظمة ولا حتّى ثابتة ؟ إلاّ أنّنا اكتشفنا بالبحث والاختبار أنّ هذه السُّوق البريديّة تتكوّن من كليهما معًا، ثمّ إنّ بحثنا استقام منهجه في دراسة مدى التّفاعل بين السُّوق المنّظمة والسُّوق غير المنتظمة ؟ فاستفسرنا حول مدى تدّخل الأطراف الثانويّة في الدّائرة البريديّة التّجاريّة من وُكلاء وتُجّار ودلاّلين يتواصلون ويتّصلون، وهُم بالتّالي يُؤثّرون في عائدات المنتج البريديّ بالإيجاب أو السّلب ؟

لقد تناولنا في تقدّم البحث إمكانيّة التدرّج إلى محور ثالث يعرض طبيعة هذه السُّوق ومقاييسها، وذلك بأن نستدّل على الفئات العُمريّة وأجناس المتّدخليّن والمُؤثّريّن في حركة العرض والبيع التّجاريّ، لنبحث في منطق الإجابة حول طبيعة الهُواة وأصنافهم؟ وعُمرهم الافتراضيّ ؟ ومدى تنوّع اهتّماماتهم ؟ وننتهي إلى كلا القيمتيّن المستخلصتيّن من **العلامة** التّذكاريّة المتداولة وكذلك من **العلامة** البريديّة العاديّة ؟

I. الطابع والعلامة:

الطابع البريديّ هو ورق صغير مطبوع يحتلّ مكانًا أعلى الظرف يمنة أو يسرة، وهو **علامة** استخلاص تربط بين إدارة البريد والمُرْسِل لتحقيق فائدة اتّصاليّة، وهذا المحمل الخطّيّ هو علامة أوّليّة تُؤكّد أنّ خدمة التّراسل قد تمّت بين طرفين مُتباعديْن، وذلك هو دوره الأساسيّ الذّي أُنيط بعُهدته فكان سبب وُجوده وبعثه، غير أنّه ونظرًا إلى تنوّع مجالات اشتغاله فلقد غيّر موضوعات صُدوره وأصبح يُؤدّي أدوارًا وظيفيّةً جديدة تدور حول ثلاثة محاور أساسيّة، فهو إذا:

1. وصل له قيمة ماليّة لأجل خلاص معلوم بريديّ.
2. أداة لإحياء التُّراث الوطنيّ
3. مُنْتج قابل للتّجميع والأرشفة وتختلف قيمته التّذكاريّة في الواقع عن مُجرّد قيمته الاسميّة

1. الطابع علامة خلاص معلوم جبائيّ:

يُعدّ **الطابع** إقرارًا بالقيمة الماليّة التّي يُحدّدها معلوم الاستخلاص والأداء الضريبيّ، فهو عبارة عن معلوم جبائيّ مقابل خدمة بريديّة، وهو كذلك ما يُعبّر عنه بخلاص خدمة بريديّة في حُدود القيمة الاسميّة المُقرّرة، ووفقا لهذا المنظور الاتّصاليّ فإنّ **الطابع** يتحلّى بقيمة تعاقديّة بين طرف مُؤسساتيّ وآخر شخصيّ فرديّ، فيُقاس حجم صادراته بإحداث تعديل مُتوازن بين مُتطلّبات السُّوق وحجم المبيعات التّي تُسدّيها إدارة البريد.

وفي الواقع التّونسيّ يُنّظم البريد مجموع المبادلات التّجاريّة الاتّصاليّة ويتحكّم في حركتي العرض والطلب، وهو بذلك يفرض بالضرورة تسيير الوحدات التّبادليّة والإرساليّة التّي تُحقّق توازنًا بين عُقود الإرسال والبعث بين

طرفين متباعدين من حيث المسافة الفاصلة بينهما، وهنا لا يجب أن يتجاوز الإقبال على اقتناء **الطابع** القدرة الشّرائيّة للمستهلك لأنّ خلاف ذلك قد يجعل هذه المادّة النّقديّة تتراكم فلا تستوفي حجم المشتريات ومن ثمّ سوف تُعطّل حركة المبيعات.

وفي هذا المقام بالذات يتسبّب تضخّم التّزويد النّقديّ إلى تراكم في المادّة البريديّة ما يجعلها قد تتجاوز حجم الطّلب وهو ما يُمثّل في الحقيقة عائقًا مصرفيًا، لذا يُنتج ارتفاع قيمة المحمل التّداوليّة بالنّسبة لهُواة جمع الطّوابع البريديّة إمكانَيْتين فيقع إمّا الإقبال والتّهافت عليها أو إهمال المادّة المطبوعة ما يُؤدّي طوعًا لإتلافها، وبذلك يجب أن تُعدّل موازين الصّرف ضرورة بوصفها تخضع لقياس حسابيّ مرتبط بالسُّوق البريديّة، فهي أوّلاً تعتمد الحفاظ على القيمة النّقديّة للمنتج البريديّ وكما أنّها تعمل على تعزيز مكانة **الطابع** الماليّة ثانيًا، وهنا يُصبح **الطابع علامة** على حُضور المحمل في شكل خلاص مرسوم بريديّ أو جبائيّ وهو كذلك يُحافظ على مقاييس الإخراج التّصميميّ وضوابط السّحب الطّباعيّ.

لذلك فإنّنا نذكر على سبيل المثال أنّ إدارة البريد قد تلجأ إلى بيع طوابع قديمة في الأسواق الموّجهة للسائح والزّوار حتّى تضمن سلامة المحمل التّواصليّ وتحميه من التّزوير، وفي نفس الوقت فهي تعمل على صرف الكمّية المتراكمة من المحامل الخطّيّة المطبوعة الّتي لم يقع عليها إقبال في الاقتناء والصّرف، ومن هنا فقد عمدت إحدى إدارات البريد العالميّة مثلا إلى "بيع طوابع تُلصق على ظهر تذكرة دُخول إلى حفلات فنّيّة قصد التّصديق على صحّتها" وتسهيل توزيعها وتقريبها من المستهلك في سوق عرض جديدة تبتعد عن الفضاء التّقليديّ المتداول لبيع الطابع وهو إدارة البريد ونقاط توزيعها.

2. الطّابع علامة إحياء التّراث وتطويره:

إنّ **الطابع** هو سفير يُسجّل حركيّة فاعلة بين مرجع الانتماء والمحيط الخارجيّ من حوله، وقد وُصِفَ بِأَنَّهُ شَاهِدٌ على عَصْرِهِ، وعلى أنّه مرآة تعكس واقعه وتُصوّر وقائع إصداره، فهو يُصوّر في مستوى شكله ظرْفَيْ الزّمان والمكان اللّذَيْنِ أُنتج فيهما، ثمّ إنّه كما وصفه دينيس ألتمان في كتابه سُفراء من ورق وهو بحسب عبارة هارولد إيكس "جُزء لا يتجزأ منَ التَّارِيخِ، كلمة خالدة في سجّل البشريّة، وهو صُورة عن مثال يصدر من صميم القلب البشريّ، فالتّصميم الّذي يُطْبَعُ على **الطابع** البريديّ ليس سوى مرآة تعكس واقع الوطن في مرحلة من التّاريخ"، وهكذا فإنّ **الطابع** البريديّ وفقًا لتحوّل صيغته الخُصوصيّة يُضحي تعبيرًا عن مرجعيّة ثقافيّة ما، ونصًّا يسرد موضوع تنظير جماعيّ، ومادّةً قرائيّةً تتعايش الآن والغد لتُقدّم دراسةً عينيّة في عدد من وجهات النظر السياسيّة، وبذلك فهو يُصبح **علامة** من **علامات** الثّقافة الفارقة وصُورة للأحداث المتتالية تُسجّلها الذّاكرة الإنسانيّة وتُخلّدها، فيلعب **الطابع** دور الصُّورة المصغّرة المقتطفة من الوضع العامّ وعرضًا سريعًا لمُجريات الأمور في الثقافة والثروة الحيوانيّة وحتّى النباتيّة إلى جانب تعدّد الإنجازات وتجدّد النجاحات وتواتر الأحداث.

تشكّلت صياغة الطابع في مثال يُعزّز الصُّورة الوطنيّة ويُسجّل أهمّ أحداثها، فهي تُقدّم معلومات ضافية عن الأحداث، ثمّ هي تُعتبر خير شاهد على عراقة البلد المصدّر ومجده، ثمّ إنّ الطابع البريديّ هو ذلك المحمل القادر على تعزيز الهويّة الحضاريّة، ومن ثمّ فهو يُثّبت أحداث تاريخه ويُساهم في الإعلاء من شأن الانتماء الوطنيّ كما ينقل الإيديولوجيات عبر سياق تاريخيّ منتظم، ما جعل عدّة دول تُؤكّد انضمامها إلى المنظّمات الدّوليّة للبريد العالميّ بالرّغم من حداثة عهدها في التّصوّر الإعلاميّ دُوليًا، وهذا ما جعل جُلّ هذه الوظائف

البريديّة تنتظم في برامج سياسة الإصدار الّتي تُعَدُّ برمجتها سَنَويًّا، ثـمّ إنّ طبيعـة الإصـدار ونوعيّته أصبحت بمثابة مرآة تعكس جودة الابتكـار وتُمثّـل القـدرة الـصناعيّة المتطـوّرة في توثيق أحداث الواقع المتغيّرة.

وقد ذكرنا في الباب السّابق تفاصيل المنحى الطّباعيّ وحاولنا تبـيّن درجـات التّنـوّع والاختلاف في صياغة **الطّابع** البريديّ التّقنيّ فاطّلعنا على طُرق التّجديد في وسائل الطّباعة الحديثة الّتي كشفت على تطوّر إدارة البريد ومدى تحكّمها في عمليّة الإصدار، وهو ما دلّ على مُواكبة حديثة العهد في تقدّم وسائل الاتّصال والإعلام ومُسايرة تطوّرها التّقنيّ، وهذا ما بيّن حقًّا حرص مُؤسّسة البريد على وضع شُروط تحفـظ هوّيـة البلـد وتـضمن **علامـات** السّياسة الحاكمة.

وقد يُؤدّي **الطابع** البريديّ وظيفة الإعـلان ألإشـهاريّ، مـن ذلـك أنّ مـصالح البريـد البريطانيّ قد أذنت في الفترة الممتدّة بين 1857 و1893 باستعمال الإعلانات على المنتجـات الورقيّة على ألاّ تظهر إلاّ في ظهر **الطابع** أو حاشيته، وبـذلك تكـون قـد أخـضعت **الطـابع** البريديّ لأهداف تجاريّة تجسّدت خاصّة في تخصيص فضاء للإعلان الجماهيري.

يُمثّـل الطّـابع البريـديّ في المنظومـة البريديّـة أداة تـسويق إذ أن اسـتخدامه الأوّليّ يتلّخص في وضعه على الرّسالة لتحقيق خدمة الخلاص الجبائيّ مقابل عمليّة الإرسـال، غـير أنّه يتجاوز هذه الخدمة العالميّة بكثير لأجل تحقيق توازن بين المبادلات التّجاريّة وتنميـة المبيعـات وتحديـد مـصاريف الخـدمات الإضـافيّة حتّـى يـضمن تواصـله مـع دُور البريـد العالميّة.

3. الطابع علامة تجميع وتداول وتبادل:

لقد تجاوزت سياسة الصّرف والتّوزيع العمل المباشر مع مُقتنيّي الطّوابع البريديّة العاديّين الأوفياء لأجـل التّواصـل مـع طـرف ثالـث هـو الـسُّوق غـير المنتظمة، وتُعتبر هذه السُّوق مُحرّكًا فاعلاً فهي تُعـدّل طـورًا مـوازين العـرض

والطلب وتخلق طورًا آخر اضطرابًا توازنيًّا، كما أنّ الاحتفاظ بأمثلة من الطوابع المصمّغة غير المختومة قد يُسبّب انخفاضًا في قيمة التداول التّجاريّ ممّا يُؤثّر حتمًا في حجم المبيعات الآنيّ ويمنع المحافظة على نسق التّداول في فترة لاحقة.

وفي المقابل فإنّ إدارة البريد تسنّ نظام مبيعات تختلف قياساته وحساب عائداته في حالة تدخّل طرف ثالث يُساهم في تغيير قيمة الطابع الاسميّة إذا ما أُدُّخِرَ الطابع في شكل رَمْز تذكّارِيّ، لذا استوجب فهم آليّات هذه السُّوق وطبيعتها وتوقّع مفاعلاتها المستقبليّة لتستقيم حتمًا سياسة دُور البريد.

إنّ عدم التّوازن بين القيمة التّجاريّة في السُّوق الجديدة والقيمة البريديّة المودعة يضطّر إدارة البريد أن تُولي أهميّة بالغة للسُّوق غير المنظّمة، وذلك بمُراعاة الفارق الذّي لا يُقرّه المستهلك بين سعر الشّراء المفتعل وقيمة الخدمة البريديّة الأصليّة، وكلّ هذا التّغيّير في نظام المبادلات يضطّر البريد أن يتوّخى الحذر في آليّات التّوزيع غير المنتظم الذّي من شأنه أن يُؤثّر في حجم واردات العمليّات البريديّة.

يسعى مصمّمو **الطابع** إلى إبلاغ رسالة تكتسي صبغة بريديّة و**علامة** فريدة من نوعها ثمّ إنّها تعمل على تعميم صورة سياحيّة أو تذكاريّة أو حتّى تجاريّة عبر الأُنموذج المقترح، وهنا "تحمل المُماثلة عُموميّة الخاصّ لتُفهم عبر عُضويّة علاقته بالعامّ"[1] وهو ما دفع إدارة البريد إلى أن تحرص على القيمة المضافة التّي يُقدّمها الطابع فتتمسّك بحقوق نشرها وتأليفها لتفرض عائدات ماليّة هامّة جرّاء العقود التّي تُقيمها مع شركات تعمد لوضع هذه **العلامة** على منتوجها.

1. F.W.J, Schelling, (1978), *Ecrits esthétiques*, Klincksiek , page 45.

طوّرت حركة التّسويق دور الطابع عبر حملات ومبيعات ومنتجات وخدمات تُلبيّ جميع متطلّبات هُواة الطّوابع البريديّة ثمّ إنّها عملت على بلورة أحداث البلد المصدّر التّذكاريّة، وبذلك أصبح الطابع شاهدًا على عصره يسرد وقائع تاريخه وطبائع شعبه ويُنوّع أنماط تصرّفاته وعاداته المكتسبة، إنّه عبارة عن "وسيلة بصريّة لنشر مفهوم العالم وتنوّعاته وهو يُطوّر هواياته بمُختلف أنواعها ويُعزّز طُرق التّواصل الكتابيّ"[1]، ثمّ لقد تدخّلت كلّ هذه الصياغات لتُثري مجال التّسويق وتُطوّر مبيعات المنتج بفعل التّجميع حسب مفاهيم مختلفة وطُرق إدراك متنوّعة.

يُقدّم الطابع البُعد الحضاريّ للبلد المصدّر، ثمّ إنّ ترويج سُوق عالميّة للمُنتج البريديّ التّونسيّ قد تمّ بتصوير عادات الشّعب وتقاليده منذ حواليّ أكثر من قرن ونصف، وإذا ما تأمّلنا الأمر جيّدًا فإنّه يتبيّن لنا بأنّ البُلدان قد وحدّت التّراخيص فيما بينها لتداول هذه التّجارة البريديّة، بل إنّ كلّ إدارة حكوميّة قد تولّت إخضاع جميع تجهيزاتها الإداريّة لمتطلّبات الشّعب وأساليب رُؤيته التّعامليّة والاتّصاليّة، ثمّ إنّها قد أعادت تنظيم برامج إصدارتها حسب متطلّبات المستهلكيْن واحتياجاتهم، إلاّ أن الاعتراف بحاجة المستهلك لم يكن يقف في الحدّ الوطنيّ إنّما تعدّاه ليُصبح دوليًا وبذلك أصبح يحظى بضمان مشروعاتيّ وقانونيّ يساعده على ضبط عملتي التّوزيع والنّشر بمقاييس دُوليّة، فمحملنا ليس محدودًا بالذاتيّة داخل حدود الوطن الواحد إنّما تعدّى بفضل التّصميم إلى رسم حسّ جماعيّ مشترك تتحوّل خلاله الرّسالة التّواصليّة إلى حركة واعية هادفة تُقرّرها برمجة الإصدار وتعكسها السّياسة الدّوليّة المعتمدة.

1. توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 20.

أكسبت السُّوق الشرعيّة دُور البريد في العالم مكاسب ماليّة هامّة، وهدفت ضمن مُخطّط ترويجها إلى توسيع دائرة مُقتنيّ منتجاتها من أشخاص مُهتميّن عرضيّين إلى زبائن مُجمّعين ثمّ إلى هُواة ثابتيّن، وخلافًا لبرنامج الهيمنة على هذه السُّوق المتحرّكة والفاعلة من طرف الخوّاص، فإنّ المؤسّسات الوطنيّة القائمة على الشّأن البريديّ تسعى هي كذلك للسيطرة التّجاريّة على سُوق العرض والطلب باعتبارها المُصدّر الشّرعيّ لهذا النّوع من المنتج المقنّن، وهي بذلك تُوّسع دائرة منتجاتها حتّى تضمّ الطوابع الجبائيّة، فتعمل بالتّالي على تقرير الرُّسوم الجمركيّة والقنصليّة وتقديم الأداء الموّظف على السّفر.

إنّ إدراك الوظائف والأدوار التّي يُؤديها الطابع البريديّ يُساعد في فهم آليّات المخطّط الاستراتيجيّ وتقدير تنوّع الإصدارات وحتّى أنّه يُساعد على ضبط البرنامج السّنوي الذّي تعتني دور البريد على بعثه وتحويره حسب مقتضيات الحاجة التّصميميّة ومُتطلّبات السُّوق الاستهلاكيّة.

II. هيكلة السُّوق وإستراتيجيّة التّسويق:

1. نشأة هواية جمع الطوابع البريديّة:

سجّل انطلاق هذه الهواية إصدار أوّل طابع بريدي "البنس الأسود" في بريطانيا سنة 1840، وقد أقبل عدد من الشغوفيّن على جمع الملصقات البريديّة وإمضاء التّوقيعات الموجودة على المراسلات القديمة ممّا أدّى إلى ظهور "علم تاريخ نشأة البريد"، وقد تطوّرت هذه الهواية بمُجرّد أن انتبهت إدارات البريد لحجم الهُواة الذّين أصبحوا يُعدّون سُوقًا استهلاكيّةً مُهمّةً وثابتةً مُقبلةً بشغف شديد على اقتناء أعداد لا متناهيّة ومتزايدة من الطوابع البريديّة خاصّة إذا ما دُرِسَ الموضوع وطريقة الإخراج درسًا عميقًا بما يُراعي احتيّاجات الهُواة ويُعدّد في لائحة اختياراتهم.

1.1. الإشراف الإداريّ لهُوّاة جمع الطوابع البريديّة:

كان الاعتراف الـصّريح بهُـواة جمـع الطوابـع البريديّـة سـنة 1945، إذ ظهـر أنّهـم يُساهمون فعليًّا في تطوّر المبيعات وفي تحقيق ارتفاع في العائدات الماليّـة، وقـد أدّى هـذا الاكتشاف إلى تحديد ثالوث أضلاع متساوية هم ؛ أوّلاً هُواة جمع الطوابع البريديّة وثانيًا شبكة التُّجار وثالثًا إدارات البريد، لذا يتفاعل كلّ منهم لتنمية تجارة نعتبرها **علامةً** ماليّـةً وحضاريّةً وثقافيّةً خالصةً كما أنّهم يعملـون سـوّية عـلى تركيـز سُـوق مُتطـوّرة تتقـدّم في سياق مُطّرد يُؤمّن مُستقبل مبيعات البريد.

والحقّ أنّ الحُظوة التّي يشهدها هذا القطاع قد تعمّقت في العُقود الثلاث الأخـيرة لتسنّ فلسفةً نظريّةً ترتبط منهجيًّا بسياسة توافقيّة بين ثُلاثيّ أطـراف المعاملـة البريديّـة، وإذا ما عدنا أدراجنا في مستوى الباب السّابق فإنّنا نشهد التّطوّر التّقنيّ ومفاعلات تطوّره قد ارتسمت وأثّرت حقًّا في الصّياغة النّهائيّة للمحمل التّي حـدّدت بـدورها قيمـة إخـراج الإصدارات النّهائيّ، فأحيت إحياء عميقًا اهتمام الهُواة وشـدّت انتبـاههم لقيمـة الـصياغة الخطّيّة، كما عملت على إقامة حركة من التّجديد الدائم لإثراء حُضور المنتج فنّيًّا بما يُـؤثّر إيجابيًّا في زادهم الاختياريّ الذاتيّ ويُساهم بدوره في ثراء سلسلتهم الشخصيّة.

2.1. إستراتيجيّة توزيع العلامة البريديّة وتجميعها:

إنّ مرجعيّتنا في درس هذه الإستراتيجيّة هو الإحساس النّفـسيّ الـذّي يـدفع الإنسان فطريًّا إلى جمع الأشياء وأرشفتها، ولقـد اعتنـى كتـاب "ثقافـات الجمـع"[1] بالإقرار أنّ ثُلث الهُواة يحملون هذه الرّغبة منذ الصّغر إلاّ أنّها تتواصل فقط لدى عُـشرهم 1/10 وتـتلاشى تـدريجيًّا ببُلـوغهم سـنّ النّـضج، وتُعتـبر هـذه النّـسبة

---

1 . جون اليسنار، وروجي كردينال، ثقافات الجمع، لنـدن، النّـشريات الجامعيّـة بمـالبورن أسـتراليا، ريكـسن بوكسن.

حافزًا أساسيًّا لإرساء هواية متكاملة تفترض نوادي متخصّصة ونقاط بيع متفرّقة على كامل مساحة البلاد لتُحقّق توزيعًا ونشاطًا تجميعيًّا وتبادليًّا هامًّا عبر الولايات والأقاليم.

آن للمتأمّل أن يُدرك أنّ الحافز الأساسيّ في استمرار هذه الهواية هو الرّغبة في التّجميع وأنّ احتمال أيّ تقلّص لهذه الغريزة يُشكّل عائقًا أمام تطوّر هذه السُّوق البريديّة، ولعلّ ما تفرضه معطيات الفضاء التّواصليّ من مصادر تسلية رقميّة وإليكترونيّة قد يُؤثّر سلبًا على درجة إقبال الهُوّاة على التّجميع، وهذا ما سيكشف النّقاب على موضوع كتابنا ويطرح أنّ أسباب ثراء **الطابع العلامة** تبقى مُرتبطة دائمًا بالسُّوق المحليّة حتّى أنّها طالما تُجدّد مفاهيمها وتُغيّر نمطها لكنّها تتمسّك دائمًا بالطابع الورقيّ، ثمّ إنّ مصادر التّسلية قد انتهجت مسلكًا مختلفًا عن عمليّة الاقتناء والتّجميع اليدويّ وفي الأخير تحوّل اهتمام مُتقبّل الألعاب الإلكترونيّة إلى استدراج طُرق إدراكه لعالم الإنترنت والتّواصل على الخطّ مع الآخر وهو أمد نسعى بالتّحليل إلى بُلوغه، إذ أنّ الإشكال المطروح هو الدافع الذّي أدّى إلى التّنظير لطابع رقميّ يضعنا نُواجه في الحقيقة تغيّر المعطى الواقعيّ لتسالي الشباب المُعاصرة ومدى تأثيرها على بلورة عادات تصرّفه وتغيير مُعاملاته السُّلوكيّة ؟

وقبل أن نتعمّق في دراسة اختلاف الممارسات السُّلوكيّة لدى الشباب الهاوي، فإنّنا سنسعى إلى تحليل أسباب دفع هذه الرّغبة التي ترتبط خاصّة بالمتعة الجماليّة، إذ تُنتج عمليّة تجميع السّلسلة الواحدة ما يُضاهي قيمة ماليّة هامّة قد تتضاعف بفعل تقدّم الزمن إلى أن نبلغ إمكانيّة تأسيس فعل استثماريّ حقيقيّ في بُورصة الطوابع البريديّة، وهنا بالذات تتغيّر أساليب الاقتناء إمّا على المدى البعيد أو القصير لتُراوح إمّا بالزيادة أو النّقصان حسب قيمة المدّخرات وطُرق حفظها، غير أنّه وفي نفس المستوى التّعامليّ يظهر المُضاربون الذّين لا يهمّهم الجانب الجماليّ بقدر ما تهمّهم قيمة **علامات** التّبادل التّجاريّ وطرائق تسويقها.

عادة ما تُعرض المجموعات البريديّة للبيع بعد انقضاء خمسة وعشرين عامًا، لذا فإنّ القيمة الإجماليّة لا تُقدّر إلاّ بعد فترة زمنيّة هامّة من تاريخ إنتاج الإصدار، ووفقا لهذا الطرح فإنّ الهُواة وكذلك المُضاربين يجدون أنفسهم في إطار واسع من التّحكيم والمُوازنة لخلق توافق مبيعاتيّ أو ادّخاريّ يحفظ القيمة المُضافة للمُنتج.

تاريخ تطوّر هواية جمع الطوابع البريديّة [1]

جمع طوابع جبائيّة ورسوم إعفاء جمركيّة	من 1700 حتّى 1838
إصدار أوّل طابع بريديّ بريطانيّ	1840
انطلاق هواية جمع المنتجات الورقيّة البريديّة	سنوات 1850
أوّل عروض لمجموعات بريديّة	من 1860 حتّى 1870
تركّز هواية جمع المنتجات الورقيّة	سنوات 1890
تزايد شعبيّة العروض	بداية سنوات 1900
تزايد انتشار الملصقات البريديّة	سنة 1910
ظهور رابطة دوليّة في أوروبا لجمع الطوابع البريديّة	سنوات 1920
بداية انتشار ظاهرة عرض المجموعات المصّنفة مع دراسة تاريخ البريد	سنوات 1930
بداية هواية جمع الطوابع البريديّة حسب موضوع الإصدار	أواخر 1940 حتّى 1950
انتشرت الرابطة الدوليّة لهواة جمع الطوابع البريديّة وتجاوزت حدود أوروبا وأمريكا	سنة 1960
بروز أصناف لدى الرابطة الدوليّة بصفتها فئات مستقلّة	سنة 1970
تطوّر الهواية في آسيا	سنة 1980

1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 26.

ظهور صنفيّن من الطوابع: طوابع جبائيّة وطوابع مخلّدة لأحداث اجتماعيّة رواج ظاهرة عرض التّشكيلات تواصل نمّو الرّابطة الدوليّة لهواة جمع الطوابع البريديّة ارتفاع عدد المعارض الدوليّة	سنة 1990
إحداث الجمعيّة العالميّة لهواية جمع الطوابع البريديّة	أواخر سنة 1990

ينتقي هاوي تجميع **الطوابع** البريديّة مُنتجاته حسب تاريخ الإصدار أو الموضوع أو قيمة الاستخلاص، وقد يُوّجه اهتمامه للسّلسلة وعدد **الطوابع** التّي تضمّها، ونظرا لإستراتيجيّة التّوزيع تعتني إدارات البريد بتصنيف نشرات متنوّعة في الإخراج الخطّيّ للاستجابة لمجموع التّساؤلات التّي يطرحها الهُواة وذلك لتوفير نوع من الدّعاية الثّقافيّة لمنتجاتها، ثمّ إنّها تقتدي بباحثين ومختصيّن في تقرير شتّى أنواع الإصدارات المقترحة، كما أنّها تنشر هذه المادّة التّواصليّة البريديّة حتّى على المجلاّت والبيانات الصحفيّة لتُعطي للسّلسلة البريديّة حُضورًا قانونيًّا ورسميًّا وتُضيف بذلك معلومات متّنوعة حول المواضيع المختارة، كما تُثري في قيمة **العلامة** البريديّة بإضافة اسم المُصمّم والنّاشر وتاريخ الإصدار وحجم المبيعات وجُملة التّفاصيل المتعلّقة **بالطابع** البريديّ ومجموعات الإصدار.

يسعى الهُواة لاقتناء طوابع بقيمتها الاسميّة الحقيقيّة ويرفضون عادة تدخّل المُضاربيّن الذّين يفرضون قيمًا مجمّدةً، وقد يُساهم هذا الوضع في إثراء خزينة إدارة البريد والشبكة التّجاريّة، غير أنّه يتنافى تمامًا مع رغبة الهُوّاة الذّين يسعون لاقتناء عدد لا متناه من أسعار الإصدارات الاسميّة دون الدُّخول في متاهة الحركة التّجاريّة التّي تفرض تفاوتًا سريعًا في قيم العرض والطلب.

تشهد العائدات الاستثنائيّة إقبالاً مُختلف النّظير إذ أنّها تُصعّد حجم المبيعات وتُثريها وهو من الأخطاء الغير المعتمدة عندما تُسْحَبُ الكميّة الورقيّة للعلامات البريديّة سريعًا من السُّوق ومن دُور التّوزيع قبل بُلوغها أيادي الجامعيّن والهُواة بسبب خطأ مطبعيّ أو خطأ تركيبيّ، والنّتيجة أن يرتفع سعرها وتُصبح محطّ أنظار الأطراف المقتنيّة.

في الحقيقة تصدر عن دار البريد عدّة طوابع بريديّة بخطأ حاصل في ظُروف مُتنوّعة سواء بسبب التّركيب أو السياسة المعتمدة أو الطباعة، وفي المُقابل نُفاجئ بسعرها يرتفع في مدّة لا تتجاوز ساعة ونصف من توقيت إصدارها في دُور البريد عامّة ما يُؤدّي طوعًا إلى تعالي حجم مبيعاتها وما يدفع لاستقطاب جمهور كبير من الهُوّاة ذو اهتمام خاصّ من الذّين يتسارعون لاقتناء **علامة طباعيّة** تحمل دلالة خاطئة تتحوّل طوعًا إلى **قيمة مُضافة** تُطوّر في نسبة المبيعات وتشدّ أنظار المقتنيّن سواء كانوا تُجّارًا أو هُوّاةً.

وبذلك تُؤدّي كُلّ هذه الإجراءات إلى تضاعف قيمة **الطابع** الاسميّة مرتيّن أو ثلاث من **علامة** تجاريّة إلى **علامة** نادرة سواء صدر **الطابع** بخطأ مطبعيّ أو سهو معلوماتيّ أو إن كان يحتوي على معلومات لا تُوافق موضوع الإصدار ولا تنسجم معه، ومقابل ذلك الخطأ قد تتعالى قيمته إلى نسبة عالية من التّضخم الماليّ، وهذا ما يجعله يُسّجل حقًّا سببًا رئيسيًّا في تحريك السُّوق الماليّة للطوابع البريديّة وتغيير ميزان العرض والطلب التّجاريّ.

إنّ الهُوّاة ليسوا بعابري سبيل إنّما تربطهم بإدارة البريد علاقة عضويّة فهم يُتابعون حساباتهم ويشترطون مدّهم بالبرمجة السنويّة ولا يكتفون بالمتابعة بل يحرصون على مدّهم بمعلومات ضافية حول الإصدارات وحتّى أنّهم يتدخّلون في مقترح البرمجيّات السنويّة، وكذلك يفرضون حتّى تزويدهم بالمنتج البريديّ إبّان إصداره، كما يعمل أغلبهم على التأكّد من مُواصفات الجودة والنوعيّة، ثمّ إنّ هذا الصنف المستقبليّ من المستهلكين للمادّة البريديّة هُم عبارة عن زبون قارّ يُؤمّن علاقةً تجاريّةً تمتدّ على المدى الطويل، لذا فإنّ الهاوي

يحظى بعناية دُور البريد التّي تعمل على ضبط مقاييس جودة الخدمات بما يُساير جدّيّة المُواصفات العالميّة.

إنّ المطالبة بضمان سلامة المُنتج خاصّة في حالة التّزويد يجعل عمليّة التّجميع فعلاً منتظمًا يُساعد الهُواة على التّمسّك بنوعيّة الإصدار، ومن ثمّ فإنّهم يُؤكّدون على ضرورة عدم تعرّضه لأيّ ضرر أثناء عمليّة التّزويد، لذا يعمل الهُواة على تعويض الطابع واستبداله إذا ما تعرّض لأيّ عيب، كما تتحدّد سلسلة التّجميع بحسب طبيعة الموضوع بالتّمعن في اختيارات البلدان وإصداراتها وفق صياغة مُعيّنة أو فترة زمنيّة تتسّم بإنتاج سلسلة مُوّحدة أو مُنتجات بريديّة متنوّعة.

تعتمد الهواية تشخيصًا ذاتيًا في تقرير موضوع بعينه أو قيمة ماليّة أو حدث تذكاريّ، فهاوي **الطابع** يرسم حُدودًا تاريخيّةً وزمنيّةً ومكانيّةً وتذكاريّةً لتوظيف مسار عمليّة التّجميع والتّصفيف، وبذلك فهو يرسم ذاتيّته وهوّيته على مجموعته الخاصّة، فمثلاً أُعتبر حدث تغيير العملة بتاريخ 31 ديسمبر 1999[1] نُقطة انطلاق للشُّروع في تكوين مجموعات جديدة يكون التّنصيص فيها على عُملة الأُورو، ولقد غيّر هذا الحدث في نمط المُبادلات التّجميعيّة ليسنّ برمجةً خاصّةً من طرف الهُواة، وبذلك فقد بشّر أيّ تحوّل في نمط التّجميع من تطوير حسّ الانتماء ما يُؤدّي إلى اتّجاهين، إمّا إلى ظهور فئات تهتّم ببعث مجموعات جديدة أو تطوير فئات أخرى تهتّم بعمليّة التّجميع بالنظر إلى تغيّر سعر الاستخلاص، وبذلك تتفاعل كلّ قوى السُّوق الاستهلاكيّة بالزّيادة والنّقصان حسب صيرورة الأحداث وتحوّل الفترات تحوّلاً يُواكب المسار التّاريخيّ ويُبلوّر الصّياغة التّصميميّة حسب خُطط التّسويق الإستراتيجيّة.

1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 28.

3.1. من الطابع إلى مفهوم العلامة:

انطلق موضوع "نشأة تاريخ البريد" منذ سنة 1930 بوصفه موضوع بحث تناوله بالدّرس هُوّاة جمع الطّوابع البريديّة، كما أنّه يشمل مجال تجميع الظروف البريديّة والبطاقات المستعملة ولفائف الطُرود وهو ما ساعد على صياغة مفهوم متطوّر في دراسة الرُّسوم و**العلامات** والمسالك البريديّة، وقد عُرِفَت هذه الممارسة "بهواية جمع **العلامات**"، ولا ننسى "بأنّ دور المطوّرين والمصمّمين يقود مجتمعات على الخطّ ويُطوّرها لتُساهم في التّقدّم الاجتماعيّ"[1]، وهنا يتبلوّر مفهوم صياغة **العلامات** البريديّة في إطار التّواصل والتّبادل ألمجموعاتيّ ليحظى باهتمام الأشخاص الذّين يُنّظمون هذه **العلامات** والرُّسوم تاريخيًّا وثقافيًّا في مُحاولة لدراسة تطوّرها.

وفي نفس السّياق حظيت المنتجات البريديّة الورقيّة مثل الظُروف والبطاقات المختومة والرّسائل الجوّية بحُضور قويّ بالرّغم من نُدرتها في الفترة الفاصلة بين 1910 و1970، إلاّ أنّها اليوم تشهد انتعاشة هامّة تجعلها تُقدّم مضمونًا حديثًا هامًّا يُمثّل مقاربةً جديدةً تخّط نوعًا مختلفًا من التّحوير التّاريخيّ للمحامل الخطّيّة البريديّة، وهذا ما جعلها تُساهم فعليًّا في صياغة تصميم يُواكب في تركيبته قياسات الموضوع المتناول، فالظرف الذّي يُمثّل يوم الإصدار الأوّل تطوّرت تشكيلته الفنيّة عن طريق إخراج حديث جدًّا ما عكس الحُظوة التّي قدّمتها دائرة البريد لهذا النوع من الظروف ذات الخُصوصيّة وهو ما ساهم فعلاً في رفع سعر بيعه وتبادله.

1 .J. Preece, and Krichmar, Maloney Diane, (2003), *Online Communities*: Focusing on sociability and usability. www.ifsm.umbc.edu.

ساهمت كلّ هـذه المنتجـات المتنوّعـة في تطـوير المرجعيّـة الماليّـة لإدارات البريـد وأضافت تنوّعًا فريدًا في مواضيع تجميع الهُوّاة المقبلين على ضبط تاريخيّة نشأة المنتجات الورقيّة المُحدثة التي تُحيط بمواضيع الإصدار، وهو ما وسّع دائـرة التّعامـل التّواصـليّ بـين الطرفيْن وأثّر في تجديد الصّياغات المتنوّعة، كما ساهمت عمليّة التّجميع في إشعاع صُـورة البلد المصدّر وإبراز جودة الإنتاج البريديّ موّظفة ذلك كلّه في تخليد رُوح الانتماء الوطنيّ والعالميّ على حدّ السّواء، غير أنّه لسائل أن يتساءل عـلى مـدى حُـضور العنـاصر الخطّيّـة المدمجة في تطعيم الإصدار البريديّ الرّسميّ ؟

إنّ تنـوّع مواضـيع الإصـدار تـشدّ الهُـوّاة وتجعلهـم يتهـافتون عـلى التّجديـد في تشكيلتهم البريديّـة، ولقـد بـرز أوّل موضـوع في نطـاق التّعريـف بالمنـاطق الجغرافيّـة أو بعرض محـاور متنوّعـة طبيعيّـة وأثريّـة وتاريخيّـة مثـل زُهـور الـسّحلب أو الحـشرات أو البناءات أو الحيوانات وغيرها، ومن ثمّ شهدت كلّ هذه الموضـوعات تفـاعلاً واضـحًا مـع رُوح التّنمية الاقتصاديّة والتّطوّر الاجتماعيّ والإنسانيّ، ونذكر عـلى سـبيل الـذكر موضـوع الطيران مثلاً الذّي تناول تطـوّر النّقـل الجـويّ باعتبـاره مـادّة قرائيّـةً متداولـةً، وفي نفـس السّياق برز اهتمام متّصل بعالم الفـضاء وَجُمِّعَـت ظُـروف وبطاقـات لـصواريخ ومراكـب فضائيّة تتقدّم كلّها في إطار تسجيل الاكتشافات التّاريخيّة وتسجيل تواريخها الهامّة.

لقد طُوِّرَت هذه المجموعات المنتخبة مـن طـرف البريـد، ثـمّ إنّ الهُـوّاة قـد قـاموا بتجميع "البطاقات البريديّة الجامعـة" وهـي بطاقـات تعتمـد توازنًـا خطّيًّـا بـين البطاقـة الخطّيّة والطابع البريديّ والختم، ما مثّل تركيبًا خطّيًّا من صنف **علاماتيّ** مُميّز يُعـادل بـين تركيبة الظرف وتنظيم مُحتوياته مُعادلةً تُوازي بـين البُعـدين الإدراكيّ والتّـذكاريّ في نفـس الوقت.

ثمّ إنّ تنمية الهواية عند الشبّان تكون بالتّشارك في معارض تنافسيّة ضمن إحدى المجموعات العمريّة الأربعة، لذا عملت عديد إدارات البريد على تنمية ملكة التّجميع عند الأطفال، وسايرت هذا التوّجه القياديّ لغرس رُوح المبادرة وحُبّ **الطابع** والشّغف بعادة التّجميع وكذلك تعميق حسّ الانتماء منذ النشأة لدى الطفل لشدّ اهتمام هذا الجُمهور الواعد منذ صغر سنّه، ولقد اعتمدت إصدارات خاصّة بالأطفال على تزكية هذا النّداء التّفاعليّ وإحداث مُلتقيات بين الهُوّاة النّاشئين.

يُثري هذا الصّنف التّجميعيّ المتنوّع نسب الجمهور المستهلك كما تفعل كلّ فكرة استنباطيّة على توسيع دائرة المقتنيّن والمهتمّين بالإصدارات البريديّة، وقد تناولنا اتّجاهًا مختلفًا وهو تركيز النّظر على الإصدارات الحديثة التّي ظهرت في السّنوات الخمس عشرة الأخيرة، وهي خُطّة تعمل أغلب دُور البريد على تطويرها لتنمية الهواية في الفترة الحاليّة، فأُبطل مفهوم اقتصار هواية التّجميع على الإصدارات القديمة ليتواصل الارتداد التّفاعليّ بين المجمّعين في شتّى الإصدارات الحديثة، وهذا ما يُؤكّد فعلاً بأنّ كلّ ما هو حديث الآن يكون قديمًا غدًا، وفي الحقيقة وفي تاريخ يتقدّم كلّ يوم يُصبح الهاوي المتقبّل كهلاً إلاّ أنّه يحتفظ بمجموعات قديمة تنّم على مُواكبته لفترة زمنيّة سابقة تاريخيًّا ومزدحمة بالأحداث والذكريات السّالفة.

وهذا ما يُبيّن فعلاً أنّ توزيع المادّة البريديّة لا يقتصر على توجيه سياسة إستراتيجيّة لفترة معيّنة إنّما يدرس المستوى الزّمنيّ الممتّد لأجل إرساء سياسة توزيع بريديّة واسعة تعمل على شدّ **طفل اليوم** الذّي سيكون في المستقبل **كهل الغد**، وهذا ما يُؤمّن تمسّك الطفل بهذه الهواية ومدى قيمة دوره في إثراء الحركيّة التّجاريّة التّي تضمن في المستقبل القريب إشعاع البلاد صُوريًّا وتذكاريًّا عبر النماذج المصمّمة المستحدثة والقديمة فيضمن الطفل بذلك تواصلاً يتجاوز الحيّز الزّمانيّ والمكانيّ ليبلغ شتّى شرائح المجتمع العمريّة.

ولعلّ من أهمّ أهداف البريد الإستراتيجيّة هو دفع الهُوّاة إلى تنويع مجموعاتهم وتجديدها وتنمية "**صنف مفتوح**" لا يخضع لمعايير واضحة ولا لقواعد متّبعة، كما تهدف سياسة التّوزيع كذلك إلى اقتراح منتجات تخدم تنوّع موضوع المادّة المصدّرة، كما أنّه يُعيّن على البريد استقطاب عدد لا متناه من المتفاعلين لإحياء الحركة الاقتصاديّة وإعطاء المبيعات أكثر حيويّة، ثمّ إنّ الهدف الأساسيّ من هذه البرمجة للمنهجيّة البريديّة هو التّخطيط المستبق وتوّقع أنّ الأولويّة الحقيقيّة تتمثّل في تلبية الحاجة الاستهلاكيّة التّي تغذّي مهارة الهُوّاة وتستبق حدسهم وتُطوّر المنتج بالضبط في مجال اهتمامهم بما يُساعد الهواية أن تتواصل إلى أمد غير مُسّمى وهذا ما يجعلها تنتقل إلى تحقيق موروث حضاريّ جديد يُسّجل وقائع البلاد أو يسرد اختلاف المراحل الزّمنيّة المتتالية.

2. تركيبة السُّوق البريديّة:

تتحكّم هيئة الإصدار في نسق المنتجات البريديّة، ومن ثمّ يتحوّل المنتج إلى سُوق تتكوّن من ثالوث أطراف تآلفيّة هم: المجمّعين والتُّجّار والهُوّاة.

1.2. السُّوق المنظّمة:

تتحكّم إدارات البريد في حركة التّسويق البريديّ ومُزوّديّها من أمثال المطبعيّين الذّين يتدخّلون بمثابة أطراف جدّية تُساهم في تطوير الصّناعة الخطّيّة، وتُعدّ هذه السُّوق المنظّمة ثُلاثيّة الأبعاد فهي تتكوّن من الهيئة المصدّرة والمطبعيّ والمصمّم، ويُعدّ نشاط الهيئة المصدّرة واسعًا إذ يحتكم بالخُصوص إلى توزيع منتظم ومدروس ومعتدل، في حين يُساهم الطّرفان الصّناعيّان وهُما المصمّم وكذلك ألطباعيّ في تنظيم العمل الإنتاجيّ تقنيًّا وصياغيًّا في مُحيطهم المهنيّ من أجل إنتاج مثال نهائيّ **للطابع** البريديّ.

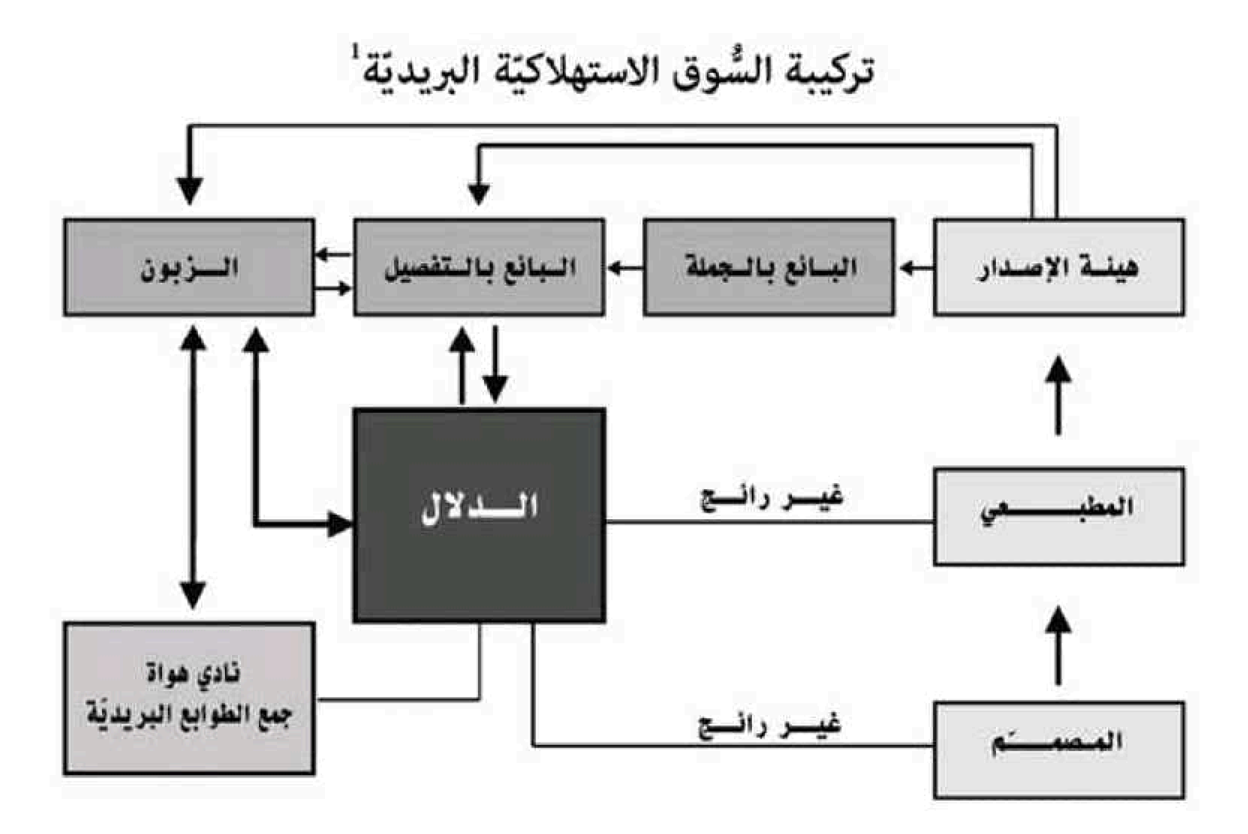
وعادة ما تنتظم ثُلاثيّة هذه الأطراف المساهمة ضمن عُقود شراكة اتّفاقيّة أو انتماء جذريّ إلى إدارة البريد كما هو الحال بالنّسبة إلى مطبعة البريد التّونسيّ منذ سنة 1997، أمّا بالنّسبة إلى المصمّمين فإمّا أن يُضْبَطَ برنامج سنويّ يُقترح على المستوى الوطنيّ في إطار مسابقة عامّة كما هو الأمر في تونس، أو أن يُنْتَدَبَ مُصمّمون مُتخصّصون يتناولون المواضيع وفق مطلب مشخّص.

تتمتّع السُّوق المنظّمة بمشروعيّة دوليّة وتخضع لشكل إداريّ ومُوّثق يقوم بتنظيم إصداراتها والسّهر على أوقات توزيعها وصرفها، كما تُساق المادّة البريديّة تحت بُنود وشُروط عدد من عُقود التّأمين والحماية العالميّة، فالمادّة المتداولة تُعدّ عُملةً متحوّلةً وتتدخّل ضمن حركة ماليّة مضبوطة ووفق مواثيق تأمين ما يُضفي عليها سريّة في التّعامل المصرفيّ وفي طُرق الفرز التّداوليّ وحتّى في طرائق الإخراج الطّباعيّ، وهذا ما يجعلها في مأمَن حقيقيّ من التّقليد والتّزوير فتضمن بذلك جُمهورًا يعتقد في مصداقيّتها ويثق في أشكال حُضورها، وفي الحقيقة يُشارك البريد ضمن أطراف هذه السُّوق المنظّمة للمُؤسّسات العالميّة بوصفه شريكًا ضامنًا يحفظ المادّة البريديّة ويضمن صيرورتها.

2.2. السُّوق غير المنتظمة:

تتميّز السُّوق غير المنتظمة باختلاف شرائح المجتمع، وإذا ما صنّفناها فإنّنا سنجد أنّها تتكوّن من شريحتيْن هُما، أوّلاً قاعدة الهُواة، وثانيًا قاعدة التُجّار الّذين ينقسمون بدورهم إلى تجّار بالجملة وتجّار بالتّفصيل ووُسطاء، وقد يُؤدّي الواحد منهم الأدوار الثّلاثة في نفس الوقت، كما نُورد في هذا السّياق مُخطّطًا يرسم العلاقات الوسائطيّة التي تتدخّل فيها بينها لضبط مُفاعلات السُّوق التّجاريّة البريديّة.

تركيبة السُّوق الاستهلاكيّة البريديّة[1]



يُؤدّي تُجّار الجملة دورًا وسائطيًّا يجمع بين تُجّار التّفصيل وإدارات البريد ويسعون إلى تنظيم مُساهمتهم ضمن عقود شراكة تضمن لهم عمليّة التّوزيع وتُبوّب عملهم في إطار برمجة الإصدارات حسب مواضيع النّشر، ثمّ إنّهم يُؤدّون دور تُجّار التّفصيل الذّين يقومون بالتّدخّل عبر الأسواق المباشرة إمّا بالمراسلة أو من خلال المشاركة في معارض وصالونات عالميّة.

يُمثّل "الدّلالون" أهمّ شبكة تبادل للمادّة البريديّة، وهُم عبارة عن قناة تحتلّ الصّدارة في قاعدة الزبائن الموّزعين على مُختلف أرجاء العالم، كما يعمل هؤلاء الوُسطاء على تبويب مبيعاتهم بالمزاد العلنيّ دون إحداث أيّ ضغط على السُّوق، وهذا ما يفتح أمامهم مجالاً واسعًا لاقتناء تشكيلات متجدّدة من منتجات بريديّة متنوّعة تحمل رُسومًا وحواجز جمركيّة مختلفة.

1. توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 36.

3. 2. . التّفاعل بين السّوق المنّظمة والسّوق غير المنتظمة:

يفرض مخطّط المبيعات في السُّوق الاستهلاكيّة البريديّة أرضيّة ديناميّة متطوّرة منظّمة طورًا وغير منظّمة طورًا آخر، فهي تُوّسع طُرق التّبادل التّجاريّ ووسائله، كما تحظى بتعديل برامجها وسياستها حسب مُقتضيات السُّوق المحليّة والعالميّة التّي تُقدّر حجم مبيعات السُّوق حتّى غير المنتظمة، وهذا ما يجعلها تتجاوز فعليًّا قُدرة السُّوق المنظّمة إداريًّا ونتيجة لذلك فإنّ كليهما يتفاعلان في إطار مُوّحد ومُتجانس.

ووفقا لهذا النّشاط الاستراتجيّ تعمل إدارة البريد التّونسيّ على الاعتراف بجمعيّات هُواة الطوابع البريديّة الذّين بلغ عددهم سنة 2007 ما يُقارب 20 جمعيّة نشيطة، وبذلك تطوّر حجم طلب المادّة البريديّة كمًّا وكيفًا، وتوّفرت أماكن جديدة لعقد اجتماعات الهُوّاة، وتبادل آرائهم حول تحسين المنتج البريديّ إلى جانب تنظيم مُلتقيات سنويّة بين إطارات البريد والطباعيّين والمصمّمين ورُؤساء الجمعيّات لتداول احتيّاجات الأرضيّة المستهلكة ومُناقشة البرمجة السنويّة وإحداث تنويعات وتغييّرات تتوازن مع طرق صياغة التّصميم في المواضيع المقترحة التّي تُنّمي بدورها تشكيلات الهُوّاة وآمالهم في تجديد المادّة البريديّة وتحويرها.

سعت إدارة البريد التّونسيّ نشر مُؤلّف "الطوابع البريديّة من سنة 1888 إلى سنة 1999"[1] وهي طبعة منقّحة اعتنت بعرض تاريخيّ لإصدارات مائة سنة من الطوابع البريديّة، ولقد أضافت عددًا من المعلومات حول تاريخ إصدارها واسم المصمّم والتّقنيّة الطّباعيّة المعتمدة، كما أصدرت سنة 2003 كتابًا عُنوانه "الرّياضة في طوابع بريديّة" جمّعت فيه مجموع الإصدارات التّونسيّة في

1 . الطوابع البريديّة التّونسيّة من سنة 1888 إلى سنة 1999، إصدار البريد التّونسيّ، تونس العاصمة، مركز الطوابع البريديّة، تصميم وطباعة بيكترا، 2000.

موضوع الرّياضة، وهي تنوي فعلاً تبويب نـشرات في مـوّاد ومحـاور مختلفـة لمـدّ الهُـوّاة باحتيّاجاتهم ولاستقطاب عدد جديد من المُهتّمين بالطوابع البريديّة التُونسيّة خاصّة إذا ما وقع تبويب المنتجات في إخراج طباعيّ مُـنّقح، ثـمّ إنّ تـدخّل الهيئـة المـصدّرة في تبويـب أرشيفها وتـسهيل عمليّـة التّجميـع يُعطـي للتواصـل بـين الإدارة ومُحـرّكيّ الـسُّوق حيويّـة ومصداقيّة في التّعامل ويُنّظم محاور تبادل المعلومات والخبرات ويُسّهل التحكّم في آليّـات السُّوق.

وبذلك تُوّثق قنوات التّواصل بين أطراف المعاملة البريديّـة بتبـادل المعلومـات إمّـا عبر تاجر الجملة أو عن طريق مجالس الجمعيّات أو حتّى بالمراسـلة البريديّـة، وهـذا مـا يُساعد فعلاً على التأمّل في دراسـة اتّجاهـات الـسُّوق واحتيّاجـات المجموعـة الاسـتهلاكيّة لاستدراك جُلّ ردود الفعل والانطباعات التّفاعليّة، وبذلك يُصبح قياس وتيرة السُّوق هـدفًا أساسيًّا لدى إدارة البريد والقائمين عليها.

4.2. وُكـلاء إدارات البريد:

إنّ الإحاطة بمقتضيات السُّوق وتعميم العلاقات مع شـتّى الأطـراف المتناوبـة يُعـدّ عملاً مُعقّدًا يُضاف إلى مهامّ إدارة البريد، لـذا كان من الأجدر أن تُعيّن الإدارة من يُعوّضها في الإشراف على تنظيم حركة السُّوق، وقـد نوّعـت في مجـال الـتّحكّم المـوازي أنواعًـا مـن الوكلاء ومن أهمّهم وُكلاء التّسويق الذّين يقتصر اهتمامهم على الـسُّوق الوطنيّـة أو عـلى جُزء منها أو أنّهم يضطلعوا بمسؤوليّة إقليميّة حتّى يبلغوا الانفتـاح الواسـع عـلى الـصعيد العالميّ، وقد يقوم الوكيل بتنفيذ مهامّه إضافة إلى الاستشارة وحتّى من أجل تأمين جـودة الإنتاج، فيتمثّـل شخـصه في شركـة أو رئـيس رابطـة دُوليّـة أو شـخص مُطلّـع عـلى قـانون التّسويق والتّوزيع.

وتتّسم الشراكة الدّوليّـة في تحديـد شُروط تعاقديّـة تُـنّظم حُقـوق الطـرفيّن وهـما البريد والوكيل، ففي حين تُركّز إدارة البريـد عـلى نـسبة عائـداتها وعـلى سياسـة الـسّحب والإصدار بحساب المشروعيّة الدوليّـة، كـما لا يجـب أن يُـؤثّر الوكيـل التّجـاريّ سـلبًا عـلى صُورة البلاد ولا يجب أن يمّس من نمّو الهواية على المدى القريب أو حتّى البعيـد، كـما أنّ ضمان مسؤولية التّوزيع يجب أن تُراعى فيها تبليغ ثقافة البلاد ونشر هُوّيتها.

3. طبيعة سُوق الطوابع البريديّة:

لقد سبق لنا أن أوردنـا تـشكيلة الـسُّوق الاسـتهلاكيّة البريديّـة وتوزيعهـا الهـيكليّ العمـوديّ الـذّي يتفـرّع بـدوره إلى مجموعـات تتفاعـل فـيما بينهـا، وتخـتصّ كـلّ سُـوق بخُصوصيّة تعاطي مادّة بريديّة بعينها، كما أنّها تتفاعل جُلّهـا لتنـتظم داخـل إسـتراتيجيّة التّواصل الإيجابيّ الذّي يعمل على تطوير حجم المبيعـات فيُطـوّر نـسق الحركـة التّجاريّـة للطابع البريديّ.

غير أنّ هذه الرُّؤية التّركيبيّة على سُـلّم عمـوديّ تُوضـح تسلـسل مراحـل التّوزيـع والتّجميع ولا تُمكّننا من قراءة طبيعة السُّوق التّي نجـد عـلى رأسـها فـردًا هاويًـا يتفاعـل أُفقيًّا مع مجموع العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة والنّفسيّة، كـما يتـدرّج أسـلوب تعامـل هاو الطوابع البريديّة من مُجمّـع مبتـدئ إلى هـاو مقتـدر وحـرفيّ يتفاعـل داخـل مثلّـث الشراكة الذّي يربطه بإدارة البريد وبالتّجار، وكذلك بالنّسبة للبائعيّن، وليتدخّل هـو لاحقًـا في مُنظّمات ونواديّ ورابطات تُؤثّر في هيكلة السُّوق وتعمـل عـلى إدراج المُنـتج المُتـداول بوصفه مادّةً تحتكم لسياسة تصدير دُوليّ.

سالفًا تُقدّر نسبة هُواة الطّوابع البريديّة في البلدان المتقدّمـة بــ 25 % مـن جُملة السُّكان مـمّا جعلهـا رائـدةً مُقاربـة بهوايـات أخـرى، وتُعـدّ هوايـة تجميـع الطوابع البريديّة هواية تربويّة وثقافيّة تعتمـد بالأسـاس عـلى بُنيـة مُتطـوّرة مـن

الدّراسات والبُحوث والمعارف حتّى تُمكن المُغرم من الاطّلاع على المعلومة وصياغتها ضـمن إطار ثقافيّ جماعيّ متداول.

تتحدّد درجة الإقبال على اقتناء مُنتج بريديّ بدرجة متقدّمـة مـن التّعليـم وبمـدى انتشار هواية التّجميع، غير أن الناتج المحلّي الذّي يضمن النّمـو الاقتـصاديّ وقيمـة دخـل الفرد الواحد يعمد إلى تحسين مستوى المعيشة ويُطوّر فعـلاً القـدرة الـشّرائيّة ويُجـدّد في مستوى الإقدام على التّجميع، كما تحتـلّ كـلّ هـذه الاعتبـارات أهميّـة قـصوى في افتتـاح أسواق جديدة تتدخّل في إمكانيّة التّنظير لمخطّط توزيع شامل وعامّ يُحـدّد نـسبة الإقبـال الجماهيريّ على المنتجات البريديّة كما يشمل الاهتمام بموّاد التّرفيه عُمومًا.

ولا نستطيع المُرور دون التّعريج على العنـاصر الجماليّـة التّـي تُـؤثّر في شـدّ انتبـاه مُقتنيّهـا، إذ يُعـدّ التّـصميم الخطّـيّ سـببًا أساسـيًّا في تنويـع اختيـار المجموعـات والتّفـرّد بخُصوصيّة الانـتماء إلى البلـد المـصدّر وإبـراز ذاتيّـة الطـابع البريـديّ وجماليّتـه، ويعتمـد بالأساس سُهولة النّقل وسُيولة المادّة المُوّزعة لتسهيل انتشار المنتج وبُلوغـه أيّـادي الهُـوّاة، فالقنوات التّسويقيّة التّي تُسيّر الدّفع التّجاريّ للمُنتج تتوّلاها إدارات البريـد وتـدفعها إلى أن تُخضع المادّة مُصاغةً مُكتملةً بين أياديّ مقتنيّها.

ولقد خلق هذا الدّفع التّوزيعي فُرصًا جديدةً لبعث طابع رقميّ يتوازن فعليًّا مع انتشار الانترنت ويُعمّم الاتّصال عبر الخطّ داخل شبكة عالميّة تتحدّى حُدود المكان وتبلـغ سعة الزمان وسُيولته لينتشر الطابع على أمد أوسع فيتجاوز الحُدود الإطاريّة والمكانيّة عبر مُنتج فريد من نوعه يتدخّل وفق منظومة رقميّة تخرق الحيّز الافـتراضيّ الممتّـد وتتعـدّاه ببرامج تسويق افتراضيّة راهنة.

1.3. دراسة مقاييس السُّوق وإستراتيجيّة التّوزيع:

نبلغ في هذه المرحلة من التّفكير مساحة تحليل وتفكيك لعدد من طُرق ابتكار برامج تسويق فاعلة ومُغيّرة للنّمط السُّلوكيّ، كما يجب أن نقرأ تركيبة السُّوق وندرس مقاييس لُحمتها ومدى ضبطها لطبائع التّوزيع وإستراتيجيّته، ومن أجل تحقيق هذا الاستطلاع يجب تبويب استبيان يُوّضح عددًا من المعلومات المتفاعلة التّي تدور حول حجم السُّوق وتركيبته وتُراوح بين فترات متعاقبة بحسب المتغيّرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة ما يجعلها قد تُغيّر مُعطى الكثافة العدديّة من فترة إلى أخرى وتجعل نسبة التكتّل تتفاوت من إقليم إلى آخر بحسب التّوزيع الجغرافيّ.

كما من الضروريّ أن يتناول التّحليل قيمة حجم المنتج في الوطن الواحد على محور أفقيّ، وأن نتثبّت كذلك درجات عدم التّمركز خارج الوطن الواحد على محور عموديّ، وإذا ما ركّزنا النّظر في هاذين القياسين فإنّنا سنتأكدّ لا محالة أنّ درس المُعطى ألمجتمعاتيّ يتطلّب تدقيقًا في أنماط الزبائن الهُوّاة وأعمارهم وجنسيّتهم ونسبة دخلهم ونشاطهم الفكريّ ودرجة إلمامهم بآخر الإحداثيّات العالميّة في ميدان تجميع **الطوابع** البريديّة.

وقد يتوصّل الاستبيان إلى عرض حوار جدليّ بين إدارة البريد ومُقتنيّ المنتج البريديّ بهدف الاستطلاع على إيجابيّات وسلبيّات برامج الإصدار ومُخطّطات التّسويق ونُظم التّوزيع، وقد تبلغ المبادرة في فهم مقتضيّات السُّوق ومستلزماته أن تتحاور مباشرة مع الهُوّاة والوُكلاء لفهم رُدود الفعل عامّة حول مقاييس منتجاتها وسياسة انتشارها ومدى تفاعلها مع مُتطلّبات السُّوق حتّى نتفهّم طبيعتها في إطار واسع وواقعيّ من الموضوعيّة.

2.3. شرائح السُّوق والفئات العمريّة:

تُساهم إستراتيجيّة التّسويق البريديّ في تكيّيف مجموعات تتفاعل تلقائيًا مع المُنتج المتداول ومن ثمّ تعمل سعة انفتاحها وتنوّع اتّجاهاتها على رصد أنماط وفئات عُمريّة مُختلفة، وبذلك يُعدّ التّعامل جدليًا مع الإنسان، فهو يفعل ويتفاعل حسب نمطيّة السُّوق ومُقتضيّاته.

ولعلّ اختلاف اهتمامات الإنسان ومُيوله الفكريّة إلى جانب تنوّع حوافزه الحسّيّة يُشكّل سببًا جذريًا في إعادة النّظر في المنتج البريديّ وطُرق التّعامل معه، لذا تحتمل من هذا المنطلق مفاهيم الجمال وأشكال التّعبير مناهج متباعدة في التّفكير فأهل الشرق مثلاً لا يُؤمنون بنفس قيم وطبائع التّصميم المتواجدة في أوروبا وأمريكا.

ومن أهمّ التّساؤلات التّي تفرض نفسها لأجل تنظيم برنامج استراتيجيّ للبريد تتمثّل في السُّؤال التّالي، ما هي أنواع المنتجات البريديّة الرّقميّة التّي تستقطب اهتمام أغلب الشرائح الإنسانيّة ؟ ثمّ ليس غريبًا أن تتفاعل جلّ الشرائح الإنسانيّة المعاصرة في ظلّ المتغيّرات المعاصرة، وهل يُؤدي هذا التّطوّر بذلك إلى إبراز فئات جديدة من المهتّمين في السُّوق البريديّة خلال العشريّة القادمة ؟ وهنا نتساءل هل أنّ التّطوّر التّقنيّ قادر على بلورة مفهوم تواصل جديد؟ وهل يستطيع التّقدّم الآليّ تغيّير المعطى الجماليّ والإدراكيّ والقرائيّ **للطابع العلامة** الرّقميّة ؟ وهل ستُؤثّر المواكبة المعاصرة في طرق التّعامل مع منتجات البريد الحديث ؟ أم هل أنّ خُصوصيّة التّغيير ستستقطب فقط المجتمعات المتقدّمة؟ أو هل أنّها ستمتدّ إلى جُلّ الشّرائح الاجتماعيّة على اختلاف تقدّمها والفئات العمريّة على اختلاف جنسها؟

أ - الفئات العمريّة:

*** الشّباب:**

تتوزّع فئات السُّوق إلى عُمرين بـارزين هـما الـشّباب والكهـول، إذ تخـتصّ الفـترة الأولى بكونهـا حجـر أسـاس فهـي تتفاعـل تلقائيًّـا مـع جـلّ المـستحدّثات وتقبـل التّغيـير والابتكار والتّجديد في طبيعة المنتج ونوعيّتـه، ومرجـع ذلـك أنّ هـذه الـشريحة العمريّـة تتميّز باللّيونة وسُهولة الانطباع النّفسيّ والاجتماعيّ فهي لم تُحدّد بعد اختياراتهـا النّهائيّـة بل هي في الحقيقة تعيش حالـة مـن استكـشاف العـالم مـن حولهـا ومُـستجدّاته، خاصّـة باعتبار أنّ عمر الشباب يُعدّ فترة تحوّليّة، فهو يُقبل على كُلّ جديد لذا يُعدّ اهتمامه قُـوّةً اندفاعيّةً يحدوها إنفاق شديد على هواية جمع الطوابع البريديّة وهو يُمثّل طاقـةً شرائيّـةً واسعةً تعمل على تحقيق أرباح هامّة وتُساهم في إثراء إستراتيجيّة توزيع المنتج البريديّ.

*** الكهول أو الهُوّاة التّقليديّون:**

هؤلاء الكُهول هم شباب البارحـة الـذّين يتواصـلون في إقـرار الهوايـة لعُقـود مـن الزّمن وتنتقل رغبة التّجميع لديهم من غـرام شـبابيّ ونزعـة اسـتهواء إلى إرث قـيّم ونـادر قابل للصّرف والمُبادلة، فهم يتحوّلون تلقائيًّا عبر تقادم الزّمن من هُواة غير دائمِين إلى قوّة استهلاكيّة ويتشكلّون في صُورة زبائن أوفيّاء يُقدّمون الـولاء الإراديّ والعـزم الـدّائم لـشراء مقتنيّات البريد.

والأهمّ من ذلك كلّه هو أنّ هذه الرّغبة الاستهلاكيّة تتحوّل من حافز حـسّيّ تقـود رغبة التّجميع إلى عـادة تجميعيّـة وتنتهـي في الأخـير إلى مـيراث حـضاريّ يتميّـز بـالتّنوّع والاختلاف، وحينها يتمتّع الهُـوّاة التّقليـديّون بثقافـة واسـعة وشـاملة تـستمدّ قُوّتهـا مـن سنوات بحث ومتابعة لمختلف الإدراجات والمنتجات البريديّـة، ولعـلّ هـذا الإطّـلاع الـذّي واكب إدراج خُطط التّسويق يعمل على تغطية احتيّاجات السُّوق بما يُضيف الكثير للهُوّاة المدرجين ولأوفياء هذه الهواية.

ب - فئات ذات اهتمامات متنوّعة:

* جمع موّاد تذكاريّة:

هي فئة من المشترين الذّين ينتبهوا لكُلّ تجديد في منتجات البريد ويسترعي انتباههم بعض الموّاد التّذكاريّة التّي تُخلّد حدثًا أو ذكرى وهم ليسوا من الهُوّاة العاديّن فهُم مثلاً سُيّاح أو مهتمّون بالرّياضة يُقبلون على طابع بريديّ يُصّور مشهدًا رياضيًّا ليس باعتباره أمرًا عارضًا إنّما لأهميّة الحدث ولضرورة تخليده.

ودفع هذا الظُّهور المفاجئ لهُواة الحدث ضرورة المُراهنة على التّكثير في نوعيّة الإصدار وكمّيته بما يُناسب الأحداث التّذكاريّة والأعياد الوطنيّة والمناسبات الرّياضيّة وغيرها دون أن تتعرّض نسبة الإنتاج إلى خطر تضخّم كمّيّ يُجاوز نسبة الإقبال الاستهلاكيّ، لذا وجب على إستراتيجيّة التّسويق أن تُحقّق تخطيطًا زمنيًّا مُحكمًا يُؤدّي لدراسة قياسات الدّعم والطلب من طرف إدارة البريد.

* المواضيع المختارة:

وهنا تقترح دُور البريد مواضيع مُختارة قابلة للمُعاودة من فترة زمنيّة إلى أخرى، لذا تمكّنت إستراتيجيّة التّوزيع من شدّ انتباه نسبة هامّة من الهُوّاة المخلصيّن الذّين يُتابعون الإصدارات بشغف شديد، فهُم يعملون على تطوير مجموعاتهم ومن ثمّ يستأنفون تأليف مجموعات جديدة قابلة للزّيادة والنّقصان، كما أنّه من الصّعب أن تقتفي الإدارة أثر هؤلاء الهُوّاة العرضيّين والمتفاوتين لعدم اعتدال اختيّاراتهم الشخصيّة ولتنوّع المواضيع المختارة التّي ينّصب عليها اهتمامهم.

4. تركيبة السُّوق المتفاوتة:

يتّجلى هدفنا في طرح التّساؤل حول كيفيّة التحكّم في برمجة التّسويق؟ حتّى نبحث في الإجابة ونفهم خاصيّة تركيبة السُّوق عُمومًا وطبيعة السُّوق التُّونسيّة خُصوصًا، ولتوضيح مسار المبيعات وتوظيف المُستجدّات التّجاريّة وجب التّحقيق في مدى التّوازن المنطقيّ بين نسبتيْ العرض والطلب، ولعلّ أهمّ ما يجلب انتباهنا هو التّعارض بين الإقبال العُمريّ للشّاب والكهل ودرجة اهتمام كليهما وكذلك مدى درجة إقبالهما على تطوير الهواية.

وتتدخّل في نفس المستوى المادّة البريديّة عبر تخطيط سنويّ ووفق برمجة توزيع معتدلة تُقابل بما يحمله الهُواة من برمجة تخزين المنتج في مدّة تتراوح بين عقد و25 سنة، فتُؤثّر هذه المدّخرات في البرمجيّات المستقبليّة وتُحدث فيها خللاً، وهذا ما جعل التّخطيط على أمد زمنيّ بعيد يُصبح صعب التّنظير، وبذلك عمل هذا الغُموض المستقبليّ على خلق اختلال في ميزان العرض والطلب وحقّق انعدام توازن على المستوى المحلّي والمكانيّ وحتّى على الأمد الزّمنيّ التّواصليّ وهو ما سهّل تجاوز هذا العجز عند فهم طبيعة المجمعيّن وساعد على التّحكم في قطاعات السُّوق المختلفة.

تبلغ الهواية ذُروتها مع الشّباب ثمّ تتحوّل مع تقادم الزّمن إلى هواية راكدة مع الكُهول، وإذا ما لم يتمّ شدّ انتباه شابّ اليوم فإنّنا نتأكّد من أنّ إمكانية استثناء الكهل من برنامج التّسويق غدًا أمر وارد، وبالتّالي فإنّ مُتابعة المستحدثات التّكنولوجيّة والاجتماعيّة يُصبح ضرورة واجبة للتّواصل مع الشّباب المُعاصر، إلى جانب ضرورة السّعي إلى المُحافظة على استمراريّة التّوزيع البريديّ على كلا السّاحتين الوطنيّة والعالميّة بنفس الوتيرة ولما لا نحو نسق أعلى، لذا فلمتأمّل أن يُنظر لكلّ المتغيّرات المعاصرة ويدرس مدى تأثيرها في بلورة المفهوم الإدراكيّ للطابع البريديّ، ومن ثمّ ما يفرضه هذا الأخير من تنظير مستقبليّ في المشهد الرّقميّ عبر تعدّد طرائق التّواصل عبر الخطّ !

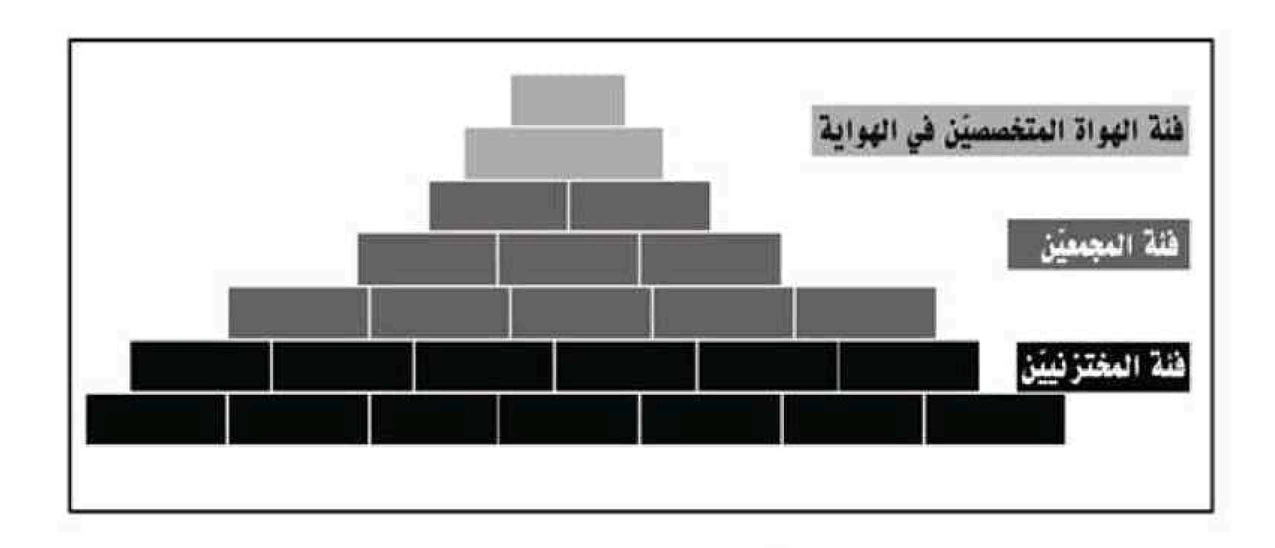
ونتهي إلى أنّ دراستنا لطبيعة التّطوّر التّقنيّ قد أمّنت تضافر الأسباب العلميّة والإدراكيّة لتهيئة المساحة وبروز منتج مُعاصر رقميّ، كما أنّ تحليلنا لطبيعة السُّوق البريديّة وخاصيّة برمجة التّوزيع الإنتاجيّ تُؤدّي بنا لا محالة إلى نفس المآل، لذا خصّصنا بابًا أوّلاً في تحليل المعطى التّقنيّ الصّناعيّ، وبابًا ثانيًا لفهم أنظمة تركيبة السُّوق وطبيعته التّي تتفاعل فيما بينها لخلق تحوّل جديد في الصياغة البريديّة.

*** نظريّة الهرم:**

تنطلق هذه النظريّة من قاعدة شعبيّة أساسيّة تُصَنَّفُ بوصفها قاعدة المختزنين الهُوّاة إلى سُوق مُنّظمة لتنمية الهواية والتّي تعمل بدورها على جلب المزيد من الزّبائن، وتندرج المجموعة من فئة تختزن المنتج البريديّ إلى فئة تُقدم على التّجميع إمّا بحسب الموضوع أو باعتبار قيمة الموّاد التّذكاريّة، وسنفرد نسبة ضئيلة متخصّصة في طبائع الهواية لنُوّضح سُلّم تدرّج النظريّة فنُقدّم في الأخير من يهتّم بتحليل المنتج الورقيّ وتقييمه وإخراجه؟ ومن يُعتبر المسئول الأوّل على هذه الأبجديّات الأساسيّة للتّوزيع البريديّ؟



رسم نظريّة الهرم وتركيبة المجمعيّن [1]



1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 47.

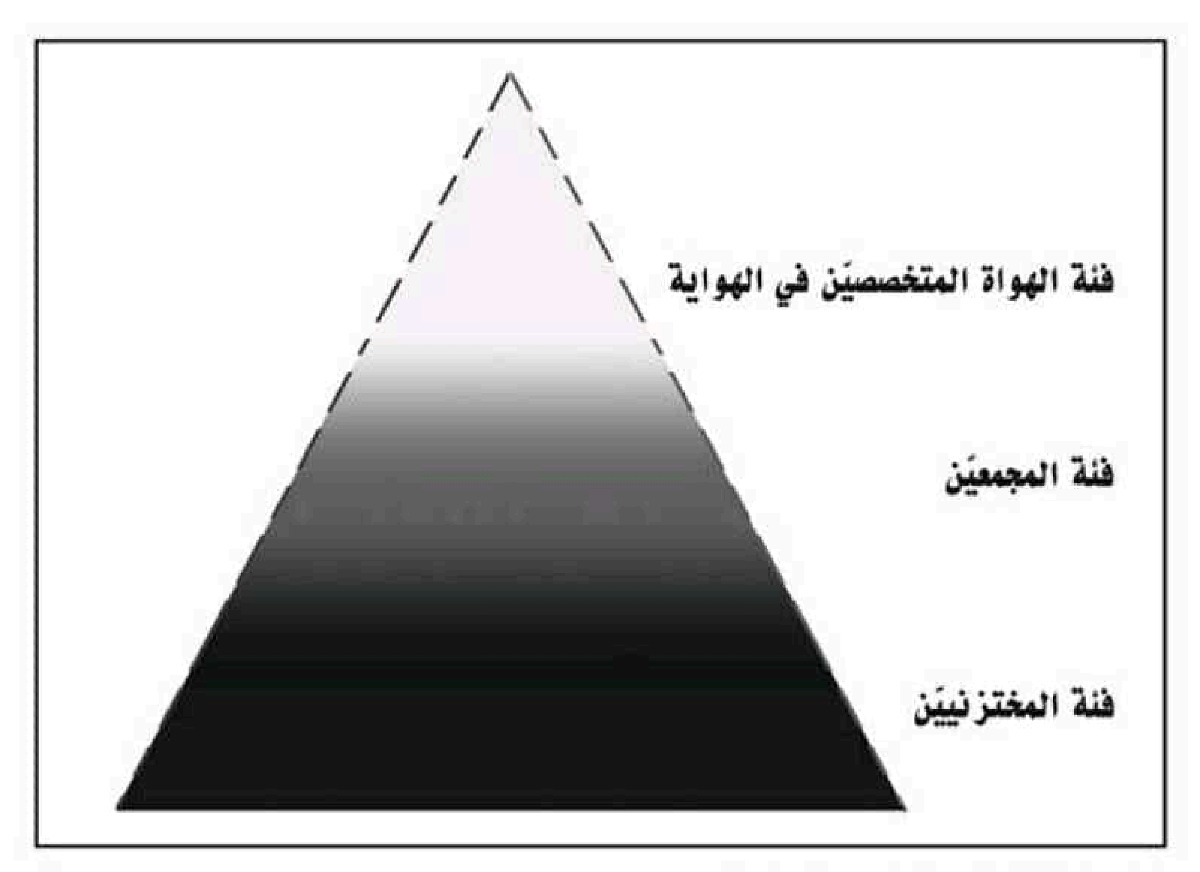
*** نظريّة العلاّقة:**

لا تتنافى هذه النظريّة مع نظريّة الهرم، إنّما تُضفي عليها سعة التّواصل المعرفيّ والثّقافيّ الذّي تشترك فيه فئات متنوّعة من الأشخاص القائمين على إرساء قواعد الهواية، وتُعدّ العلاّقة بمثابة فضاء رحب يتّسع لعدد لا متناه من المجمّعين الذّين تحدوهم رغبة التّجميع ويدفعهم حافز التّنافس المشترك.

ولعلّ من أهمّ مُواصفات هذه الهواية هو ذاته السّبب الذّي يجعلها تتعالى نسبيًّا وتتفاوت من حيث عدد المهتمّين بنظريّة العلاّقة، التّي تتمثّل في انفتاح مضمون لهواية التّجميع على المراجع والمُؤلّفات المشخّصة لاستقطاب عدد جديد من المهتمّين، كما نذكر منها البطاقات والقطع النّقديّة والأوراق الماليّة وما لدورها من قيمة شرائيّة تعمل على إثراء البعد التّنظيميّ وتسعى إلى إحياء حُضور الطّابع البريديّ بصفة دائمة ومسترسلة.

وليس غريبًا أن نُعدّد ما يُميّز هذه الهواية من إشراف حُكوميّ وحُضور هيئة إشراف عالميّة وبنية وطنيّة منظّمة في أكثر من ثمانين قطر، ليدفع هذا الأنموذج التّخطيطيّ الهُوّاة إلى تجميع أكبر قدر من الطّوابع البريديّة، وهو نوع من الزّاد الفكريّ الذّي يُنّمي اختيار الدّارسين فيُقدمون على تجميع الطّوابع انطلاقًا من مرجعيّة فكريّة وأهداف مدروسة، وبذلك تقوم هذه الهواية على درجة إدراك متطوّرة وعلى حضور ذهنيّ يتغذّى دوريًّا بإرسال المعلومة وتواصلها وتُزكيّه ثقافة تمتدّ مكانيًّا وزمنيًّا على نطاق واسع.

نظرية العلاّقة[1]



1.4. تنظيمات تخدم الهواية:

تتميّز هواية جمع الطوابع البريديّة بترتيبها ضمن تنظيمات اجتماعيّة ومدنيّة تندرج من إطار محلّي أو وطنيّ إلى إقليميّ أو حتّى قارّي إلى أن تنتظم تحت إشراف المنظّمة العالميّة لهُواة جمع الطوابع البريديّة العالميّة.

أ.النّوادي:

ينتمي الهُوّاة الدّائمون إلى نوادي جمع الطّوابع البريديّة، وتنقسم النّوادي إلى نوعين ؛ نَوَادٍ محليّة تختصّ في اهتماماتها بإقليم أو منطقة وطنيّة مُحدّدة، ونَوَادٍ تُصنّف حسب مواضيع أو أقطار حتّى وإن كانت خارجة عن نطاقها الجغرافيّ مثل نادي "فرنسا ومستعمراتها" في المملكة المتّحدة، كما تعمل مجموع هذه النّوادي على تعزيز التّعاون مع إدارات البريد لتبادل اهتماماتهم والاطّلاع

1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 47.

على مدّخراتهم، وهي عبارة على تجمّع إيجابيّ يُعزّز أركان الهواية ويلعب دورًا وسيطًا بين الهاوي والبريد بقصد تنمية مبيعات البريد وتنويعها وتقويم اختيارات الهاوي الإنتاجيّة وحتّى الاستهلاكيّة.

هذا إلى جانب أنّها تتدخّل في سياسات الإصدار بتحليل خُصوصيّة الطّلبيّة المقترحة وطرح الفرضيّات الناجحة التّي من شأنها توسيع دائرة المتسوّقين والمُقْتَنِينَ القارّين وخاصّة تبادل البرامج التّي تُؤدّي بدورها إلى استقطاب أعداد جديدة من الهُوّاة المهتمّين.

ب. الرّابطات الوطنيّة:

تتكتّل هذه النّوادي في إطار رابطات وتتشكّل وفق توزيع جغرافيّ تترأسه رابطة وطنيّة، وهي جهاز فاعل يهدف إلى النّهوض بالهواية ويُنظّم المعارض ويُوّفر خُططًا للتّدريب مُبرمجةً، لذا فهو يعمل على استقطاب شباب هاو ويدفع للتّنسيق بين النّوادي والتُّجّار المحلّيّين كما ينشر أخبار الهواية من أجل تنميتها والاعتناء بعادات التّجميع وفرض ضوابط التّعامل التّواصليّ، أمّا على المستوى الوطنيّ فتلعب رابطة البريد العالميّة دورًا هامًّا إلى جانب إدارات البريد الخاصّة بكلّ بلد والشّبكة التّجاريّة عُمومًا، فهي تفعل إيجابيًّا على المستويّين الوطنيّ وكذلك الدُّوليّ حتّى تُحوّل **الطّابع** إلى **علامة** عالميّة تتحدّى جميع الحُدود الجغرافيّة والوطنيّة وتُحوّلها إلى مفهوم عالميّ.

ج. الهيئات الدّوليّة:

هي عبارة عن رابطات قاريّة تُمثّل الجهاز الأعلى المشرف على الهواية عالميًّا، وهنا نجد "الجمعيّة العالميّة لتنميّة هواية جمع الطّوابع البريديّة" وهي منظّمة عالميّة تُشرف على المجمّعين الهُوّاة والقطاع التّجاريّ.

أمّا بالنّسبة إلى الرّابطات القارّيّة، فهناك ثالوث ينقسم كالآتي:

- رابطة قارّية تُغطّي منطقة أوروبا
- رابطة قارّية تُغطّي منطقة أمريكا الشّماليّة والجنوبيّة
- رابطة قارّيّة تُغطي منطقة آسيا وجنوب آسيا

تُؤدّي جُلّ هذه الرّابطات دورًا هامًّا في تعزيز مفهوم الهواية بنشر المؤلّفات وتكوين المعارض بما يُثري فعلاً الموارد الماليّة للبريد، في حين تأسّست "الرابطة الدوليّة لهُواة جمع الطوابع البريديّة" سنة 1926 بمبادرة من الرّابطات الأوروبيّة بهدف رسم برامج عالميّة تشمل المصلحة العامّة فتعمل على معالجة الظواهر المشتركة وتعميم النّتائج، كما أنّها تُعزّز حضورها لدى اتّحاد البريد العالميّ فتُوّثق الاتّصال بين الرّابطات وتُحقّق تفاعلاً إيجابيًّا بينها، ثمّ إنّها تُشكل مجموعات تهتّم بتسهيل التّراتيب الجمركيّة لأجل تحقيق التّبادل التّواصليّ بين الجمعيّات والهُوّاة والأقطار، ولقد توّصلت منذ الحرب العالميّة الثانية إلى نظم 82 رابطة عضو[1]، حتّى أنّها تنتظم جُلّها وفق قوانين وسياسات إجرائيّة فتُصوّب أهدافها من أجل تنمية الهواية وتزكية التّرابط بين الأطراف المساهمة.

د. القطاع التّجاري:

تعزّز نجاح هذا الميدان بتدخّل القطاع التّجاريّ الذّي أثرى قيمة التّبادل وأضفى المصلحة الماليّة التّي أعطت للممارسة البريديّة منحًا اقتصاديًّا، وهذا كلّه قد أدّى إلى تدخّل أطراف جديدة في المعاملة التّفاعليّة وأكسب الهواية عُمومًا صياغة مادّيّة ملموسة، فتسّجل أوّل تُجّار في المادّة البريديّة الذّين برزوا على المستوى العالميّ في أوروبا والولايات المتّحدة الأمريكيّة خلال سنة 1850 وإلى حدود القرن التّاسع عشر لينتشروا فيما بعد في شتّى أنحاء العالم[2].

---

1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 48.

2 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 49.

وللتُّجار دور هامّ في تعزيز حركة العرض والطلب فهم ينتظمون وفق "الرّابطة الدوليّة لنقابات تُجّار الطّوابع البريديّة" ويعملون خلالها على ضمان الأمانة المهنيّة وتطوير التّبادل المعلوماتيّ بين المنظّمات الأعضاء وتجاوز العراقيل التّي تحدّ من المبادلات الدّوليّة إلى جانب تعميم المعلومات حول الطوابع المسروقة والمزوّرة والمقلّدة والمرّممة ممّا يُضفي الكثير من المعلومات عند الاطّلاع على طبيعة المنتج ويُساعد على فهم ضوابط صناعته ويضمن طريقة الحفاظ على شُروط طباعته، كما تقوم "الجمعيّة الدّوليّة لناشريّ فهارس الطوابع البريديّة" على 80 منخرطًا من 28 قطر وتعمل على تنمية الهواية [1] وبعث نشرات مختصّة للإعلام والتّثقيف بما يُقيّم هذه الهواية في إطار الجديّة الحرفيّة والانتشار العالميّ.

ث. الاتّحاد البريديّ العالميّ :

يتشكّل الاتّحاد البريدي العالميّ من جمعيّات أعضاء تفاعلت فيما بينها لتكوين "جمعيّة عالميّة لتنمية هواية جمع الطّوابع البريديّة" ولقد رسمت بدورها أهدافًا مستقبليّة لصياغة إستراتيجيّة متكاملة تعمل على فهم تركيبة السُّوق وتُنْظر فعليًا لدوام قيم التّبادل التّجاريّ للمنتج البريديّ واستمراره، كما تسعى الجمعيّة إلى توحيد برنامجها التّنمويّ بإعداد "مُدوّنة سلوك" هي عبارة على مُعاهدة جامعة تُوّثق بين البلدان الأعضاء ضمن سياسة مُوّحدة وتُشجّع على إصدار طابع بريدي "عالميّ" بمناسبة الاحتفال باليوم العالميّ للطّابع البريديّ، كما أنّها تعمل على نشر دليل يجمع قائمة الخدمات التّي من المفروض أن تُقدّمها كلّ إدارات البريد وتحثّ في الآن نفسه على المُساهمة في الصُّندوق الدُّوليّ لتنمية هواية جمع الطّوابع البريديّة.

---

1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 49.

ج. الجمعيّة الدّوليّة للصّحفيّين المختصّين في هواية جمع الطّوابع البريديّة:

تعمل هذه الجمعيّة على نشر معلومات موضوعيّة عن الطوابع البريديّة وتسعى إلى حماية الهواية من التّزوير والمحافظة على الملكيّة الفرديّة، كما نجد من أولويّاتها التّعريف بالمنتج البريديّ والعمل على تنوّع المواضيع المختارة والأخذ بآراء شبكة المساهمين في عديد المسائل المتعلّقة بالقطاع.

خاتمة الباب الثاني

يضع الباب الثاني الطابع في موقعه التّبادليّ الاتّصاليّ حتّى نفهم أوّلاً كينونتـه، ومـن ثمّ نستوضح ثانيًا القائمين عليـه والسّاهرين عـلى تواصلـه الزّمنـيّ والمكـانيّ في المُعاملـة البريديّة.

فمُطارحة الأُنموذج في مكانه وقراءة كلّ ما يُحيط حوله من مُحدثات ومُستجدّات شديدة الوُثوق بطبيعته يُعتبر أمرًا هامًّا يُساهم في حُسن تقدير مستويات التّفكير حولـه وفهم خُصوصيّة موقعه، فهذا المحمل تبدّل وغيّر موقعه من **طابع علامة إلى طابع تبادل**، وسينتهي آخر المطاف إلى الإرساء والحطّ على أرض عوالم الافتراض المفتوحة، وبذلك فنحن نتعمّق في هيكلة سوقه وتنظيمه من عدمه، حتّى ندرس مدى تفاعله وفعله، فنفتح أُفقًا واسعًا يشملنا نحو الاطّلاع على شرائح مُكوّنيـه والسّاهرين عـلى توزيعـه، وسيُّمهد هـذا الباب الانتقال إلى باب ثالث يُقـدّم الطـابع وقـد تحـوّل أخـيرًا **لعلامـة فارقـة** تـتحكّم في إسـتراتيجيّة التّوزيـع والـصّرف فـنلج بـذلك عـالم التّـسويق ونطـرح سياسـات التّخطـيط وإستراتيجيّة البريد الواسعة.

وليس عجيبًا أن يختصّ الباب الثاني في تقـديم الأُنمـوذج البريـديّ فيُعـرّف بمـدارات تسويقه وهيكلته، ليطرح لاحقًا بابًا ثالثًا مُواليًا يسرد عُمق عالم التّـسويق واتّـساعه، ومـن ثمّ حتّى نفهم في باب رابع وأخير صيرورة المحمل وانتقاله من شكله التّقليـديّ الكلاسـيكيّ إلى اقتحامه فضاء **الرّقم** ومساحة الأداة الآلة.

الباب الثالث

العلامة... وإستراتيجيّة التّوزيع والصّرف
قراءة في سياسات التّخطيط البريديّ

مقدّمة الباب الثالث

نُقدّم في هذا الباب الثالث تحت عُنوان "**العلامة وإستراتيجيّة التّوزيـع والـصّرف... قراءة في سياسات التّخطيط البريديّ**" قيمة تحوّل **الطابع** من وظيفة الاستخلاص البريـديّ إلى وظيفة **العلامة التّسويقيّة** ضمن إستراتيجيّة توزيع مُنّظمة تتميّز بقـدرة واسـعة عـلى تحقيق التّوازن بين قوى العرض والطلب داخل السُّوق البريديّة وحتّى خارجها.

وهنا يتـدرّج **الطـابع** مـن دوره البريـديّ الخـالص إلى تحوّلـه **علامـة اتّـصاليّة** ذات مُواصفات جماعيّة مشتركة، ومن ثمّ ينتقل من حالـة **العلامـة** إلى مرحلـة ظهـور **العلامـة الرّقم** ذات الحُضور الافتراضيّ عبر الخطّ مع الوُلوج في مقتضياتها وأسباب بعثها، وسنتناول بالدّرس في كلّ هذه المُشاكسات الفكريّة إستراتيجيّة التّحوّل مـن المحمـل في دوره المبـدئيّ إلى المحمل في أدواره المستحدثة، فنُوّسع بذلك مجـال التّفكـير في تعدّديّـة وُجـوه المحمـل الطابع وتشخيصاته، ومن ثمّ في مدى تأثيرها في تغيّـير اسـتراتيجيّات التّخطـيط والتّـسويق البريديّ من المستوى الماديّ الملموس إلى أمد افـتراضيّ احـتماليّ مُتّـسع المجـالات ومفتـوح على الآخر في أحدث تطّلعاته وأجدّ ابتكاراته.

وهنا ينقسم الباب الثالث إلى أربعـة محـاور، فيبـدأ أوّلاً بمحـور يطـرح "**سياسـات التّخطيط**" من مرحلة الإصدار إلى سياسات السّحب قصد تعديل تفـاوت المبيعـات ومنهـا إلى شُروط ومُقتضيات الأرشفة والتّخزين وكذلك عمليّة الادخار، أمّا المحور الثاني فيعتنـي بتقـديم "**مـدارات التّخطـيط الاسـتراتيجيّ**" ويتنـاول تطـوّر المنـتج وعلاقاتـه بالـصّناعات المُساندة ومدى تقدّم الصّناعات الحليفة إلى إرساء توّجهـات الإشراف الحُكـوميّ وفرضـها، وننتهي في الأخير إلى عرض استراتيجيّات المُنتج البريديّ وتسويقه، وكذلك نتنـاول بالبحـث والدّرس في مُستحدثات التّجديد التّراكميّ والنّوعيّ.

في حين ينتهي المحور الثالث إلى تركيز النّظر على "**تطوّر القطاع البريديّ التّونسيّ**" في سياسة تخطيط الإصدارات ومواضيع الإنتاج البريديّ، ومنه إلى تحقيق التّوازن والاعتدال بين الإصدارات التّذكاريّة والعاديّة ومن ثمّ المُراوحة في القيمة الاسميّة الفرديّة والنّسبة العدديّة للطوابع البريديّة ضمن الإصدار الواحد.

أمّا المحور الرّابع والأخير في هذا الباب فيطرح "**ترويج المبيعات من التّقليديّ إلى المُعاصر**" حتّى نكتشف أدوار الانترنت في التّعريف بالطابع البريديّ وتطوير أساليب التّفاعل معه على الخطّ.

1. سياسات التّخطيط:

تُعنى سياسة الإصدار بوضع برنامج استراتيجيّ يعمل على تبويب احتيّاجات الفئة المستهدفة مع تأمين القدرة على التّجاوب مع شُروط العرض والطلب، كما تُراعى في سياسة التّخطيط صياغة أُنموذج تصميم ذا اختبار تجريبيّ Briefing يستقيم باعتماد أربعة محاور تتمثّل كالآتي "أوّلاً في نوعيّة المتقبّل بمعنى جنسه وعمره وثقافته، وكذلك كلّ من لديه صلة أو علاقة اتّصال بالمنتج، ومن ثمّ إنّنا نسعى في محور ثانٍ إلى بُلوغ تغيير في موقف المتقبّل وكذلك الصُّورة والسُّلوك، في حين يتناول المحور الثّالث رضا المتقبّل بالتّواصل مع الباثّ فيما يهدف العمل الاتّصاليّ إلى تقبّل المُنتج عند إطلاق المعلومة وكذلك عند تلقيّها، وأخيرًا رابعًا نفرض قواعد طبيعة المنتج وما يُمليه عليك نظام التّسويق"[1]، كما تسهر هذه السّياسة القاعديّة تحت إشراف إدارة البريد والمنظّمات الرائدة على تحقيق مقاربة استكشافيّة في احتمالات السُّوق ومُستويات التّنبؤ بفرضيّاته المستقبليّة التي تُساهم بدورها في التّحكم في تركيبة السُّوق.

1.Henri Joannis. (1988), *le processus de création publicitaire*, imprimé par Dunod entreprise, 4ème édition, page 8- 9

وهذا ما يجعلنا نُفسّر ونُبرّر ونسعى لإيجاد الحُلول الجذريّة التّي تُساعد على تحقيق التّفاوت في نسب العرض والطلب، أمّا بالنّسبة إلى المُجمعيّن الهُوّاة فإنّ أخلاقيّات المهنة تفرض"فلسفة سُلوكيّات" وتُنظم عمليّة الإقبال على المُنتج البريديّ وتسنّ أُسلوبًا مُتّفقًا حوله يُنّظم قواعد التّبادل والمُشاركة الفعليّة، وبذلك يُقدّم هذا التّوضيح السُّلوكيّ في الآن نفسه سياسةً مشتركةً تجمع بين مُحيط دائرة البريد وحُدود التّصرّف الشخصيّ للفرد الهاوي بأن تُساعده على تحقيق مُستوًى عال من الثقة وتثبّت بذلك نسبة مبيعات مرتفعة فتُقيم سُوقًا منتظمة قائمة على ضوابط الاحترام المتبادل بين الأطراف المتشاركة في العمليّة البريديّة.

1.1. سياسات الإصدار:

تُعتبر سياسات الإصدار هي الشُّغل الشّاغل لإدارات البريد وقد تُنقح من سنة إلى أخرى ولا يُشترط أن تُحافظ على المعطيات نفسها من إدارة بريد إلى أخرى، فكما سبق وأن قدّمنا في دراسة مدارات السُّوق البريديّة، فإنّ سياسة الإصدار تتبنّى المعطى الزمنيّ والمكانيّ للقطر أو الإقليم المحتضن، وبالتّالي فإنّها تفرض طريقةً مُثلى في صرف **المفردات الصُّوريّة** وتوزيع **العلامات المتداولة** في إطار يتعدّى البُعد الوطنيّ إلى إقليميّ ومنه إلى عالميّ.

غير أنّ القاسم المشترك في سياسة الإنتاج البريديّ هو الاتّفاق المشترك حول طبيعة الإصدارات والمُراوحة المتوازنة بين المواضيع التّذكاريّة والعاديّة ووُضوح القيمة الاسميّة للمُنتج وأصنافه وضبط مختلف الإجراءات الإداريّة التّي تُحدّد الكميّة ومدّة البيع ومختلف مفردات النّصّ الذّي يحمله الطابع البريديّ.

وتجتمع جُلّ هذه الضّوابط في لائحة قانونيّة تحمل اعترافًا رسميًّا وضمنيًّا من دائرة الإصدار، وهي تحتكم إلى طريقة عرض مشخّصة جرت وفقها العادة بما يُوصف بالمواضيع الممنوعة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ظُهور شخصيّات على قيد الحياة أو عند إحداث فوارق زمنيّة بين

الإصدارات بما لا يُوازي حركة التّوزيع والإقبال، أو أن نعمد إلى تنظير فرق واضح بين تاريخ الإصدار وتاريخ طرح مطلب التّصميم خاصّة بالنّسبة إلى الطوابع التّذكاريّة التّي يتحدّد تاريخ إصدارها بتاريخ الحدث ذاته.

2.1.سياسات السّحب:

تُفرز برمجة سياسة السّحب تضخّمًا في المنتج البريديّ الذّي يتمادى عرضه في السُّوق إلى أمد غير محدّد، وهذا من شأنه خلق تردّي للقيمة الاسميّة للطابع البريديّ، لذا وجب تحكير سياسات السّحب التّي تُساهم في تعديل ميزان العرض والطّلب وهذا مُحبّذ خاصّة في حال عدم القيام بدراسة مسبّقة لدرجة استهلاكيّة السُّوق.

وليس غريبًا أن تخدم سياسة السّحب أساليب جديدة في عمليّة طرح مداد البيع بحسب نوعيّة الطوابع وأماكن بيعها واقتنائها، فمثلا تأخذ الطوابع التّذكاريّة أقلّ زمنًا من الطوابع العاديّة التّي تشهد نسبة إقبال عالية قد تبلغ أعلى تقدير لها في الخمس السنوات الأولى كفترة مُثلى، في حين لا تتجاوز التّذكاريّة فترةً تُراوح بين ثلاثة أشهر أو في أقصى تقدير سنة كاملة من السّحب انطلاقًا من تاريخ الإصدار، وبذلك تعمل مجمل هذه التّحدّيات الزمنيّة على خلق مُعادلة تُوازن بين نسبة العرض والطلب حتّى تُحقّق اعتدالاً في حجم المبيعات، وهي تسعى بذلك إلى تفادي تراكم المادّة البريديّة في دُور البريد ونقاط البيع ما قد يعكس تراجعًا في قيمة الإصدارات ويُفقد الثّقة بين المُجمعيّن وسُلط الإصدار.

هنا بالذات يتطلّب تحقيق المُعادلة في سياسة السّحب توازنًا بين وقت العرض وفعل البيع، بمعنى أنّ تقديرات الطلب تُراهن على المُوازنة بين طلبات مُقتنيّها في الوقت والأمد الكافيّين، وفي الآن نفسه يجب أن يكون التّعاهد مع التُجّار قائمًا على ضوابط التّوزيع ومواعيد السّحب شرطين أساسيّين يضمنان حُقوق المدّخرين الذّين لن يُقدموا على مرحلة التّخزين ما لم تُسحب الطوابع من دُور البريد.

كما أنّه من الأرجح أن تستفيد سُلطات الإصدار من حركة الوُكلاء الـذّين يُحـدّدون زيادة في حجم المبيعات عند ارتفاع نسبة الإقبال الجماهـيريّ، فيُـصبح المُـزوّد قـادرًا عـلى تخزين المادّة البريديّة التّي ستُورد حتمًا تكلفةً باهظةً خاصّةً في حالة تـأمين سـلامتها مـن التّلف إذا ما تردّت حالتها بفعل عوارض الزّمن والرّطوبة.

وفي نفس الوقت تدرس دائرة البريد طبيعة السُّوق ومنطـق المبيعـات كـما تحـرص على تأمين توازن الإصدارات المتزامنة التّي عادة ما تُفرز خللاً لدى الهُـوّاة أو أنّهـا تُواكـب حدثًا تذكاريًا يُطوّر في نسق الإصدارات، وللُاحظ أن ينتبه أنّه خلافًا لاتّساع رقعـة الـسُّوق البريديّـة وتنـوّع الـشرائح المـساهمة، فـإنّ سياسـة سُـلطة الإشراف تُحـدّد نـسب العـرض والطلب وكذلك وقت الطرح وجُلّ المعادلات المتزامنة لتحقيق مستو قارّ لعلامتها البريديّة بهدف الحفاظ على تهافت المقبلين على المادّة البريديّة.

حقًّا تستنفد الإدارة طاقات بشريّة وماديّة واسعة تُثقـل كاهلهـا، وهـذا مـا يجعـل دورها يتعدّد في إيجاد مُعادلة متوازنة داخـل حركيّـة الـسُّوق البريديّـة، وهـذا مـا يفـرض ضرورة تقديرًا لآليّة التّسويق ومداراتـه لأجـل تقريـر سياسـة الإصـدار والتّوزيـع الفُـضلى، وبذلك يقع ضبط قياسات الأرشفة في عمليّة السّحب وتسجيل قيمة المنتج بالمراوحـة بـين طبيعة المادّة وشُروط المُحافظة عليها، لـذا فـإنّ تقريـر دورات الطباعـة والإنجـاز تُـساهم بدورها في تأمين توقيت الإصدارات وتُحقّق إلى جانب ذلك تزامنًا مع حركة المبيعات حتّى أنّها تُنتج تَحكُّمًا مُتقاربًا مع احتيّاجات السُّوق البريديّة.

ومن البديهي أن تُنتج تغذية السُّوق المحليّة والعالميّة صُعوبةً في الـتحكّم التّجاريّ بما يضطرّها فعلاً إلى توقيع مُعاهدات اتّفاقيّة تُـنّظم مراحـل التّـسويق انطلاقًا مـن إدارة البريـد وُصـولاً إلى تُجّـار التّفـصيل والجُملـة ومـنهم إلى هُـواة

مُجمّعين عرضيّين وثابتيّن، كما تُؤدّي كلّ مُحاولات التّحكّم في السُّوق حتمًا إلى تأسيس سياسة تجاريّة تكتنفها أساليب توزيع مُنّظمة إداريًا تنبثق في الأصل عن إدارة البريد وتتمرّكز حول جُلّ المجمّعين والهُوّاة والمدّخرين، وبذلك ينطلق التّنظير من مسؤول الإصدار إلى مُستغلّ المادّة التّجاريّة ومنه إلى مستهلك عامّ بما لا يُحقّق فقط اكتفاءهم الذّاتيّ بل يُوصف فعلهم التّجميعيّ على أنّه أمد متزامن وآنيّ في نفس الوقت، كما سيتولّى كُلّ عضو قائم منهم السّهر على تأمين الحركة البريديّة بما يجعل عُهدته الادخاريّة البريديّة محفوظة من التّلف وبما يُساعده على الرُّقيّ بأسلوب التّسويق التّجاريّ حتّى يُعطي لمادّته قيمةً معنويةً ثابتةً.

تُؤدّي هذه المراحل المتزامنة إلى فرض حركة تسويق تجمع أطرافًا عدّة تختلف اهتماماتها وأهدافها لكنّها تعمل مع بعضها لتنظير مُنتج بريديّ يتعالى على جُلّ التّعقيدات التّسويقيّة والتّوزيعيّة، وبذلك تحفظ سياسة الإصدار حُضورًا وطنيًّا ومُشخّصًا لبرمجة القُطر المُصدّر، وهنا تُقدّر سياسة السّحب التوّقعات المستقبليّة وتُقّر عددًا من القرارات حول طُرق التّوزيع والصّرف.

لذا فإنّ موضوع الإشكال في كتاب "**العلامة والرّقم**" يتناول طرح أنموذج الطابع البريديّ الرّقميّ الّذي سيحمل تسهيلات منهجيّة في طريقة بثّه وفي أدوات اتّصاله عبر الخطّ، حتّى أنّنا سنأتي تدريجيًّا على تحليلها في عرض استراتيجيّات البرمجة الرّقميّة وسنسعى إلى تقديم ضوابط تنظير المنظور القرائيّ الافتراضيّ.

3.1. سياسة الأرشفة:

تُنّظر سياسة الأرشيف مسار توزيع المادّة البريديّة إمّا بحفظها أو إعدامها، ويبقى تحديد قرار الأرشفة مرتبطًا دائمًا بطبيعة المادّة ونوعيّتها وقيمتها، وعلى خلاف ذلك فإنّ الأرشفة هي عمليّة تخزين لإصدار بكُلّ ما تحمله الكلمة من معنى، فالادّخار يشمل نموذج تصميم الرّسام والمُسّودات الطباعيّة ونُسخة فرز

الألوان وحتّى تجارب التّخريم وغيرها ممّا تتطلّبه عمليّات التّحضير للطباعة أو لأشغال ما بعد الطباعة.

نعم، قد تتدّهور قيمة ادّخار المادّة البريديّة التّي لم يقع تسويقها بعد فتُسحب من السُّوق لفوات آجال بيعها، وهذا ما يجعلها تتعرّض لاحتمالين إمّا الأرشفة أو الإعدام أو أن تُخزّن لأجل عرضها في معارض وندوات مستقبليّة فتتحوّل بدورها إلى مادّة ذات قيمة مُضافة قابلة للإطّلاع الجماهيريّ والتّثقيف والعرض العُموميّ لتخدم طوعًا النشرات الموّظفة في هواية جمع الطوابع البريديّة.

في هذا السّياق لا تُحدّد توّجهات الأرشيف سلفًا إنّما تشمل عيّنات من المواّد الإضافيّة للطابع البريديّ مثل الأختام وطوابع الإصدار وظُروف اليوم الأوّل للإصدار، وهنا يتلخّص دور الأرشيف في الجمع بين القيم المتّفق حولها والقيم المضافة التّي استرعت اهتمام مُجمّعي الطوابع البريديّة، لذا وجب على إدارة البريد هيكلة الأرشفة لحماية منتجاتها بحفظ أملاك الإدارة ومنع تسرّب المنتج لضمان حقّ الملكيّة المشروعة والحيلولة دون تداولها على المستوى التّجاريّ والاستهلاكيّ.

لكنّنا هنا نجد أنفسنا حيال سبب آخر تستنفد فيه إدارات البريد مجهودًا كبيرًا لحفظ المادّة الإنتاجيّة وتحديد مجال تمتّع المزوّدين بحقّ التصرّف في إصدارات البريد المتمثّلة في اختيارات البلد القائم على الإصدار، وليطرح سائل استفهامه ! بأنّ البريد يستنفذ طاقات واسعة تشمل مجالات متعدّدة من التّخزين والادخار والأرشفة لأجل تأمين مرجعيّة منتجه وسرّيته، فهل من بديل يُسهّل هذه الممارسة البريديّة المعقّدة ؟ وهل يحفظ البريد **للطابع العلامة** مصداقيّته ؟

2. مدارات التّخطيط الإستراتيجيّ:

يتوزّع برنامج الإصدارات على كامل السّنة ويُقدّم تنظيرًا مُسبقًا، خاصّة إذا ما علمنا أنّ عمليّة برمجة الإصدار تتطلّب ثمانية عشر شهرًا، في حين أنّ الإعداد التّقنيّ قد يمتدّ إلى أربعة وعشرين شهرا بالنّسبة للمستوى العالميّ، أمّا على المستوى الوطني فإنّ البريد التّونسيّ يُحدّد برنامج الإصدار في مُوفى كلّ سنة وتدوم مراحل الإعداد من تصميم الفكرة إلى الطباعة ومنها إلى تغطية السُّوق المحليّة والعالميّة ما يُقارب الشّهرين وقد تقصر المدّة أو تطول بحسب ظُروف الإصدار وارتباطه بالحدث التّذكاريّ.

ومن الضّروري أن نطّلع على أنّ البريد التّونسيّ يتحكّم في جُلّ مراحل التّسويق، لذا تقترح الإدارة في مُستهلّ السّنة برنامجًا للإصدارات تتحاور حوله مع مُختلف المُجمّعين والهُوّاة قصد إعلامهم بمواضيع السّنة ومُناقشة المُختارات، وقد تأخذ برأيهم واقتراحاتهم لتنقيح المحتوى بما يُناسب الطلبيّة ويُلبّي احتيّاجاتهم، كما يلتزم هذا التّخطيط بطُول المدى ويأخذ على عاتقه جُلّ المعطيات التّي يفرضها السُّوق، ومن المُهمّ أن نذكر أنّ بعض البلدان تتوّلى البرمجة مدّة سنتين أو أكثر، وقد يصل البعض منها إلى ما يُقارب العشر سنوات.

ترتكز بلورة المفهوم التّحليليّ للمرحلة الآنيّة على تطويع مُعطيات الدّرس وتعتمد مبدأ عامًّا مُشتركًا فتُحلّل نقاط القُوّة والضعف في البرمجة وكذلك الفُرص والمخاطر المتاحة لاستيعاب الحالة الآتيّة وتجاوز العثرات والتّنظير لمستقبل نرومه، ويتناول هذا المجرى التّحليليّ تطبيقًا مُباشرًا على المُحيط الخاصّ بفضاء التّسويق ومساحة الإنتاج وآفاق المبيعات، فنسعى بذلك إلى تبيّن الحالة الرّاهنة قصد إيجاد الإجابة على احتمالات التّغيير ضمن أمد واسع ومفتوح.

وأثناء درسنا لشرائح السُّوق تبيّن لنا أنّ الفترات الزمنيّة التّي تُبوّب فريقًا من المُجمّعيّن تتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين سنة، كما أنّ تحوّل الهاوي الشّاب إلى مدّخر كهل يحتكم إلى نفس الفترة، ولكي نتمسّك بتحليل موضوعيّ يستشفّ قيمة الإصدارات ومدى استجابتها لحركة العرض والطلب وجب إحداث رُسوم بيانيّة تأخذ بعين الاعتبار التّسلسل الزّمنيّ وتنوّع المواضيع المختارة لفهم مدى تجاوب المجمّعين والهُوّاة مع الاختيّارات المشخّصة.

جدول التّوزيع الزّمنيّ لإصدارات الطوابع البريديّة

في تونس في الفترة بين 1931 و1999[1]

السّنوات	1931	1953	1956	1959	1962	1967	1972	1980	1985	1993	1996	1999
شخصيّات		1	9		4			2	1			4
آثار	6		4	8		5					3	3
تقاليد				4	6	2	6	1	3	4	3	
حضارة	5			3	10	8	6	3	3	1	5	4
عالمية				2	5	6	17	3	6	2	7	3
وطنيّة		4		8	12	9	5	12	6	5	9	5
نباتات				1			1	2		1		8
حيوانات						1		2		1	2	3
إسلاميّات	10	2	12	2				1			2	
طبيعة		1	7	9				1			1	
المجموع	21	9	32	37	31	24	25	24	22	16	30	30

1. الطوابع البريديّة التّونسيّة من سنة 1888 إلى سنة 1999، إصدار البريد التّونسيّ، تونس العاصمة، مركز الطوابع البريديّة، تصميم وطباعة بيكترا، 2000، جدول مستخرج من مجموع الإصدارات السنويّة، ملاحظة: قد يشترك نفس الإصدار في الانتماء لموضوعيّن مختلفيّن.

ومن الجوانب الواجب أخذها بعين الاعتبار هي القيمة الاسميّة للطوابع البريديّة لأنّها تُقدّم قيمة التّضخّم الماليّ وتطوّره في فترة محدّدة، وبالتّالي فهي تُفسّر إقبال الزبائن على حسابات الإرسال البريديّ وتقيس القدرة الشرائيّة التّي تعتمد على مبدأين، إذ يتمثّل الأوّل في القيمة الفنيّة للإصدار، ويُصوّر الثانيّ القيمة الاسميّة للطابع البريديّ، كما تهدف هذه الجدولة إلى ضبط مستوى عمليّات الإصدار وتحديد ماهية المواضيع المعتمدة التّي تُسجّل دفعًا تجاريًّا مُهمًّا.

إنّ درس الحالة الرّاهنة هو بمثابة تحليل قرائيّ نلتمس من خلاله الواقع المعيش ومُقتضيّاته، ليؤول بنا الأمر إلى تخطّي التّمعّن في الحاليّ الآنيّ والانتقال إلى مرحلة استنتاج نقاط القوّة والضعف لأجل إحداث توازن فعليّ مع احتيّاجاتنا المستقبليّة، ولعلّ أنّ في فهم تشكيلة العناصر المحرّكة للسُّوق البريديّة ما يُمكّننا من تطوير المنتج **الطابع** ويُساعدنا على توفير صياغة مبتكرة في أسلوب الصناعة إلى جانب تثبيت استراتيجيّات التّسويق وبناء هيكلة واضحة المعالم تختصّ بتسويق المهارة في سُنن التّجميع بما يُقدّم ويُطوّر ثقافة الممارسة البريديّة كاملة.

هنا بدأ استكشاف الرُّؤى المستقبليّة بتمعّن وتبصّر عميقيّن للواقع المعيش الذّي انطلق من مرحلة تخطيط مُسبق، وبذلك قامت لجان البحث في وزارة تكنولوجيا الاتّصال بالبلاد التّونسيّة منذ سنة 2005 بالتّنظير لطابع بريدي رقميّ جديد، ثمّ سعت إدارة البريد إلى فرض اتّصال عبر الخطّ ضمن بروتوكول جديد يتناول الإقبال على المنتج البريديّ ينطلق بالأساس من التأثّر بالتّكنولوجيا الحديثة التّي اختصّت في عرض تقنيّات المُراسلة عبر الخطّ وشرحها، وهنا "يُعطينا الحاسوب الخطّيّ قُدرةً على التّصوّر البصريّ للعالم في مجموعة من

التّماثيل الممكنة"[1]، ثمّ إنّ الإدارة سعت لتأمين المُحتوى المبعوث وضمّنت صلةً مُوّثقةً بين باثّ ومتقبّل دون الارتباط بأيّ شرط زمانيّ أو مكانيّ، حينها فقط تمّ تطبيق الممارسة البريديّة الاتّصاليّة لتتّجلى نقاط ضعف هذه المراسلة التّطبيقيّة والتّي تحوّلت إلى حالة من التّساؤل المفروض ; هل يتدخّل الطابع الرّقميّ كحلّ جذريّ لتقليص المفارقات التّواصليّة في الزمن الحاضر ؟ وهل تطوّرت المُراسلة البريديّة عبر **الطابع** الإليكترونيّ ؟

عادة ما يعمل التطوّر ألإحداثيّ إمّا على إبراز نقاط القوّة أو تفادي نقاط الضعف، بمعنى أنّ خللاً في التّواصل الكلاسيكيّ يُنبئ حتمًا بضرورة التّغيير لاستبدال المعهود والمتداول، فتتناول الحركة المعاصرة الإجابة على الإشكالات المطروحة، لذا يجب على المُصوّب أن يُحوّل نظره إلى تحقيق أهداف سامية بأن يتناول مزايا مُمارسته الحالية وأن يُضفي عليها ما يراه مُكمّلاً لها قصد إدماج تجربتيّن ; إحداهما مرحلة حالية راهنة، وثانيهما تاريخ ثريّ بالتّفاعل الإنسانيّ المُوجب عندما نستثني منحًا سلبيًّا كشفته نقائص الممارسة وأثّر فيه العجز على مُواكبة التطوّر التكنولوجيّ، وهنا تُفرض تساؤلات واسعة يسعى من خلالها واضع سياسة التّخطيط إلى إدماج إيجابيّات الماضي وإضافات الحاضر، فيتحوّل العمل من محدوديّة التّطبيق المتداول الساري العمل به إلى اتّساع المُمارسة الرّقميّة التّي تُؤمّن هيكلةً متطوّرةً.

وتتوّجه سياسة التّخطيط إلى تحقيق مقاربة تُحوّر برامج الإصدار وتُغيّر اتّجاهات التّوزيع وتُهيكل نقاط التّسويق، فلا يختصر الأمر على بلورة جوهريّة ذات صبغة ماليّة وعمليّة إنّما ينعكس على إيرادات المبادلات البريديّة ويُساعد على تنقيح أساليب الممارسة اليوميّة للمُزوّدين وكذلك المستهلكيّن، كما أنّ

1 .Mel Slater, Anthony Steed, and Yiorgos Chrysanthou, (2002), *Computer Graphics and virtual environments from realism to real-time*, the United States of America, University College London, First published, Addison-wesley.,

التّحوير الجذريّ لا يتأثّر فقط بالعوامل الخارجيّة إنّما يرتبط بطبيعة المعاملة البريديّة باعتبارها مُؤسّسةً وطنيّةً تُنفّذ رُؤى الدولة ومُخطّطها الاستراتيجيّ، حتّى أنّها تستبق قبل إحداث أيّ تغيّير في التّوزيع والصّرف قراءة الاتّجاه الفكريّ والسياسيّ للبلد المصدّر، وبالنتيجة فإنّ المُفارقة بين المُتداول والمُحدث يُعتبر أمرًا شديد الوُثوق عبر الامتداد الأفقيّ في أمثال الانعكاسات والمُؤثّرات الاجتماعيّة والتّقنيّة والنّفسيّة، كما أنّها تنتظم كلّها ضمن محور عموديّ تُسيّر خلاله سُلطة الإشراف تنفيذ قرارات التّغيير في جُلّ الميادين التّعامليّة.

وتتمتّع الحُكومة التُّونسيّة في أغلب الاختصاصات والاتّجاهات الثّقافيّة والسّياسيّة بإرساء توّجه مُعاصر يستقطب جُلّ التّطوّرات التّكنولوجيّة فهي تأخذ في تحويرها على تجديد القديم والمُراهنة بالإحداث التّكنولوجيّ على الابتكار ومُواكبة كلّ ما هو مُعاصر وقابل للتّغيير، ولقد أقرّت من أجل تحقيق هذه التّطوّرات تسهيلات جُمركيّة وذلك لتزويد المستهلك بالمنتجات الإليكترونيّة مع تعميم الرّقميّات على الأقاليم وتشجيع عدد من المشاريع الصُّغرى التّي تعمل على بعث مراكز للانترنت، كما أنّها تُساعد على وضع الحاسوب العائليّ في مُتناول الفئة ذات الدّخل المتوسّط بقُروض بنكيّة قصيرة المدى.

وسنأتي في كتابنا هذا على تقديم قيمة التّحوّل التّواصليّ عبر التّجارة الإليكترونيّة التّي أثّرت جوهريًّا في صياغة الممارسة البريديّة، فلقد تطوّرت على المستوى العالميّ أساليب المُعاملة التّجاريّة عبر الخطّ، وتوّصلت بذلك إلى تأطير أُسلوب المبيعات بين المُواطنين داخل دائرتهم المغلقة وسهّلت تسيّير نقاط البيع المُوّزعة على كامل أنحاء العالم عبر شبكة الانترنت.

هنا يخضع تنظيم هذه الصياغة إلى ضوابط أمنيّة ومصرفيّة مُعقّدة فتُوّظف هذه الصلاحيّات ضمن قانون دُوليّ يُنّظم مجموع الضمانات للمُتّصلين ويُؤمّن طرفيْ المبادلة في العمليّة التّجاريّة الاستخداميّة وفق قياسات جُمركيّة

وماليّة، والأهمّ أنّها تتحكّم في مجموعة من الأنشطة الإستراتيجيّة حتّى أنّها تجمع عددًا من أطراف مُتعاقدة عبر مُعاهدة رقميّة تتحوّل خلالها مفاهيم الاتّصال إلى نوع من السّياق الاجتماعيّ، فتنأى بالأفراد من المُقاربة الماديّة المباشرة إلى مقاربة عبر الخطّ تربط بين الآلة والمستخدم عبر اتّفاقات ومُعاهدات أخلاقيّة واتّفاقيّة وتفاعليّة تنتظم كُلّها داخل هذا العالم الجديد.

1.2. تطوير المُنتج:

تهدف سياسة التّخطيط إلى تنمية برنامج بريديّ متطوّر يشمل عدّة جوانب نذكر من أهمّها العمل على تطوير المنتج وتنويعه، وبذلك تقوم المعاملة البريديّة على حركيّة دءوبة من المنتجات المتغايرة، يقول آرمن دراين "بأنّ للمُنتج قيمة حياتيّة وليس مُجرّد مادّة للاستهلاك"[1] فالهُوّاة المجمعيّن والمستهلكيّن العاديّين يُقدّمون على الطابع البريديّ لقدم المحمل ولكونه يُلبّي حاجة تعامليّة صرفيّة بالأساس، ولقد حقّق حُضوره مُنتجًا متنوّعًا يتبعه من حيث التّصميم ظرف اليوم الأوّل للإصدار والكُتيّبات والمجموعات التّذكارية والكُتب السّنويّة، وبذلك تكون قد ساهمت مجموع هذه التّنوّعات في شدّ انتباه الهُوّاة الذّين شَكلّوا هَدفًا مُشتركًا في تجميع التّذكارات وغيرها من المنتجات المحدثة التّي تُؤمّن صلةً وطيدةً مع تاريخ الإصدار في كلا السُّوق المحليّة وسُوق الهواية على حدّ السواء، وبذلك تحوّلت أدوات التّرويج إلى مواضيع مختارة تفرضها سنويًّا إدارة البريد وإطارات التّسويق لنشر وتوزيع برامج التّجميع والصّرف وكذلك لاستقطاب مُهتمّين جُدد.

أ. تطوير الصّناعات المساندة:

تناولنا في الباب الأوّل من طرحنا تطوّر المسار التّقنيّ وتأثيره على صياغة الطابع البريديّ، وهنا تعمل جُلّ المجالات الطّباعيّة والصّناعيّة على

1.Armand Dayan, (1985), La publicité, PUF, collection, que sais-je, page 9-10 .

صياغة المحمل وتحويله من نُسخة ورقيّة إلى تنظير رقميّ يقتحم العالم الافتراضيّ وفُروضه، وبذلك نكون قد باشرنا تداخل الأطراف المُساهمة من مُزوّدي مادّة البريد والإدارة المُشرفة والمُصمّمين ومُنتجيّ الورق وصانعيّ الحبر، لنجد في المُقابل فريقًا عتيدًا يتكوّن من مُزوّدي الهواية أمثال صانعيّ الألبومات والقائمين على النشرات ومُقدّميّ الكتالوجات، وعُموما يُساهم كُلّ هؤلاء في بلورة الهواية وجودتها بشكل طباعيّ مُنمّق، لذا تُعتبر هذه الفئة المتحكّمة قادرة على تمويل حركة التّجميع والصّرف وصياغة النّشاط التّجاريّ الذّي يُطوّر في مفهوم الشّراكة بين الثالوث المُساهم من بريد وهُواة وصناعات حليفة.

ب. الإشراف الحكوميّ:

تُؤثّر سُلطة قرارات الحكومة في تحديد مرجعيّات السُّوق البريديّة وبذلك فهي تصوغ سياسته الإستراتيجيّة لتُدعّم صُورة البلد المصدّر وتحفظ كيانه عبر تصاميم تدور حول مفهوم **الطابع العلامة**، فتُخطّط مراسم المبيعات وتُؤمّن أشكال التّواصل التّجاريّ وتضبط طُقوس العمليّات التّوزيعيّة وتُحدّد كذلك مُستويات العرض والطلب حتّى تضمن بُلوغ المحامل إلى مُقتنييّها، وهُنا يرى بعض المُحلّلين أنّ استمراريّة الهواية ترجع بالأساس إلى ضمان المنظومة الحكوميّة التّي تهتّم بدورها في عمليّة التّنفيذ والتّعديل عبر مكاتب البريد ومصالح الجمارك وأقسام المحاجر وحتّى الخُطوط الأرضيّة والبحريّة والجويّة لتُؤمّن في الأخير سلامة المخطّط الاستراتيجيّ وتُنميّ بذلك مسارات الهواية وتضبط مُساهمتها في شكل هيكل إداريّ متّفق حوله.

ج. تطوّر الصّناعات الحليفة:

لا تمّت قطاعات الصّناعات الحليفة بعلاقة مباشرة لهواية جمع الطوابع البريديّة أو السُّوق الأوليّة البريديّة، إذ أنّها تُساهم في تطوّر الهواية إمّا بعُقود

شراكة أو في حال توفير مُساهمات ذات فائدة متبادلة، وعلى سبيل المثال نذكر قطاعات التّرويج والإشهار وكذلك شركات الطيران والمكاتب السياحيّة والمُؤسّسات الماليّة وبرامج الإشهار الحكوميّة التّي تُساند تطوّر مردود إدارة البريد، إذ أنّها تعمل كلّها في تفاعلها وحُضورها على توظيف المنحى البريديّ ضمن أدوات تسويقها ويقوم هذا الاتّجاه التّفاعليّ من الصياغات والصناعات على إضفاء مُداخلة إيجابيّة فاعلة تجعل المُؤسّسات والهياكل العامّة تفعل في منظومة البريد وتتفاعل من خلالها.

.2.2. استراتيجيّات التّسويق:

ساد مصطلح التّسويق في العقدين الأخيرَين، ولعلّ ما ساعد على انتشاره هو القناعة الأكيدة على وُجوب تنظيم مُخطّط تسويق لأيّ مُنتج استهلاكيّ قبل عرضه على السُّوق لضمان توّسعه وانتشاره وبُلوغه مختلف الشّرائح الاجتماعيّة، ولقد شملت إستراتيجيّة التّسويق منظومة المعاملة البريديّة قصد تطوير مُفاعلاتها بمفاهيم تسويقيّة جديدة تدرس الحالة الآنيّة وتفعل في مُستقبل طرائق البيع المعاصرة الكثير لإثراء مسارات الإنتاج المُوّجه للتّوزيع والنّشر.

لذا اعتمد مُخطّط التّوزيع في أولويّاته على تبليغ المادّة إلى أيادي مُقتنييّها بمعنى أنّ مُخطّط التّوزيع هو هدف أوّليّ يفرض تدخّل وُكلاء بيع بالجُملة والتّفصيل إلى أن تبلغ المادّة المكان والزّمان اللّذين يضمنان المردود الإيجابيّ والإضافيّ، وهنا تمكّن الطابع الرّقميّ من تجاوز الإشكال ألتّوزيعيّ عبر إستراتيجيّة التّسويق ففكرته تعتمد أساسًا على منطق المُمارسة الرّقميّة وتنتظم وفق شبكة تواصل لا مُباشر يتدخّل بمنأى عن الحُدود المكانيّة والضّوابط الزّمنيّة ويفرض إضافات إيجابيّة في مُقاربات التّسويق الحُرّ ليُسهّل بالتّالي مسالك التّوزيع ويُؤمّن خُيوط الاتّصال غير المبُاشر عبر الخطّ.

ومن الجدير أن نُضيف بأنّ هذا الجهاز ألتنظيريّ يُساهم في تحقيق إضافة مهنيّة لمُخطّط عامّ من نُظم التّسويق المباشر ويُساعد على إحداث ضُروب من الاستجابة للطلبات المُقرّرة والقوائم المقترحة، فيتميّز بإيجابيّة تفاعليّة على المستويين العامّ والخاصّ ويضبط بذلك مُتغيّرات السُّوق الراهنة التّي تُساعد على تطوّر خدمات بريديّة تتوّجه بالخُصوص إلى فئة تُدّعى "سُوق المتقبلين"، وهي مجموعة تختلف في قراءتها **لعلامة الطابع** خاصّة ولسُلوكيّات السُّوق عامّة، فتنتشر عمليّة التّسويق عن بُعد في الأسواق الغنيّة والفقيرة عن طريق القوائم البريديّة والمجلاّت المختّصة وعبر المعارض والصّالونات والبُورصات وأخيراً عبر مجالس الانترنت الفرضيّة والافتراضيّة معًا، وهنا يفتتح المجال التّسويقيّ المتعدّد الأوجه آفاق واسعة ومُتغيّرة تُسيّطر على السُّوق بما يُكسبها خيارات تسويقيّة ضافية تحمي مصالحها وتُوّفر فُرصًا مفتوحةً عبر سُوق مباشرة وتقليديّة وسُوق أخرى لا مُباشرة وهي بذلك تُعتبر افتراضيّةً حرّةً.

3.2. التّجديد التّراكميّ والنّوعيّ للمُنتج البريديّ:

للمُتأمّل في طبيعة هُواة جمع الطوابع البريديّة أن يلحظ مُيول الهُوّاة التّقليديّين للسُّلوكيّات القديمة في التّجميع البريديّ وسعيهم الدّائب للمُحافظة على القيم المتداولة منذ عقدين أو ثلاثة ما ساعد في إنماء أرضيّة ارتجاعيّة كلاسيكيّة مُحافظة مفادها إبقاء الأمور على ما هي عليه واستبعاد أشكال التّجديد، غير أنّ رُؤية هُواة التّجميع البريديّ اعتمدت فقط المحافظة على المُمارسة المتداولة وانعدام الرُّؤية المستقبليّة التّي تدفع بالمُخطّط إلى تنمية موارده واستقطاب فئات مختلفة واستحداث مناهج توزيع تُوازي الحاجة الاستهلاكيّة الحديثة حتّى تُساير المُتطلّبات المُعاصرة للاستخدام عبر الخطّ، وبذلك خرج الهدف التّجاريّ للفئة المتّقبلة كُليًّا عن فئة المُتلقين الكلاسيكيين الذّين استوعبوا دلالات المنتج وتحكّموا في قيم التّبادل ألتّجاريّ والادّخاريّ المعلوم ولم يُنظروا نهائيًّا إلى مُستقبل الهواية

كما أنّهم لم يشتركوا مع سُلط البريد في نفس المصالح المتطوّرة ولم يُعدّدوا حتّى توّجهاتهم الاستهلاكيّة ولا حتّى طُرقها.

في الحقيقة لا يسعى البريد للحفاظ على الهُوّاة الأوفياء فقط بل عمل على تركيز مُخطّط إستراتيجيّ لتوسيع دائرة انتشاره وتغطية شرائح السُّوق المهنيّة فتجاوز بذلك الاتّجاه التّقليديّ المُحافظ وعمل على استقطاب هُواة جدد، كما قدّر في حساباته أنّ الهُوّاة الحاليّن آيلون لا محالة إلى الزّوال بمُرور عقديْن أو ثلاثة، وقد تتحوّل لديهم جذوة الهواية إلى خُمول بمُرور الطفل من مرحلة الشّباب إلى عُمر الكهل، لذا وجب تحرير برنامج التّسويق من التّواصل الموّجه الكلاسيكيّ بقصد إنشاء رسالة إعلانيّة تشمل كُتلة جماهيريّة مُعاصرة ومُتطوّرة تعتمد بالأساس في سُلوك استخدامها على تصرّفاتها التّفاعليّة التّجميعيّة، كما أنّ مُخطّط التّسويق أصبح اليوم لا يخصّ مجموعة بعينها ولا يستفرد بشخص في ذاته ما استوجب تعميم مُستجدّات الإحداث وجعلها أمرًا أكيدًا لا مناص منه لصياغة المنحى التّراكميّ والنّوعيّ من أجل الدّعوة إلى تأسيس إستراتيجيّة شاملة وفاعلة وناجعة.

أ. التّجديد التّراكميّ :

يُعتبر التّجديد التّراكميّ إحداثًا مُتجدّدًا يُطوّر في طبيعة الإصدار البريديّ، فهو يُسيّر العمليّة التّداوليّة ويُعزّز الجانب الأمنيّ التّفاعليّ ووظيفته، وعادة ما يرجع هذا الثّراء الكمّيّ إلى ضرورة حتميّة تُساهم في تحقيق تقدّم مُتواصل للحاجة الاستهلاكيّة، وهذا ما يجعل التّجديد يتعالى حتّى عن الحُدود التّي يرسمها التّصميم مع المُحافظة على دور أداة الفرز البريديّ أو حتّى عند الحرص بالتوّقي الأمنيّ الإضافيّ، وقد لا تُقابل كُلّ هذه التّحوّلات برضاء المُجمعيْن لكنّنا نستدرك ونقف لنقول بأنّ واجب الإحداث والتّجديد **للعلامة التّواصليّة** أمرٌ مُوجبٌ وحتميٌّ خاصّة مع ما تفرضه الطريقة الصّناعيّة والأساليب الافتراضيّة

المُعاصرة من ضرورة في التّغيّير لأجل أوّلاً صيانة المادّة البريديّة وحفظها من التّزوير والتّقليد وجعلها ثانيًا مُواكبةً لعصرها وزمانها في نفس الوقت.

ونذكر على سبيل المثال في سياق التّجديد التّراكميّ ضرورة تحديث الإقبال على تجميع العلامات البريديّة بتقنيّات مُعاصرة أو تجديد استخدام صناعات انقرضت إذ نذكر مثلاً العودة إلى طباعة الحُروف المنّضدة أو تفعيل طباعة لا مرئيّة تُقرأ بأشعّة اللّيزر بهدف تأمين المحمل وحفظه من التّزوير والتّقليد، وفي هذا التوّجه نستطيع ذكر ما شهده الإصدار الأوّل من افتعال تصاميم بأحجام هندسيّة تقليديّة مثل المستطيل بادئ الأمر ما جعله يلقى قبولاً حسنًا من المُجمّعين، غير أنّ الأشكال الدائريّة والمثلّثات والسُّداسيّات وغيرها قد واجهت في البداية صُعوبة في التّلقي نظرًا لتعقيد متّفق حوله في طرائق تنظيمها وتنسيقها مع باقي المجموعات وكذلك لعدم تطابقها مع شكل الألبومات، غير أنّها أخيرًا لقيت قبول بعض هُواة تجميع الطوابع باعتبار اعتماد أشكالها في سلسلة التّجميع وليس بحسب ما يفرضه موضوع الإصدار.

ب. التّجديد النّوعيّ :

يُحدث التّجديد النّوعيّ إضافةً جماليّةً أو أمنيّةً أو حتّى شكليّةً بالإضافة إلى تحقيقه تجديدًا إبداعيًّا صياغيًّا، حتّى أنّ المتأمّل في هذا التّجديد النّوعيّ يُقرّ بتنوّع المواّد واختلافها إذ هي تأخذ من القديم لكنّها تتشكّل وفق مقاييس مُغايرة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك "الطّوابع اللاّصقة" وهي تصاميم ابتدعتها دار الطباعة البريطانيّة، فلقد أقدمت على صياغة أشكال معدنيّة في صُورة محامل بريديّة، ولا نُنكر في هذا الصّدد مُحاولات "كارتور" دار الطباعة المختصّة عند صياغة المواّد البريديّة، إذ أنّها أقدمت على تنويع محامل مُنتجها فتوّلت الطباعة على القُماش المخمليّ والطوابع المُلصقات والورق المعطّر بالرّوائح، كما عملت كذلك على إضافة موّاد لاصقة مثل الرّمل والمُلوّنات الفُوسفوريّة والزُخرف

الفتائليّ إلاّ أنّها بقيت تُحافظ في كلّ ذلك على طبيعة موضوع التّصميم ما يُساهم فعلاً في تقرير اختيّاراتها الصياغيّة والتّصميميّة وتدعيم إستراتيجيّتها.

وليس غريبًا أن يستنكر الهُوّاة المُجمّعون هذا التّجديد النّوعيّ الذّي يقطع مع قوائم طلباتهم بل ويفرض عليهم مُمارسات تبادليّة وتجميعيّة غريبة عليهم، غير أنّ رُؤيتهم الكلاسيكيّة لهذه الإبداعات تدور حول كونها خُدعًا اشهارية تعتمدها دُور البريد قصد تحقيق أرباح ماديّة على حساب توّجهاتهم الاختياريّة وذلك لأجل تعطيل نسق اهتماماتهم وتغييّرها، إلاّ أنّ سياسة السُّوق قد وضعت حدًّا فاصلاً وخُطّةً ثابتةً تُميّز بين المُهتمّ الهاوي الذّي تنوي الحفاظ عليه والمُستهلك العاديّ الّذي تسعى كذلك لشدّ انتباهه.

غير أنّنا لا نتنافى مع ما سبق ذكره، إذ يُحدث التّجديد استنكارًا بادئ الأمر غير أنّه يُلاقي لاحقًا إقبالاً جدّيًا، إذ أقدمت إدارات البريد بعد رُبع قرن بالولايات المتّحدة وكندا وأستراليا على طباعة الطوابع اللاّصقة باعتبارها سهلة الاستخدام خاصّة في الإرساليّات كبيرة الحجم، وبالتّالي لبّت الصّناعة الحاجة الاستهلاكيّة وتطوّر نسق المبيعات "بنسبة 80 بالمائة من حجم المبيعات البريديّة"[1] لذا فقد بشّر كلّ هذا التّطوّر ألمبيعاتيّ بسُهولة اقترانه بمُخطّط استراتيجيّ مُوّجه ما يجعله يُحقّق هدفًا عمليًّا ناجعًا.

وهُنا يكون قد استفتح هذا الابتكار الرّقميّ بالرّفض، ففي الحقيقة يُواجه الإنسان كُلّ ما هو غريب عن العادة وخارج عن المألوف بالاستنكار، وبذلك انضوت تجربة الطابع الرّقميّ تحت هاتين المطارحتيّن، فهي تُلاقي أوّلاً الصدّ وثانيًا مُستقبلاً إيجابيًّا وواعدًا، إذ تنطلق من دائرة الهُوّاة الضيّقة إلى أن تبلغ سعة دائرة عامّة الشّعب، وبذلك تتعارض التّجربة مع مُستهّل الطّرح الرّافض

1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express،2001، صفحة 62.

بالرّغم من أنّها تُواجه مُقاومةً طبيعيّةً لأيّة مُمارسة جديدة يتلّقاها الإنسان عند فرض أيّ مُنتج مُبتكر، وحتّى تنتهي الحكاية بتفتّح هذا الأخير على القبول والاكتشاف والتّأييد الإيجابيّ.

وتعود في الحقيقة أسباب المُعارضة والرّفض للتّجديد إلى سببيّن اثنين ؛ أوّلهما الخوف من القيم الجماعيّة المتّفق حولها التّي تتصادم مع توّجهات تجميع المُنتج المُحدث وما قد يفرض منطقًا تفاعليًا يختلف تمامًا مع المُمارسة البريديّة الكلاسيكيّة، وهذا ما يجعله يتنافى كذلك مع شدّ أنظار الفئات القائمة على الهواية ويتسبّب في صُعوبة استيعاب هذا المحمل البريديّ الجديد ذو الإخراج المُعاصر، وهذا كلّه قد يتسبّب كذلك في تقليص المواضيع التّقليديّة التّي أثبتت حُضورها منذ زمن وتمسّك هُواتها بالعادات الاستهلاكيّة التّجميعيّة منذ نشأة الطابع البريديّ التّقليديّ.

ويتمثّل السبب الثانيّ في تعالي درجة تأثّر هذه الفئة المتمسّكة بسُلوكيّات وعادات المُمارسة البريديّة التّقليديّة وصُعوبة تجاوبها مع كلّ تغيير في هذه العادات التّجميعيّة، وهنا يُطرح السُّؤال، ما مدى الاستجابة لحركة التّجديد في طُقوس المُمارسة البريديّة ؟ وهل تتجدّد عادات التّجميع وفق سُلوكيّات استهلاكيّة متغيّرة ؟ وهل تُنمي تجربة التّجميع حُبّ الادّخار ؟ أم هل أنّها سوف تُقيم حَركةً جدليّةً مُختلفةً تُساعد على دفع وتغذية جذوة الهواية ؟

وينتظم هذا التّجديد النّوعيّ الرّقميّ مع إحداثيّات تترتّب زمنيًا فيما يُقارب القرن الواحد، ثمّ لقد بدأ البريد التّونسيّ بالتّنظير في هذا التّجديد بما يفوق 127 سنة من الصّناعة البريديّة، إذ أنّها ابتدأت منذ سنة 1888 إلى حُدود سنة 2015، حتّى تبدأ هذه المرحلة في مُحاولة جدّية تتناول صياغة المفهوم المُجرّد في التّركيبة الخطّيّة، فيُحوّله طوعًا إلى صياغة تطبيقيّة فاعلة تعمل على بلورة إمكانيّات التّجديد التّراكميّ النّوعيّ على مدار السّنة وطُولها، في حين ضُبط

التّجديد النّوعيّ منذ عُقود مُتتاليّة تحت لواء النّظام العشريّ ليضمن نتائج إيجابيّة تخدم تفاعل الجُمهور المُستهدف ونسبة تجاوبه مع طبيعة المنتج المستحدث.

3. تطوّر القطاع البريديّ التّونسيّ:

يُساهم البريد في إرساء ثروة وطنيّة تتكوّن من المُنتج البريديّ المُتداول، كما يسعى إلى نشر مُمارسة تجميعيّة وتعزيز الأنشطة التّعاونيّة التّي تستقطب مُختصيّن في مجالات متنوّعة حتّى تُؤثّر إيجابيًا في نوعيّة الإصدارات وأشكالها بما يعكس الصُّورة العامّة لمُنتجات مكتب البريد وإصداراته.

ويُساعد هذا الإلمام التّخطيطيّ في التّعريف بالقطاع وبناء صُورة واضحة حول قيمة الخدمات التّي يُقدّمها البريد ممّا يُعزّز ثقة المتعاملين معه ويفرض احترامًا وحُسن تجاوب بين السُّلطة الإشرافيّة والمتقبليّن بأنواعهم، فلقد توّصلت 200 إدارة بريد على المستوى العالميّ سنة 2001 إلى ضمّ189 إدارةً عُضوًا للمُشاركة في الاتّحاد البريديّ العالميّ، كما يعمل جُلّها فعليًا فيما يُقارب العقد الأخير على تطوير صُورتها وحثّ هُوّاتها على التّمسّك بالعلاقة الوطيدة بين الإدارة والمُتقبليّن وتدعيم التّوازن بين كلا موازين العرض والطلب.

ولمُلاحظ أن يرصد دور إدارة البريد التّونسيّ على تعزيز صُورتها على المُستوى المحلّي والعَالميّ، فلقد دأبت على الانفتاح الخارجيّ والأخذ بأسباب التّقدم التّكنولوجيّ والعلميّ ما مهّد تقدّمًا تكنولوجيًا بارزًا في سياسة تعاملها مع حُرفائها، وتمثّلت البداية في تحقيق تفكير حول منطق السّيطرة المعلوماتيّة، ما ساعد على تحقيق الأمر، خاصّة عندما قامت وزارة تكنولوجيا المواصلات ببعث شبكة للتّواصل تُسّمى "الانترنت" حتّى تُثّبت توزيعها على كامل أنحاء الجمهوريّة وخارجها، وبالنتيجة تمكّن البريد على إثر هذا التّطوّر التّجهيزيّ من طرح قيم التّجارة الإليكترونيّة وتعميم طرقها حتّى تخدم المعاملات البريديّة وتُطوّرها وفق برمجيّة قادرة على تحقيق تنوّع محوريّ وشامل.

يجزم المتأمّل حاليًّا بأنّ الديوان الوطنيّ للبريد قد خطا خُطوات هامّة في المعاصرة لأجل تحوير المنهج المعاملاتيّ بالرّغم من كونه أداةً حكوميّةً تتطبّع بضوابط المصلحة العموميّة، إلاّ أنّه جهاز إداريّ قد تعامل في بداية بعثه تعاملاً سلبيًّا مع المجمّعين، بل لنقل أنّه لم يشهد نهائيًّا تخطيطًا مُسبقًا لاحتيّاجات الهُوّاة المتغيّرة ولم يستأنس بالمواكبة المعلوماتيّة، إذ أنّ كلّ الاهتمام كان مُنصبًا على إرساء العادة الاستهلاكيّة البريديّة للتّجميع ما جعلها تتعطّل في حيّز التّنفيذ المُباشر والتّقليديّ مع مُواظبة على تأهيل دوريّ في عدم قيام عادات جديدة والمحافظة فقط على تغيير نمط التّبادل الاجتماعيّ للمُنتج البريديّ ومواضيعه، غير أنّ الصّناعة البريديّة قد أنجبت كذلك مُقبلِين أوفياء جُدد تعتني بأحجام الطابع البريديّ وأشكاله وقراءاته وصياغاته ما جعله يتدّخل لاحقًا في مُخطّطات إستراتيجيّة تتعهّد لهم فيها دار البريد بمزيد التّحفيز والتّشجيع.

1.3.سياسة تخطيط الإصدارات:

تحتلّ طبيعة الإصدارات ومخطّطها مكانة هامّة في عمليّة التّوزيع تجعلها تُراهن على مدى ترويج المنتج البريديّ، إذ أنّ التّخطيط لبرمجة معالم الإصدار وطبيعته بشكل مُعمّق يلعب دورًا هامًّا في عملية التّوزيع لأجل تنفيذ الأهداف التّواصليّة وتأمين كلاسيكيّة الصّرف، لذا فإنّ دراسة مُقوّمات البرنامج السّنويّ للإصدار وتوقيته يُؤثّر فعليًّا في تنمية عائدات البريد كما يُطوّر في نسب استقطاب فئة المتقبلِين، وذلك بإقحام تغيّيرات على موضوع الطابع أو مفهوم الإصدار بما يفرض دراسةً موضوعيّةً لمُتطلّبات السُّوق المحليّة والعالميّة، ولعلّ طرح محور **سياسة تخطيط الإصدارات** يجعلنا ننفتح على موضوع كتابنا **"العلامة والرّقم، من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض، الطابع الرّقميّ أُنموذجًا"**، ما يُمهد لاعتباره نتيجةً طبيعيّةً تُساهم في تغيّير المفهوم القرائيّ وتبدّل المعطى التّداوليّ عبر مُصادقة موضوعيّة لكلّ ما من شأنه أن يُؤسّس ويُحاذي قيم

ومُفاعلات التّطوّر التكنولوجيّ، فيُبرمج بذلك البريد مُخطّطات منظومة الاتّصال البريديّ الجديدة ويُساعد على الإقرار بقيمة النّفاذ عبر الخطّ ويُبرمج كذلك طرائق تأمين المصداقيّة التّداوليّة.

وما يجدر حقيقة ذكره هو أنّ هذا الفضاء العامّ الّذي تناولنا تحليله وتجزئته سيحتضن فكرة تنظيرنا وسنعمل على دراسة مُلابساته وفق ضوابط تُميّز المكان والزمان، كما أنّ المشروع المستقبليّ سيعمل على تحفيز تفاعلهما الاثنين معًا لخدمة مراسم المُمارسة التّفاعليّة البريديّة على الخطّ، غير أنّ موضوع كتابنا يُلزمنا القيام بطرح التّساؤل حول "سياسة تخطيط الإصدارات" ممّا يجعلنا نُواجه مسألةً تتجاوز كلّ المستجدّات التّقنيّة وكذلك نظام تركيبة السُّوق الكلاسيكيّة وحتّى مستويات المُخطّط الاستراتيجيّ البريديّ التّقليديّ، لنبلغ مدى أعمق ومتجدّد يتمثّل في مدى فهم طبيعة الإصدار ذاته ومدى كشفه لهُوّية مُستخدميه وكذلك مدى دور الموضوع في صياغة القيمة التّبادليّة الافتراضيّة، ما استوجب في الحقيقة إفراد محور كامل يتناول درس مقاييس الإصدارات البريديّة ومدى تأثيرها في رفع درجة التّسويق، كما يأخذ على عاتقه كيفيّة حثّها على تشخيص الحالة المستحدثة وتطويرها.

أ. برمجة الإصدارات و مقاييسها:

لقد سبق أن أوردنا جدولاً زمنيًّا حول مواضيع الإصدارات من سنة 1931 إلى سنة 1999 اختصّ بطرحها البريد التّونسيّ، ولقد فهمنا أنّ إستراتيجية التّسويق تتطلّب تحقيق معادلة بين مواضيع تقليديّة تخضع تارّة لمطلب ثابت خاصّ بفئة المجمّعين، وطورًا إلى استحداث فكرة مُبتكرة تتفاعل بالرّفض أو القبول حتى تستهدف في الأخير الرّضا من طرف الزبائن وتُحقّق بالتّالي تجاوبًا دائمًا من لدنهم.

لذا وجب على المُحلّل أن يقرأ مقاييس الإصدارات وأن يَطلّع على برمجة المواضيع وجدولتها حتّى يُحلّل ويُقارن بين المُحدث الجديد والتّجارب السّابقة، فيسعى بذلك إلى تطوير مواضيع الطّرح البريديّ آخذًا بما طُرح عليه منذ فترة طويلة ومُوازيًا مع آخر ما جدّ في إصدارات البريد مع تنويع رُوح الطلبيّة وتفعيل مُواصفاتها ومُقارباتها بانشغالات الواقع المتّغيّر دائمًا، فيفهم بذلك مقاييس برمجة الإصدارات القديمة والمُتجددّة في نفس الوقت، كما ينبغي عليه درس الفرضيّات المُحيطة بالمُنتج البريديّ مع تأمين خصائص الطلبيّة من طرف المُستهلكيّن، وهذا ما يفرض علينا أن نُورد الضوابط الإلزاميّة في بحثنا التّي تخدم نوعيّة المنتج وتعمل على تطويره.

ب. موضوع الإصدار:

يُعتبر وضع برنامج الإصدار المستقبليّ من المراحل الدّقيقة لحُسن تقديم المنتج وتزكية حُضوره في السّنة المُوالية، كما تعمل إدارة البريد التّونسيّ على تشريك مُمّثلين من وزارات مُتعدّدة لسماع اقتراحاتهم حول الأحداث التّذكارية والوطنيّة التّي ستشهدها البلاد في السّنة المقبلة، كما تسعى دائرة البريد إلى الاطّلاع على آراء جمعيّات هُواة الطوابع البريديّة وتُجّار الجملة والتّفصيل لفهم مصير المنتج من التّسويق ودرس مُستوى تطلّعات المُتقبليّن والمُوزّعين لتخطيط بَرمجة تتوافق عمليًّا مع فرضيّات السُّوق.

ويرتبط موضوع الإصدار بطبيعة البلد المنتج حتّى يُحقّق هُوّية حضاريّة وثقافيّة تعكس تاريخ البلد وعراقته وتشهد بقيمة نماذج الانتماء ذات البُعد الوطنيّ والعرقيّ والجنسيّ، فهي تُقدّم صُورة عن البلاد وتعرض عديد التّعريفات حولها، لذا فإنّ رواج طابع بريديّ يُماثل دور سفير الأُمّة الذّي لا يروي قصّة بلد فحسب إنّما يسرد العلاقات الدُّوليّة والشّراكات الوطنيّة والأحداث التّاريخيّة التّي تُلبيّ نوعًا من الاستجابة إلى طلب شعبيّ يُقرّه مُستهلك عاديّ يتحوّل بفعل الهواية إلى مُقتّن مُختّص، وبذلك يتوّخى الحذر من الوُقوع في استقرار ثابت

غير مُتحوّل أو إنتاج قارّ متواصل قد يصلح لمُدّة زمنيّة واحدة، لذا تتطلّب برمجة الإصدار تَجديدًا سَنويًّا يُحتّم الدّراسة والتّحليل حتّى نُعيد النّظر في المُستجدّات الجديدة وحتّى يحفظ بذلك الطابع البريديّ قيمته التّداوليّة وكذلك شَغف المُقبلين عليه.

وإذا ما وظّفنا مُعطى الموضوع ودوره في تخليد المنتج البريديّ الآتيّ والمستقبليّ، بمعنى أن يُلبّي **الطابع العلامة** الحاجة التّداوليّة خلال سنة الإصدار، ومن ثمّ سوف يتحوّل طوعًا إلى مُدّخر حضاريّ في السّنوات المقبلة، وهذا حقيقة ما يُقال عنه هدفًا استراتيجيًّا تسعى إدارة البريد إلى تطويعه في التّجربة البريديّة عند صياغته، ولسائل أن يستفهم عن قيمة المحتوى الضمنيّ **للعلامة** الكلاسيكيّة وكيفيّة تحويلها إلى طابع بريديّ رقميّ ؟

تُخاط المماثلة بين الموضوع ونصّ الصُّورة المقروءة ليكتشف القارئ في كُلّ ما هو مرئيّ مُتداول عن أبعاد حضاريّة وثقافيّة وتاريخيّة تُفسّر واقع البلد المُصدّر، كما تُعلن **العلامة البريديّة** للوهلة الأولى عن رُوح الانتماء عبر نصّ مُختصر يُحدّد مُواصفات موضوع الإصدار الذّي يتزامن عبر الرّابط العُضويّ والنّفسيّ اللّذين يتزامنان بدورهما مع محوريّ المكان والزمان للبلد المنتج، كما تتحوّل **العلامة** إلى مادّة تُخلّد المعلومة التّذكاريّة وقيمتها وتجعلها بالتّالي مُدّخرًا ثقافيًّا للتُّراث الورقيّ، وبذلك يزخر هذا المحمل بالمفاهيم المُجرّدة وبالقيم الماديّة والمعنويّة بوصفه مَادّةً تداوليّةً تخدم قيم التّواصل البشريّ.

إنّ عرض مُميّزات الطابع البريديّ ليست من قبيل الصدفة، فهذا المحمل الخطّي يرزح بثقل المسؤوليات ويلعب أدوارًا ثُنائيّةً ويتدخّل في جدليّة مُعقّدة من الأسباب والمُسبّبات ليظهر في دور ازدواجيّ مُفعم بالحركيّة، فيُؤمّن بذلك قيم التّداول والتّبادل ويتدخّل ضمن منظور ماليّ وأمنيّ متوازن، وفي هذا السّياق بالتّحديد يُطرح السُّؤال، أين الطابع الرّقميّ من كلّ هذا الحُضور مُتعدّد المزايَا ؟ وهل يُحافظ الطابع على الثبات صُوريًّا ومعرفيًّا ؟ وكيف سيتحوّل المعطى

القرائيّ من ضمان فاعليّة المنتج إلى ازدواجيّة الأدوار الفاعلة ؟ وهل سنجد الردّ على جُلّ هذه التّساؤلات في طرائق المُمارسة الفعليّة للطابع الرّقميّ ؟ فنستفسر حول ماهية البرمجة الإليكترونيّة وقُدرتها على قراءة **العلامة البريديّة** وتوظيفها وترجمتها؟

2.3. التّوازن بين الإصدارات التّذكاريّة والعاديّة:

تختصّ **الإصدارات التّذكاريّة** بمُواكبة للأحداث السّنويّة أو الأحداث العابرة فهي تُخلّد ذكرى أو تُسجّل حدثًا أو أنّها تطرح مُستجدّات اجتماعيّة وثقافيّة وتقليديّة، في حين يتميّز موضوع إصدار **الطوابع العاديّة** بكونه لا يرتبط جذريًّا بالأحداث إنّما يستمدّ مرجعيّته من دراسة تاريخيّة أو حضاريّة للبلد، وقد نجد موضوعًا طال طلب المُهتّمين من المُجمّعين التُّجار حوله أو أن يكون موضوعًا مدعومًا من قبل هُواة التّجميع، فيستجيب المُنتج العاديّ إلى رغبة في الاستهلاك طويلة المدى أو حتّى قصيرة لكنّها تتآلف دائمًا مع الانتماء للمكان حتّى تقوم بترسيخ جُذور الهُوّية.

إنّ تحقيق توازن بين نَوعيْ **الإصدار التّذكاريّ والعاديّ** يُعدّ هَدفًا تخطيطيًّا عميقًا، فالمُتقبلّون الهُوّاة يتوّقعون دائمًا إصدارات كلاسيكيّة تُواكب الأحداث الوطنيّة والعالميّة المتعارف عليها ويتهيّئون طوعًا لضمّها إلى مجموعاتهم قصد إثراءها، وهم يتصيّدون بنفس الحماس **الإصدارات العاديّة** لكونها لا ترتبط بأسباب الأحداث إنّما تتكوّن عبر سنوات من التّجميع والادّخار حتّى تحفظ عددًا من الإصدارات المُتقادمة التّي تُعاود حُضورها وتجدّدها عبر السّنوات، ومن ثمّ فهي تتساجل بتطوّر التّقنيّات[1]، كما من الجائز أن يتحوّل نمط التّجديد إلى طرائق الطباعة أو نوعيّة الورق أو التّخريم أو تعدّد الألوان، إذ أنّه بمُجرّد أن يُصبح

1 . مثال على ذلك طوابع بريديّة تونسيّة موضوعها "منتجات تونسيّة" صدرت بتقنيّات طباعة مختلفة في سنوات مُتواترة.

الإصدار مُتكرّرًا وعفويًّا وقابلاً للإدراج الدّائم يقع الإقبال على هذا المُنتج من قبل الهُوّاة المُجمّعين إلاّ أنّه قد يُثير الملل لدى بعضهم الآخر.

وإذا ما ربطنا نظريّة التّوازن النّوعيّ للإصدارات بصميم موضوع كتابنا، فإنّنا نجد أنّ الموضوع ينقسم بدوره لاختيارات مُتعدّدة تُحدّد وتضبط إقبال المستهلكيّن وتتدخّل بالتّالي في تقرير حجم المبيعات وتحفظ القيمة التّداوليّة، وبذلك يُعتبر تحقيق المعادلة بين **التّذكاري والعادّي** في نوعيّة الإصدار هَدفًا ساميًا يُساهم في تطوير مُخطّط البريد الاستراتيجيّ ويفعل إيجابيًّا في نسبة صرف المادّة البريديّة.

لذا فليس غريبًا أن تتعدّى قيمة الموضوع مواطن الانتماء والتّعريف الصُّوريّ إلى حدّ تشكيل صياغة تُعرّف بالبلد المصدّر وأبعاده التّذكاريّة والثّقافيّة والاجتماعيّة حتّى تُحقّق بالاختلاف والتّنوّع حركيّةً مُستمرّةً تمتّد وتتجدّد مع تواتر الحدث والزمن المُتداوليّن، فتخطّ بذلك مقاييس المُبادلة التّجاريّة البريديّة منهجًا مُتغايرًا من الفرضيّات القرائيّة التّي تخطو نحو تجديد مفهوم التّبادل، كما أنّنا نشهد تطوّر الإقبال بما يعكس اهتمام فئة المُجمّعين بتعدّد الإصدارات وتنوّعها.

لذا علينا أن نجزم بأنّ السّياق التّجاريّ البريديّ يتميّز بالمُراوحة والتّغيّر، فهو يُجدّد في نسق المبيعات طورًا بالتّزايد وطورًا آخر بالتّقلّص، ثمّ إنّ مُحرك الدّفع التّجاريّ البريديّ ليس حكرًا على فُروض العلاقة التّعامليّة بين المجمّعين إنّما يستقي كذلك قُوته من القيمة المشخّصة للطابع ذاته، كما أنّنا نكتشف في المسار التّجاريّ ضرورة تجاوب **علامة الطابع الرّقميّ** مع كُلّ فرضيّات التّداول الإنسانيّ، وبذلك يتحوّل تصميم **العلامة الرّقم** إلى مُحاولة جدّيّة تُحدّد مُواصفات التّصميم الذّي يحثّ بالأساس على تطوير تدّفق العرض والطلب ويُذّكي شُعلة الهواية من وقت إلى آخر.

هنا هل يستطيع الطابع الرّقميّ أن يلعب أدوارًا مُزدوجةً تُساهم في تنويع أشكال الصياغة ؟ وهل يستلهم الطابع من تاريخيّة المادّة البريديّة ؟ وهل يتبنّى القوالب الازدواجيّة الجامعة بين ثنائيّة الموضوع المعنويّ والمضمون الشّكليّ؟ وهل يُثري ويُنوّع في مجالات تفاعله الإنسانيّ التّجميعيّ ؟ ثمّ ما قيمة المنظور القرائيّ في تأمين الاندماج داخل منظومة البرمجة الرّقميّة ؟

3.3. المراوحة بين القيمة الاسميّة الفرديّة والقيمة الجمليّة:

يُسّمى سعر الإصدار القيمة الاسميّة للطابع البريديّ، كما يُقاس مُجمل الوارد الماليّ السّنويّ على أنّه حَجمٌ جُمليٌّ لقيمة العائدات البريديّة، وبذلك تُحدّد دائرة البريد قيمة المُنتج انطلاقًا من حجم مبيعاته ومن نسبة عائدات كلّ إصدار، كما أنّ إدارة البريد تتعمّد الرّفع في سعر الطابع إذا ما تبيّن لها أنّ موضوع الإصدار يشهد إقبالاً شعبيًّا ويُورد موارد ماليّة هامّة، وبذلك يستهدف التّخطيط والبرمجة إنتاج مواضيع مُتماثلة إذا ما ضمنت مُسبّقًا نسبة إقبال عالية للمُجمّعين الهُوّاة، وبذلك نلحظ أنّ قيمة الموضوع ليست تجميعيّة أو ادخاريّة فحسب إنّما قد تتحوّل إلى قيمة ماديّة مُرتفعة من العائدات الماليّة.

يفرض البريد في نفس الإطار تعريفات سعريّه مرتفعة لتغطية مصاريف خدماته، وهنا تتحدّد القيمة الاسميّة للطابع البريديّ حسب قيمة المعاملة البريديّة المتّفق حولها، فالسّعر المُبوّب على الطابع هو سعر خدمة نقل الطرد أو الظّرف إمّا جوًّا أو برًّا، وكذلك تُقاس مُستحقّات القائمين من طاقات بشريّة عاملة في هذا القطاع، لذا تعكس القيمة الاسميّة نسبة مجموع المصاريف الموضوعة للصّرف مُقابل الخدمة البريديّة، وبصفة عامّة تعتمد إدارات البريد قيمًا ماليّةً مُتواضعةً عُمومًا، ثمّ هي تُبرّر تصرّفها بهدف عمليّ فاعل، لذا يُعدّ تضخّم القيمة غير مُناسب لحجم القُدرة الشرائيّة، وبالمُقابل يجب أن تقع المعادلة بين نسبة العرض والطلب بما يُؤمّن إمدادات بريديّة تُغطّي التّوازن والاعتدال بين الإقبال والتّبادل.

4.3.النّسبة العدديّة للطوابع البريديّة في الإصدار الواحد:

تُقاس وحدات الطوابع في الإصدار الواحد بوصفه موضوع جدل بالنّسبة إلى الهُوّاة المختّصيّن، فهم يُدرجون المجموعة المنتميّة لنفس الإصدار على صفحة واحدة ثمّ يضبطون وحدات تصنيف لعدد من التوّجهات قصد تخصيص مُصنّفات ترتيب للإصدار العادّي الواحد كما يُعيّنون وحدةً أو أكثر لكُلّ موضوع يتعلّق بالإصدار التّذكاريّ.

أ. الإصدارات العاديّة:

هي إصدارات لا ترتبط بحدث تذكاريّ إذ يمتدّ استخدامها البريديّ فترةً طويلةً من الزمن وتُستخدم بالأساس للتّعريف بالبلاد ثقافيًّا وحضاريًّا واجتماعيًّا، فهي تشمل العادات والتّقاليد والأكل واللّباس والآثار والتّجهيزات البنائيّة والمنشآت وقد تعتني بتقديم الوُرود أو الزُّهور أو الأسماك وغيرها، وتنقسم قيمتها الاسميّة إلى ثلاثة أقسام، فتختصّ الأولى بتعريفات بريديّة شائعة تُمثّل تسعيرة وطنيّة أو حتّى عالميّة في حال كانت **العلامة البريديّة** موضوعًا يتجاوز الحدّ الإقليميّ وتشترك فيه مثلاً بُلدان المغرب العربيّ أو العالم بأسره، وتتمثّل القيمة الاسميّة الثّانية بالجويّة والتّعريفات التّكميليّة ذات الأسعار المنخفضة، وأخيرا تشمل القيمة الاسميّة الثّالثة القيم المرتفعة والمُوّظفة على الرّسائل الثقيلة والطُرود.

تتنوّع إصدارات الطوابع العاديّة على كامل أشهر السّنة، وهذا إجراء تعتمده إدارة البريد قصد تخفيض تكلفة التّجميع والتّوزيع أثناء عمليّة اقتناء المنتج على مدار كامل العام بما يُحقّق بالتّخطيط المسبق تَحكّمًا في حركتيْ العرض والطلب، وفي نفس السّياق يُقبل المُجمّعون الهُوّاة على تنظيم مجموعاتهم حسب تاريخيّة الإصدار، غير أنّ السياسة المُسيّرة للبرمجة البريديّة تقتضي الأخذ بالمُقتضيات التّسويقيّة وتلبية ضُغوطات الطلبيّة لخلق توازن تسويقيّ معتدل.

والأهمّ في الأمر هو إيجاد مُعادلة منطقيّة في إخراجيّة الطابع البريديّ الرّقميّ، فتحديد القيمة الاسميّة المفردة والجمليّة يُحقّق توزيعًا متوازنًا في المعاملة البريديّة، ويضمن بذلك تبادلاً مدروسًا ويُؤمّن آليّة منطقيّة للتحكّم في وتيرة الإصدارات، فيُنّظمها بالتّالي على المحور العموديّ الزمنيّ بما يضمن قياس حجم المبيعات ويُخطّط لمسار أفقيّ مكانيّ يشمل اعتدال الإيرادات في الموارد الماليّة حسب تنظير مُستقبليّ يشمل جُلّ المبادلات البريديّة على اختلاف منتوجاتها.

ب. الإصدارات التّذكاريّة :

تحتلّ هذه الإصدارات مكانةً استثنائيّةً لدى هُواة الطوابع البريديّة فهي تتقيّد بإحياء ذكرى وترتبط حصرًا بالبلد المصدّر، وعادة ما يتراوح عددها من إصدار واحد إلى أربعة في المجموعة الواحدة أو حتّى أكثر، وبذلك يتجاوز التّصميم في صياغته المنحى الكلاسيكيّ ليُؤلف تراكيب مُتنوّعة قصد الاحتفاء بحدث يرتبط مثلاً بعيد وطنيّ أو يوم عالميّ أو احتفال إقليميّ، وهنا تطرح سياسة البلد المُصدّر الموضوع التّذكاريّ إبّان زمن الحدث ذاته بالضّبط، أو أنّها تُعيد بثّه سنويًّا في نفس التّاريخ، وقد يُعرض في حالات نادرة إصدار تذكاريّ لنفس الحدث كلّ سنة[1].

تتدخّل تفاصيل الإصدار وطبيعته فعليًّا في جلب مُتقبلّين جُدد لأجل توسيع دائرة المُقتنيّين في إطار من الموضوعيّة التّي تتناسب مع حُدود القُدرة الشرائيّة، ثمّ إنّ تحديد القيمة الاسميّة في شكل تعريفة بريديّة تُؤثّر في قيمة المردود السّنويّ كاملاً، لذا وجب مُراعاة أن تبقى التّكلفة العامّة للطابع في حُدود المعقول.

---

1. مثلا موضوع إصدار"ذكرى التّغيير" الذّي تعهّد به البريد التّونسيّ منذ 1988 وفّر إلى حدود سنة 2007 قُرابة ثلاثيّن طابعًا، فحقّق بذلك سلسلة في نفس الموضوع وحقّق نسب ادخار هامّة تشغل اهتّمام الهُوّاة المجمّعين.

وعندما ندرس البُعد ألقيميّ للموضوع سَواء كـان تـذكاريًّا أو عاديًّـا، فإنّنـا نلمـس مدى تقارب إستراتيجيّة توزيعه مع فكرة بعث المُنتج الرّقميّ، ومن ثمّ فنحن نتأكّـد فعـلاً من ضرورة التّخطيط للإصدارات السّنويّة مُسبقًا، وكذلك فإنّه من واجب البريد أن يضمن كذلك القيام بالتّنويع في مواضيع الإصدار ودراسة مسارات توزيع **الطـابع العلامـة**، ولـيس مَعقولاً أن يُقلّص الطابع في شعبيّة المُنـتج البريـديّ ودرجـة تداولـه خاصّـة إذا مـا تناولـه المُخطّط لمُدّة سنوات من التّنظيم الاسـتراتيجيّ حتّـى يـدعّم مُمارسـات الهُـوّاة المُجمّعـين، ومن ثمّ فإنّ **علامة الطابع** ما فتئت منذ ما يُقارب 127 سنة على مُستوى البلاد التّونـسيّة تُذّكي شُعلة المُهتمّين وتُوّسع في دائرة المُقبلّين على اقتناء الإصـدارات، لـذا اسـتوجب قيـام منظور قرائيّ مُعاصر يأخذ من تاريخيّة الطابع البريديّ ويُساعد على توسيع سياسـة نـشره ممّا يحدو بالقطاع البريديّ إلى مزيد التّقدّم والرُّقيّ.

ج. المُعادلة بين تواريخ الإصدار:

تُقرّر طبيعة التّـصميم وطريقـة إخراجـه درجـة إقبـال الهُـوّاة عـلى شـكل الطـابع وحجمه وقيمته الاسميّة، وهنا نـستطيع برمجـة موضـوع الإصـدار زمنيًّـا إمّـا بـأن يحمـل الموضوع عَددًا من التّصاميم المختلفة أو أن يحتوي على تصميم واحد مُتّكرّر من الطوابـع البريديّة.

وفي مثل هذا السّياق التّنظيميّ يبقى أمر تحكير أوقات الإصدار وتقدير زمـن التّـصميم وطرح مشاريع المواضيع المبتكرة منهجًا هامًّا يُساهم في السّيطرة وحُسن الـتّحكم في مُـداولات الطابع التّجاريّـة، فمـثلاً تـستقي الطوابـع مادّتهـا مـن الحـدث التّـذكاريّ الـذّي مـن الواجـب أن يتوافـق إصـداره مـع نفـس يـوم الحـدث؛ ولـكي تُـؤمّن سُـلطة البريـد مـن جهتهـا منطقيّـةً واضحةً بين العـرض والطلـب تـسُن برمجـة في الإصـدارات بـسياسة مُباعـدات زمنيّـة تُـوازن في عدد من المسافات الفاصلة بين أيّام الإصدار، وذلـك بهـدف شـدّ انتبـاه الهُـوّاة المُجمعـيّن تـارّةً، وعـدم تثقيـل كـاهلهم بإمـدادات مُتقاربـة لا إفـراط ولا تفـريط في عـددها ولا في سـعرها

طورًا آخر، بمعنى أنّه لا يجب تمديد المُباعدة الزّمنيّة حتّى لا تُؤثّر سلبًا في سُلوكيّات إقدامهم على اقتناء المُنتج، كما أنّها لا تُؤثّر سلبًا في أيّ نوع من أنواع المُقاربة الزّمنيّة التّي يُؤدّي تقاربها إلى إثقال كاهل المتّقبل بما ينجرّ عنه عَجز في نسب الإقبال.

يتحوّل الهدف الاستراتيجيّ البريديّ إلى تحقيق توازن في حجم المبيعات بحُسن تصنيف تواريخ الإصدارات على مدار السّنة وتفادي أوقات العُطل والذُّروة فيما يُقابل نهاية وبداية السّنة، وبما يتجاوب عمليًا مع وتيرة الخدمات البريديّة التّي تُحقّق اعتدالاً في درجة إقبال الهُوّاة على اقتناء الطوابع البريديّة على مدار الأشهر بصفة متوازنة حتّى وإن اقتضى الأمر تعديل تواريخ الإصدار، ثمّ إنّ وضع برنامج إصدار مستقبليّ يمتدّ على سنة كاملة يفرض تضافرًا عمليًا بين سُلطة الإصدار والمقبليّن عليها، وذلك بالتواصل في شكل علاقات فاعلة ومتفاعلة معًا، إذ تعمل الرُّوزنامة المُقترحة على الرُّقيّ بجودة المنتج وحُسن التّحكم في طريقة تسويقه في ظلّ إجراءات إداريّة صارمة لكي تُؤمّن بَرمجةً مُتكاملةً وناجعة.

4.ترويج المبيعات من التّقليديّ إلى المعاصر:

يتألّق الطابع البريديّ بالرّغم من صغر حجمه بأدوار حاسمة في حركة التّواصل الجماعيّ وتعمد وسائل التّسويق إلى عرضه مُكبّرًا في شكل مُلصق حائطيّ لشدّ الأنظار إليه في نقاط بيع مُوزّعة انطلاقًا من مكاتب البريد الحُكوميّة إلى نقاط البيع الخاصّة، كما يقوم البريد بوضع مُخطّطات مُستقبليّة لترويج المنتجات البريديّة في محطّ اهتمامه الأوليّ، ويتوّلى كذلك تصميم نقاط البيع التّجاريّة بما يُوّفر مساحة عرض مثاليّة للتّشهير **بالعلامة البريديّة.**

1.4. مناهج التّرويج التّقليديّة:

يُشّخص هذا المحمل المُصغّر الذّي نجده مُلتصقًا بالرّسائل المتبادلة دوره الأصليّ في الاستخلاص المُسّبق لمعلوم البريد، ممّا يجعله يكفل استخدامًا تداوليًّا

يربط أطرافًا متراميةً ومتباعدةً لكنّها تتّفق على فعل الاتّصال، وبذلك لعب الظرف الخارجيّ دور الحامل المتحرّك **للعلامة البريديّة**، ولقد أثبتت الدّراسات الإحصائيّة أنّ درجة الإقبال على قراءة الرّسالة الحاملة لطابع بريديّ تُعدّ أعلى من درجة الإقبال على الرّسائل الحاملة لأختام الخلاص بالنّسبة للمُراسلات بالجملة، لأنّ المُراسلة التّقليديّة ارتبطت بشغف قرائيّ لصُورة تحمل تسعيرة، وفي هذا النّطاق وبالرّغم من ضرورة تسويق هذه **العلامة** فإنّ الاستخدامات البريديّة الإداريّة قد استغنت تمامًا عن اقتناء طوابع بريديّة وطبعت شتّى مراسلاتها بأختام أو بعلامات خلاص بريديّ حتّى تُسّهل في الأخير عمليّة التّداول وتضمن في الآن ذاته قيمة معلوم الاستخلاص.

غير أنّه من البديهيّ أن نتساءل عن قيمة غياب هذه **العلامة البريديّة** في ظلّ التطوّرات التّكنولوجيّة الحاصلة في الآونة الأخيرة ؟ ولسائل أن يَسأل عن مدى تجاوب **الطابع الرقميّ** مع جماليّة تصميم الطابع الكلاسيكيّ بما يضمن الحفاظ على درجة إقبال المستهلكيّن ؟

هنا بالذات يكتسي التّرويج عناية قصوى من لدن الإدارات البريديّة ذاتها، إذ يُوّفر العاملون إفادات حول الإصدارات أو أنّهم يقومون بتزويق فضاء ينتهج نفس توقيت **العلامة الموضوع** تزامنًا مع تاريخ الإصدار، كما تلعب البلاغات الصحفيّة دورًا هامًّا في الإعلام عن تواريخ الإصدارات وذلك بتنظيم النشرات والبلاغات فتنتقل المعلومة من الصّحافة الوطنيّة إلى الصّحافة المحليّة ومنها إلى الصّحافة المختصّة.

وفي نفس الإطار فإنّ الإخبار عن معلومة مُدرجة ضمن نشاطات البريد يجب أن تكون شاملة ودقيقة، وهي عبارة عن إشهار مجانيّ يُنمّي الهواية ويُساعد المُهتميّن على تحديد مُشترياتهم وفق البيانات الواردة في النشرات، كما تلعب هذه الأخيرة دورًا قيّمًا في توفير رُوزنامة تسجيل تعامليّ تجمع بين سُلطة

الإصدار والمُستهلكيّن عُمومًا، إذ أنّها تُساعد على بناء الثّقة عند استقبال المنتج وتُنمّي كذلك الشُّعور والقُدرة على تحيّن الفُرصة لاقتنائه.

ناهيك عن الصّحافة المختّصة والصّحافة الغير المختّصة المهتّمة بجمع الطوابع البريديّة، فالرّسالة تتناول هدفًا مشروعًا في عمل إشهاريّ يعتمد إمّا الإبلاغ أو استهداف أصحاب الهواية بإثارة المزيد من اهتمامهم، ولا نستغرب أن يحتلّ موضوع الإصدار اهتمامًا محوريًّا ذا صبغة محليّة في محطّات الإذاعة، وهنا نسرد على سبيل الذّكر المحطّات المحليّة وخاصّة مساعي الإذاعة الوطنيّة في تغطية إصدار ذا قيمة وطنيّة حقيقيّة، كما تلعب **العلامة** دورًا هامًّا في تدعيم سياسة التّخطيط لبرامج الإصدار المستقبليّ، ويتدخّل كذلك جهاز التّلفاز ليقوم بدور المحطّة المُمثّلة للدّولة التّي تعمد لعرض جُلّ المعلومات التّي تتعلّق بجهاز الحُكومة وسُلط التّنفيذ التّابعة والتّي نذكر من بينها إدارات البريد.

شهد قطاع البريد التّونسيّ في السّنوات الأخيرة عُروضًا متعدّدةً في شكل تظاهرات ثقافيّة تُقدّم برامج إصدارات متكرّرة لسنوات متتاليّة، وتقوم قيمة العرض على جمع الأطراف المتدخليّن من الإدارة والهُوّاة والتُّجار البائعيّن، ولم تنطبع هذه العُروض بسياسة تنافسيّة إنّما اقتصرت على تقديم المنتج البريديّ والتّعريف به في شراكة ثلاثيّة الأطراف تُعزّز البرامج وتُطوّر سياسة التّسويق بهدف استقطاب هُواة جُدد ثابتيّن لبثّ مفهوم قرائيّ متبادل من خلال الندوات والمُلتقيّات إلى جانب تدعيم الثّراء الحاصل في المُشاركة الحيّة والفاعلة لأطراف المُبادلة البريديّة.

2.4. الإنترنت أداة للتّرويج البريديّ:

ولا نستطيع أن نمرّ دون أن نُعرّج على أهمّ منظومة تعمل على تطوير سياسة التّرويج والتّسويق البريديّ في الوقت الحاضر ليس فقط على المستوى

المحلّي إنّما أيضًا لما هو أبعد من ذلك بمعنى المستويين الدُّوليّ والعالميّ، ألا وهي غمرة "الانترنت" التّي تدخّلت في العشريّتين الأخيرتيْن، ويُقال عن "الانترنت أنّها تُلغي القانون الأوّل للجغرافيا"[1] ويذكر صاحب كتاب "دليل تنمية هواية جمع الطوابع البريديّة" بأنّها "لا تفتأ تتطوّر بخُطى عملاقة، وقد رأى البعض فيها خطرًا شديدًا على جمع الطوابع البريديّة إذ أنّها تُوّفر تجربةً مختلفةً تمامًا، فهي مرئيّة وتفاعليّة ومتقدّمة من الناحية التّكنولوجيّة"[2]، وهنا تطرح نظريّة الكاتب خطر الإقبال على الانترنت من ناحية إلهاء الصّغار الذّين يُمثّلون هُواة المستقبل كما سبق وأن بيّنا في تقسيم شرائح السُّوق البريديّة بأنّ الأطفال هم هواة المستقبل القريب عندما يصبحون شبابًا.

أ. الانترنت أداة إعلام:

وليس غريبًا أن يقع التخوّف من هذه الشّبكة المتطوّرة التّي تُحقّق قلبًا جذريًّا لمفهوم التّواصل والمراسلة وتُوّفر تأمينًا تعامليًّا يرقى بأساليب التّعامل الإنسانيّ "حيث تُوجد مسافات متشابكة من الخطوط وقنوات الاتّصال المعدنيّة والضّوئيّة والهوائيّة في شبكة الشّبكات الانترنت"[3]، وهنا تُصبح التّركيبة بوصفها أوّلاً "مرئيّةً" تتّسم بحماية مبادئ التّواصل وتُضبط بأُولى مراحل الإدراك المعرفيّ، ويُضاف إلى ذلك كونها ثانيًا "تفاعليّةً" بمعنى أنّ التّراسل يتميّز بالتّجاوب الفعليّ والفاعل الذّي يختصر زمن الرّد والاستجابة، ثمّ إنّها ثالثًا "مُتقدّمة" من الناحية التّكنولوجيّة، فالمنظومة مُتطوّرة تقنيًّا وتفرض سُلوكيّات مبادرة وتصرّف وتجميع تنأى عن أيّ مُمارسة تقليديّة عهدناها في التّبادل البريديّ.

1.Hans Geser, (2002 December), *towards a Met sociology of the digital sphere.* <http://socio.ch.intcom./t_hgeser13.html<

2 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 89.

3 . محمد عليّ رحومة، علم الاجتماع الآليّ، مقاربة في علم الاجتماع العربيّ والاتّصال عبر الحاسوب، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطنّي للثقافة والفنون والآداب، مطابع المجموعة الدوليّة، 2008، صفحة 123.

ووفقا لهذا الاختيار البيّن فلمُتأمّل أن يلحظ عُمق البُعد التّعاملي عبر الخطّ الذّي أحدث الكثير في أساليب التّواصل وغيّر طبيعة المُعطى ألتراسليّ، فالانترنت برزت بادئ الأمر بوصفها وسيلة تسويق وإعلام وطني محلّي وعالميّ تشدّ مستهلكيّن من فئات عمريّة مختلفة حافزهم في ذلك المُتعة الشّخصيّة، وهي "تُتيح سعة النّقل لكلّ فئة من فئات الشّبكة باستعمال وسائط متعدّدة فيما تفرضه الشّبكة من سعة عالية في نقل البيانات"[1]، وهو نفس المبدأ الذّي قامت على أساسه هواية جمع الطوابع البريديّة في فترة معيّنة، لذا فإنّ البعد الذاتيّ لا ينقاد لضغوط خارجيّة إنّما ينبع عن إرادة واعية ذاتيّة ويستلهم رغباته من مُتعة الاكتشاف وقوّة الإرادة لتلبيّة نازع نفسيّ شخصيّ هو المُتعة في الاستفراد بالخُصوصيّة.

وهنا بالذات نجد الأداة ما فتئت تتحوّل عبر **الطابع البريديّ الرّقميّ** إلى بُؤرة الموضوع ذاته وهي شبكة الشّبكات، فلقد اكتفت بادئ الأمر بالتّرويج الإعلاميّ الذّي يرتبط بمُختلف الأطراف على شبكة مُوّحدة ممّا يُمّكن من "تبادل جُملة من المعلومات الأكثر شُمولاً وعُمقًا في صيغة أكثر جدوى وأكثر أريحيّة"[2]، لذا تفتتح هذه **العلامة** آفاق تواصل شاملة وتُوّفر مساحةً مشتركةً تتحدّى من خلالها محدوديّة المكان والزمان في تبادل معلوماتيّ يترّفع عن الإطار، فيسعى لتحقيق مُقاربات فعليّة داخل الرّسالة التّواصليّة، وبذلك استخدمت إدارة البريد التّونسيّ موقعها على الإنترنت لترويج مُنتجاتها من الطوابع البريديّة والتّعريف بالمُصمّمين وبتواريخ الإصدار، ولزائر لموقع البريد التّونسيّ[3] أن يطّلع على ثروة الطوابع البريديّة التّي تنتظم بحسب المعلومات الوارد ذكرها،

---

1 . محمد عليّ رحومة، علم الاجتماع الآليّ، مقاربة في علم الاجتماع العربيّ والاتّصال عبر الحاسوب، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطنّي للثقافة والفنون والآداب، مطابع المجموعة الدوليّة، 2008، صفحة 45.

2 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001، صفحة 89.

3 . www.poste.tn

وعليه كذلك إتّباع المنهج ألمعلوماتيّ فهي "وسيلة تواصل أساسيّة لإشهار وترويج مُنتجاتها في شكل مرئيّ ومُثير"[1]، وهي تُصنّف المعطيات التّاريخيّة والطباعيّة حسب خصائص المحمل مثل الشّكل والحجم وكمّية الإصدار ممّا يُمكّن من إطّلاع دقيق وشامل للمُختصّين والمُهتمّين عُمومًا.

ب.الإنترنت أداة تجاريّة:

ليس غريبًا أن تتدخّل الإنترنت في عمليّات الإشهار والتّرويج غير أنّ المُطلّع على منظوماتها المتكاملة يُلاحظ توّفر صياغة شاملة للتّواصل الإنسانيّ وذلك بتأمين المعلومة وضمان سُهولة تبليغها وسُرعة مُوافاتها للفكرة، وهذا ما يجعلنا نتأكّد من أنّ هذا الدّفع ألمعلوماتيّ الظاهر في الإخراج الرّقميّ قادر على تجاوز محدوديّة الإعلام ليُؤدي أدوارًا إضافيّةً وإيجابيّةً، فلقد افتتح في العشريّة الأخيرة البريد التّونسيّ عصر البيع عبر الإنترنت بما يُعرف بالتّجارة الإليكترونيّة، وبذلك يكون قد حوّر القراءة السّطحيّة للتبادل ألمعلوماتيّ وأضفى مَجالاً تجاريًا تعامليًا مفتوحًا وأتاح مساحةً واسعةً للمادّة المعروضة وسهّل طُرق الاستخلاص الماليّ.

تُعدّ مرحلة تركيز سياسة تجاريّة رقميّة خُطوةً هامّةً على صعيد المُقاربة التّكنولوجيّة الّتي احتلّت حيّزًا مُحترمًا في المخطّط الاستراتيجيّ لسياسة الدّولة والتّي ما فتئت بدورها تُشجّع على تطوير التّبادل عبر قنوات الاتّصال على الخطّ ومباشرة التّفاعل الرّقميّ لمواكبة التقدّم الحاصل في مجال تكنولوجيا المعلومات على المستوى العالميّ.

لذا فإنّ الهدف لا يتوّقف في اعتبار الانترنت أداة إشهار ولا في كونها قناةً تجاريّةً بل إنّه يتعدّى جُلّ هذه المفاهيم ليُحقّق مُنتجًا رقميًا يتبنّى **عوالم الرّقم** في طريقة صياغته ويتشكّل بحسب طُرق مداولات الشّبكة وبما يضمن مُخطّطًا

---

1 . توفيق جراية، دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express،2001، صفحة 89.

فعّالاً في التّسويق وينهض بهواية جمع الطوابع البريديّة على الخطّ، وهنا "تُغطّي تكنولوجيا المعلومات كلّ أشكال التّكنولوجيا والتّقنيّة المنتجة للمعلومات واستحداثها ومعالجتها وتحليلها وتخزينها وتبادلها وتوزيعها وإدارتها في أشكال ومظاهر متعدّدة تتضمّن العتاد والبرمجيّات والشّبكات وترقية عُلوم الحاسوب وتصميم منظومات المعلومات وتطبيقها وتطويرها وتركيبها"[1]، فإلى أيّ مدى تُؤثّر هذه المنظومة الرّقميّة في تطوير سُوق المُبادلات البريديّة ؟

إذا كيف يُساهم بعث طابع رقميّ في توفير مُعاملة بريديّة متطوّرة ؟ وما مدى تفاعل الهواية مع التّغييرات المحدثة في الثقافة والمُوضة التّواصليّة ؟ ثمّ هل حافظت سياسة التّخطيط الإستراتيجيّ على هيكلها العامّ في ظلّ التبلوّرات التّكنولوجيّة؟ أم هل أنّها جدّدت صياغة سياستها بما يتجاوب مع المفهوم ألمعلوماتيّ الرّقميّ ؟ ثمّ ما مدى تحوّل منظومة التّواصل عبر الخطّ على حثّ الأطفال لاستنباط طُرق حديثة وشدّهم للانخراط في عمليّة جمع الطوابع البريديّة؟

ج.الإنترنت أداة تربويّة:

يُعدّ تأسيس نظام معرفيّ مقرون بأدوات رقميّة منهجًا مُعاصرًا يسعى إلى تحويل العالم إلى "قرية صغيرة"، فالانترنت بوصفها جهازًا تواصليًّا يُؤمّن معرفةً مُتبادلةً ويُؤثّر جوهريًّا في قطاع التّربيّة، كما يسهر العاملون على تنمية النّظام المعرفيّ والنُّهوض بسُبل التّثقيف والسّهر على قيام بُنية أساسيّة في التّعليم، ومن ثمّ فهو يعمل على توظيف الطابع البريديّ في صميم الأهداف التّربويّة البنّاءة.

---

1 - محمد عليّ رحومة، علم الاجتماع الآليّ، مقاربة في علم الاجتماع العربيّ والاتّصال عبر الحاسوب، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطنّي للثقافة والفنون والآداب، مطابع المجموعة الدوليّة، 2008، صفحة 51.

ويُؤكّد الرّئيس الهنديّ في افتتاح المعرض العالميّ لجمع الطوابع البريديّة أندباكس 1979 بأنّ "جمع الطوابع البريديّة هي هواية ذات قيمة تربويّة عاليّة" وأضاف قائلاً "إنّ الطوابع الصّغيرة تروي الكثير عن مُجمل النّواحيّ المتّصلة بالحياة الإنسانيّة تقريبًا كالفنّ والعلم والثّقافة والتّاريخ والطّبيعة، فهي تُذّكي حُبّ الإطّلاع وتُحفّز على الخلق والإبداع وبخاصّة في صُفوف الشّباب"[1]، وهنا يعمل المنحى التّعليميّ على تهيئة أرضيّة معرفيّة نامية تضع مُقرّرات تعليميّة تستند لها البرمجة البريديّة، فتكتسي بذلك طبيعةً حواريّةً بين أعضاء مُثلّث الشّراكة اللّذين يعملون على الأخذ بمُتطلّبات الفئة المستهلكة ويُطبّقونها على برمجة السُّلطة المُصّدرة.

ومن الضّروري أن نقرن بين الإنترنت والمنهج التّعليميّ، فالتّواصل عبر **فرضيّة الآلة** يُمكّن من توفير كمّ هائل من المعلومات سهلة الاستيعاب ودُون تكلفة ذات بال، إذ تُوصف عمليّة التّواصل بتدخّل مُنفرد وشخصيّ للمُستخدم الذّي يُحرّك جذوة المعرفة ويشدّ اهتمام المتقبّل حتّى يُلبّي أقصى فُضوله، فتُحقّق بذلك الإنترنت حالات استقطاب جديدة لاستجلاب فئات متعدّدة لا تهتّم نهائيًا بالهواية، كما يُساعد الإبحار الافتراضيّ عبر الخطّ بعض مُستخدميّ الإنترنت أن يَزُوروا مواقع بريديّة ويكتشفوا إمّا بمحض الصدفة أو بحُبّ الفُضول عالم الهواية فيستعلموا برامج إصدارها ويتدّخلوا بدون وعي إدراكيّ منهم في سياسات ترويجها، وهنا تصل المُستخدم الانترنت إلى مقرّ إقامته وتُسّهل بحثه عن المعلومة فيكتشف بنفسه مساحات لا متناهية من المعرفة ويُعلّم الأحداث ويفعل ويتفاعل مع جميع المُستجدّات .

---

1 . شري ك.نارايان، رئيس الجمهوريّة الهنديّة، محاضرة قدّمها في افتتاح المعرض العالميّ لجمع الطوابع البريديّة، اندباكس 97، دلهي الجديدة 15 ديسمبر كانون الأول 1997.

د. الانترنت أداة إشهار عالميّ:

لقد تعرّضنا في تركيبة السُّوق الاستهلاكيّة إلى تشكيلة مُعقّدة من شرائح المجتمع وفئاته العمريّة، ولقد توّصلنا إلى عرض محطّات التّوزيع المتفاوت للسُّوق وللتّنظيمات الإداريّة القائمة على تحقيق إستراتيجيّة تسويق وترويج ضمن مُخطّط الشّراكة ثُلاثيّ الأبعاد، فنحن "نُطوّر نظام الدّفع الماليّ الفائق بخدمات التّلفزيون التّفاعليّ وبرامج الخرائط والرّسومات وترجمة صفحات الواب"[1]، ولقد انتهينا بذلك إلى معرفة أنّ الإعلام المُوّجه والشّامل هو هدف أساسيّ في تبليغ المعلومة لفرض صُورة مُتداولة حول نشاط البريد لأجل تقييم مُعاملاته وتأكيدها.

ولعلّ الحُضور الوطنيّ والإقليميّ يُعزّز الانتشار والاعتراف العالميّ، فالحوار المنفتح المتبادل يعمل على إدراج البلد المصدّر ضمن المُجمعيّن العالميّن من الصّنف الملتزم، وفي هذا السّياق بالذات نجد أنّ سياسة التّسويق التّقليديّة اعتمدت بالأساس المشاركة في معارض تُقام في البلدان الأجنبيّة ناهيك عن الفضاء الوطنيّ الإقليميّ، ولقد شهدت آسيا ما يربو عن نصف مليون زائر في حين سجّلت معارض أوروبا وأمريكا الشماليّة ما يُقارب مائة ألف شخص، ولعلّ التعرّف على مُنتجات بريديّة خاصّة ببلد معيّن قد انحصر في فترة ما في إقامة هذه المعارض وتخصيص تكاليف باهظة بجودة مُتميّزة حتّى تعكس فكرةً واضحةً للزّائر حول نوعيّة الإصدارات وطبيعتها.

ويُمثّل هذا المُلتقى الافتراضيّ رهان تعريف ذا فعاليّة ترويجيّة راقية وعادة ما يُحقّق نسبة مبيعات جيّدة، إذ كثيرا ما يشدّ انتباه مستهلكيّن يعجزون عن السّفر لهذه البلدان فيُوّفر لهم أجنحة عرض المادّة البريديّة على الخطّ، غير أنّ التطوّر التّكنولوجيّ وقيام شبكة الإنترنت قد حقّقا أهدافًا أكثر فاعليّة وجدوى،

1- غسّان سعيد خلدون، غوغل تتأهّب لنشر إمبراطوريتها عبر الإنترنت، الشّرق الأوسط، إسلام دون لاين، 23 أغسطس 2005، صفحة 66.

فالشّخص المُهتم لن يتحمّل حتّى عناء التحوّل إلى معارض دُوليّة ولن يتصيّد حتّـى تـواريخ إقامتها، بل سيجد ضالته في وقت بحث قصير على الخطّ، وسيقتني ما يُعجبـه منهـا وفـق اختيّاراته ومواضيع تجميعه، وهنا ترتقـي بـسُهولة جُـلّ المنتجـات البريديّـة عـبر مواقعهـا الافتراضيّة إلى إمكانيّة توفير الإمدادات وصياغة الإمكانـات الاسـتطلاعيّة بمـا يُلبّـي شـغف الهُوّاة ويُؤدّي حتمًا لاستقطاب هُواة جُدد.

خاتمة الباب الثالث

استوجب التخلّص إلى موضوع الكتاب فهم أرضيّة التّجربة البريديّة وتحليلها والتحكّم في مفرداتها وفهم المنطق الجدليّ لمُتغيّراتها بما يُناسب طبيعة السُّوق وضوابط العلاقة الجامعة بين سُلطة البثّ ومساحة التّقبل، لذا فلقد أفردنا التّطوّر التّقنيّ وتأثيره في تطوير رقميّة **الطابع العلامة**، وقُمنا بدرس كُلّ الملابسات التّقنيّة الطباعيّة الغابرة والرّاهنة، كما حلّلنا خُصوصيّة النظرة المستقبليّة في تقدير المُستجدّات التّقنيّة ومنطقها في بابنا الأوّل.

ومن ثمّ فنحن تناولنا بالنّظر كُلّ مُلابسات سُوق المُبادلات البريديّة المُعاصرة في الباب الثانيّ، كما ألمّمنا بجُلّ الشّرائح المتقبّلة وطبيعتها التّواصليّة باعتبارها تتدخّل وتُساهم في تأسيس مدارات التّجارة البريديّة الالكترونيّة التّي تُمثّل سُوقًا مُستهدفةً تُنّظر لقيام محملين أحدهما ورقيّ وثانيهما افتراضيّ.

ومن ثمّ عزّزنا الكتاب بباب ثالث يسرد سياسات التّخطيط الاستراتيجيّ البريديّ فيُفسّر الاتّجاه القرائيّ ومنطقيّة التّوزيع والصّرف وكذلك سياسة التحكّم في مبيعات سُوق المُنتجات البريديّة، ممّا يُساعد على ضبط طبيعة استراتيجيّات التّسويق ومنطقها.

وليس غريبًا أن نفتتح الآن توّجهنا على باب رابع يُقدّم تقيّيمًا لهذه التّجربة البريديّة التّي تنتهي بإرساء **الطابع البريديّ الرّقميّ** في نسق تواصليّ جماعيّ حديث، أسميّناه "**العلامة والرّقم ... قراءة في مقاربات منظومة التّواصل عبر الخطّ**".

الباب الرّابع

العلامة والرّقم...

قراءة في مقاربات

منظومة التّواصل عبر الخطّ

مقدّمة الباب الرّابع

تخضع "المنظومة التّواصليّة" لعَدد من **فرضيّات التّصميم** التّي تُعتبر من الابتكارات الإنسانيّة المُعقّدة، فالإنسان هو بُؤرة قُوى حركيّة تتفاعل فيما بينها، إلاّ أنّها تتميّز في البداية بكونها طبيعيّة إلى أن تترّسب وتتحوّل شيئًا فشيئًا لحالة من الاكتساب والارتقاء بالمعلومة الخطّيّة، فتعكس في الأخير مشهدًا مُحتشدًا من مُخلّدات العُمق الفكريّ والثّقافيّ، وهنا ينتقل فعل التّصميم من خُصوصيّة الذات إلى ضوابط المجموعة ومُقارباتها، ومن ثمّ يعتمد هذا المقال المُصمّم **للعلامة الطابع** مسارًا اختياريًا تنظيميًا تُقسّم من خلاله الأبعاد الحركيّة والاتّصاليّة المتّصلة بموضوع الابتكار المتجدّد.

مبلغنا في هذا العرض التّحليليّ أنّ المُتبصّر في **الطابع البريديّ** يراه لأوّل وهلة بوصفه محملاً طباعيًّا يُؤدّي خدمة تبادليّة في إطار مُعاملة التّراسل بين الأفراد، وبذلك يقع إدراكه حسّيًّا بوصفه صُورةً مُتداولةً تحملُ موضوعًا مُعيّنًا، لكنّ الباحث في هذا المجال يجد نفسه قُبالة تصميم مُعقّد يزخر بالأبعاد التّصوّريّة، فنحن نلمح المشهد الذّي يعتمد الإبصار المُباشر ونتأمّل كذلك المشهد الذهنيّ الذّي يقع إدراكه عند بُلوغ آخر مراحل الإدراك الحسيّ، فيتهيّأ هذا المحمل الصّغير المُحمّل بالمعانيّ إلى استشراف مُعاينة تأويليّة تأخذ الجُزئيّ والكُلّيّ وتُكوّن منهما معرفةً تُجمّع أجزاء المعلومة حتّى تنتهي إلى مرحلة خوض تجربة نظريّة تُؤدّي دورًا اتّصاليًّا يُوّظف جُلّ المميّزات الذّهنيّة ويصوغها في تصميم قرائيّ مُتعارف عليه.

لذا كان من الأجدر بنا أن نتجوّل في مُقاربات بلورة هذا المحمل، فنحن لم ننفتح على مجالات حيّة تُحيط بمساحة البحث والتّكوين في هذا المُنتج البريديّ فقط، إنّما أوردنا في <u>الباب الأوّل</u> كُلّ صياغات المنظومة التّقنيّة التّي تقوم على

جدليّة التّفاعل بين عناصر الصّناعة والمفردات الخطّيّة، ثمّ تناولنا عرض التطوّر التّكنولوجيّ ومُلابساته بقصد حصر مُوجبات الفضاء الافتراضيّ وإيجابيّة التّنظير لطابع رقميّ، ولم نستطع المُرور دون عرض الباب الثاني الذّي يدرس طبيعة سُوق المبادلات البريديّة بوصفه موقعًا يتميّز بخُصوصيّة المعاملات البريديّة ومن ثمّ أقمنا البحث على اختلاف الفئات العمريّة المستهدفة والشّرائح الاجتماعيّة المتنوّعة التّي تُوّفر نسب ارتداد عالية وتُؤثّر في نسب العائدات وتشترط طرائق عرض وطلب متنوّعة وتُقدّم قراءات متواترة تنطلق من ذاتيّة الإنسان إلى تنوّع الفئات المستهدفة في هذا الميدان بعينه.

وقُبالة هذه الاستثناءات حلّلنا في الباب الثالث لوجستيك السُّوق البريديّة فواجهنا مُمارسات فريدةً من نوعها تخصّ سُلط الإصدار البريديّ وفق برمجة إستراتيجيّة تهتّم بتوزيع المُنتج وهيكلته وتسويقه، وذلك بتخطيط إستراتيجيّة حركة الإصدارات وتنظيم المُعاملة البريديّة قانونيًّا وتجاريًّا.

وهنا استوجب **كتاب العلامة والرّقم** الإحاطة بمُجمل المُحدثات والمُستجدّات التّاريخيّة التّي تُحيط بموضوع البحث، لذا ارتأينا أن نقوم بقراءة جدّية في مُحدثات **العلامة الصُّوريّة** حتّى نفهم تقنيّة صُنع الطابع التّقليديّ الذّي تطوّر تكنولوجيًّا عبر مُستجدّات التّسويق والتّرويج وهذا ما تتطلّبه الفرضيّة الصياغيّة من مراحل تنفيذيّة، وهذا ذاته ما جعلنا نفهم ونُقدّر دور كلّ الأطراف المُساهمة في إثراء حركيّة المُنتج. ثمّ إنّ مآل هذا التوّجه أنّنا وجدنا أنفسنا نطرح إشكالاً جديدًا يدفعنا إلى تفكيك نقاط الغُموض المُحيطة **بالعلامة البريديّة**، فنستوضح بالتّالي حُضورها وغيابها وسط كلّ هذه المتداخلات الاجتماعيّة والصّناعيّة، وهذا نفسه ما فتح أمامنا مجالات بحث واسعة وأنتج وُضوحًا في الرُّؤية أفضى إلى استلهام المزيد من عناصر البحث.

وهنا بالذات بدأ الطابع التّقليديّ يُبلوّر مفهومه في اتّجاه تنظيريّ رقميّ ليس بسبب المُستجدّات الاجتماعيّة والتّقنيّة فحسب إنّما لكونه يحيي السّياق الزّمنيّ والمكانيّ معًا ولكونه كذلك يتفاعل مع مفاهيم الإدراك المتجدّدة، فهو يُطوّر آليّة الصّياغة المرئيّة بانطباع نفسيّ إدراكيّ متحرّر، فيُغيّر بالتّالي ويُؤثّر ويتأثّر مع جُلّ طرائق التّعامل الإنسانيّ.

لذا وجب علينا أن نُقدّر ما طرأ على منظومة التّواصل من مُتغيّرات رقميّة أثّرت جذريًّا في إخراج الموصوف التّداوليّ، كما أنّ مضمون الطابع الورقيّ صيغ في شكل صُورة افتراضيّة وتحوّل من مُلامسة يدويّة حيّة إلى مُجانسة ذهنيّة افتراضيّة لا تتلّبس بشفافيّة التّقارب الجسديّ المُباشر إنّما هي تُؤمّن نوعًا من المسافة الذّهنيّة ذات العقد الإلزاميّ والأخلاقيّ تُساق في صناعة المنتج وتُلبيّ جُلّ مُواصفاته.

فاكتشفنا أنّ **العلامة** قد انتهجت منهجًا مُغايرًا أساسه مُمارسة رقميّة تحتكم إلى ضوابط التّعامل التّي صاحبت المفهوم الجديد وهو **الرّقم**، فكان من المنطقيّ أن نصل بالبحث إلى عرض أشكال الانترنت باعتبارها الفضاء الذّي مهّد إلى نشأة البريد الإليكترونيّ وولّد تباعًا قانون التّجارة الرّقميّة "فالأداة تبلغ في صناعة جيلها دون تدخّل الإنسان"[1]، ولقد سعينا إلى تفسير مُبادلات **الطابع والتّبادل** في قراءة تناولت مُحدثات السُّوق التّجاريّة، وانتهينا إلى صياغة **العلامة** وإستراتيجيّة التّوزيع والصّرف، أمّا بابنا الرّابع والحاليّ فهو مُوازنة بين **العلامة والرّقم** بما يستوجب قراءة في مُعادلات منظومة التّواصل عبر الخطّ، وبما يُوّضح كذلك أسباب التّحوّل القرائيّ والإدراكيّ ويربطه بتحوّل المعطى التّداوليّ، وليس غريبًا أن نعرض مفهوم البرمجيّة الرّقميّة ومدى تدخّلها في توفير ضمانات التّداول التّجاريّ الافتراضيّ.

1 . Ray Kurzweil, (2001), *The Coming Merging of Mind and Machine*, Scientific American, <www.ScientificAmerican.com<

وبالقياس يتألّف الباب الرّابع من محورين هاميّن، إذ يعرض المحور الأوّل أسباب التحوّل القرائيّ وتغيّر المعطى التّداوليّ، في حين يُقدّم المحور الثاني برمجيّات التّواصل الرّقميّ وضوابط تنظيم المنظور القرائيّ.

وهنا يعتني المحور الأوّل بالنّظر في طبيعة التّحوّل القرائيّ على ثلاثة فصول تُقدّم مدى اختلاف المعاملات التّداوليّة البريديّة، فيطرح الفصل الأوّل تطوّر مفهوم الإدراك المرئيّ لدى الرّائيّ عُمومًا ولدى الهاوي على وجه التّخصيص، أمّا الفصل الثاني فيبحث في تطوّر آليّة الصّياغة المرئيّة من أدنى مميّزاتها إلى مرحلة صياغة نظام مرئيّ اتّصاليّ متكامل، ويتّقصى بذلك القارئ ضوابط تصميم الطابع وأنظمة الإحداث التّكنولوجيّ، وأخيرًا يُقدّم الفصل الثالث ازدواجيّة الإنسان والآلة وجدليّة العلاقة بينهما في عمليّة التّصميم عبر الأداة الالكترونيّة ومُستوجباتها.

أمّا بالنّسبة للمحور الثاني فيطرح برمجيّات التّواصل الرّقميّ وضوابط تنظيم المنظور القرائيّ في خمسة فُصول، أوّلها فصل التّعريف بالتّجارة الالكترونيّة وأهدافها ومن ثمّ ضوابط التّعاقد والدّفع والتّأمين عبر التّجارة الالكترونيّة حسب ما يفرضه المشرّع التّونسيّ، في حين يتناول الفصل الثّاني منهجيّة الاستخلاص الالكترونيّ، فيبدأ من قراءة مفهوم الطابع الرّقميّ إلى كيفيّة تشكيل هيكله وطرائق مُناولته الآليّة في التّبادل البريديّ، في حين يعرض الفصل الثّالث توّجهات منظومة الاستخلاص عن بعد، لمن بُعث الطابع البريديّ الرّقميّ؟ ومن ثمّ يتناول البحث في ايجابيّات ونقائص المعاملة الالكترونيّة البريديّة، كما نجد في الفصل الرّابع عرضًا مُوجزًا للتّجارب الأمريكيّة والألمانيّة والبريطانيّة والسويسرية والفرنسيّة، وأخيرا ننتهي إلى فصل خامس يسرد الإحداث المُعاصر لأجل إنقاذ حياة الطابع الرّقميّ بالتّشخيص وعودة **الصُّورة العلامة** من جديد ؟

I . أسباب التّحوّل القرائيّ وتغيّر المعطى التّداوليّ:

1. تطوّر مفهوم الإدراك الاتّصاليّ عند العُموم والهُوّاة:

يُسّجل التّصميم علاقةً عضويّةً تربط حاجة الإنسان المُستهلك بمُهمّة الإنسان المُصمّم، فالصائغ هو ذلك الفاعل المُحرك لأداة الصّياغة بما يستجيب لشُروط الطلب والحاجة، كما أنّه يعمل على تطوير مداركه الحسيّة من عُموميّات سطحيّة إلى قراءة دقيقة وجزئيّة، ثمّ إنّه حسب س.ج. جينج jing يُرّجح "أنّ في اكتسابنا الصُّور هو وليد بعد وراثي يُطوّر عمل الخلايا والأنسجة العصبيّة، فيتحوّل المفهوم القرائيّ إلى مُعطى ما قبليّ نستمدّه من تركيبتنا العضويّة"[1]، وهنا يتّم ترسيخ المفهوم المقروء حتّى يبلغ حدًّا مُتطوّرًا من النُّضج الفكريّ التّفاعليّ.

1.1. تطوّر الإدراك الاتّصاليّ:

تبدأ مراحل الإدراك بالرُّؤية Vision وهي مُجرّد مُلاحظة لكُلّ ما تشهده العين وكُلّ ما يعترض مجال نظرها، وهنا يكون المُقبل على المادّة البريديّة مُستطلّعًا سَلبيًّا تنحصر آليّة نظره في تشفير مرحلة الانطباع الصُّوريّ الأولى، وهي حالة من الإبصار التّي تحصر الموضوع فقط داخل عُضو قارئ هو بُؤبُؤ العين.

أمّا في المرحلة المُوالية فإنّ مرحلة الإدراك تبلغ دقّةً وتأمّلاً أعمق تتمثّل خاصّة في التطلّع عبر آليّة النظر[2] والمُعاينة Preview، وهنا ينحصر مجال الرُّؤية في إطار مُعيّن داخل مساحة مضبوطة، وإذا ما اتّصفت المرحلة الأولى

1 *Jean. J* . Wunenburger, (2001), *Philosphie des images*, France, Imprimerie des presses universitaires de France, page 17.

2 . **آليّة النّظر** تقوم على عضو ظاهر هو العين، يحتلّ الشطر الأعلى من الجنين وهي نافرة بشكل جاحظ بالنّسبة لمستوى الدّماغ، وتنقسم لأجزاء عضويّة تلتقط النّور، في حين أنّ جزئيات أخرى مثل الرّموش والحواجب تقي البُنيات الدّقيقة للعُضو، كما تُبطن العين غشاء جفّاف يُمثّل غطاء حاميًا للعضلةِ ككلّ يُدّعى "الملتحمة"، وهو يحمي العين في انغلاقها وانفتاحها فتضبط مقدّم العضو، ونجد داخل العضلة الهامّة التّي تحمي مقلة العين وتُدّعى "الصّلبة" وهي مربط العضلات الخارجيّة السّتّ، وتُحرك مقلة العين عن وسط الجسم في حين تحرّكها العضلة المستقيمة الوسطى نحوه، ثمّ تُؤمّن المستقيمة العليا والمنحنية حركتها إلى أعلى وأسفل وتُؤكّد أنّ "حركات العين مهمّة للإدراك، لأنّها تُؤمّن للشبكيّة باستمرار صورة جديدة" الصّادق النيهوم، موسوعة علميّة مُصوّرة، كتاب هذا الإنسان، المجموعة الثانية، رقم 1، طرابلس، ليبيا، الشركة العامّة للنشر والتّوزيع والإعلان، طُبع بسويسرا، 1978، صفحة 76.

بالسلبيّة فإنّ المرحلة الحاليّة تبدأ باستحضار ذاتيّة الشّخص المُهتّم، ومن ثمّ فهي تُضيف إلى عمليّة التّصميم المُعاينة والمُوازنة اللّونيّة والضّوئيّة والتّركيبيّة حتّى تلتئم مُفردات الصُّورة وتتكامل وتتفاعل فيما بينها لإعطاء منطق واضح للأشياء من حولها.

نحن نتحدّث في الحقيقة على رباط منطقيّ يشدّ انتباه الإنسان المُتطلّع لموضوع الرُّؤية، فنُقيم بالصياغة تفاعلاً إيجابيًّا ونُسهّل بُلوغ مستو ثان من مراحل الإدراك الحسّيّ، وهو أن يُوازن المُصمّم بين مُيول الذات المستهلكة وطبيعة التّصميم وطُرق صياغته، فالرّاشد الأساسيّ في حركة الإدراك هُو مُصمّم لا يعي أسباب اهتمامه بالموضوع ولا جُذوره، وعادة ما يشدّه اهتمام مُفاجئ يُساعده على قراءة مُفردات مرئيّة معيّنة، ثمّ إنّه عادة ما يجهل أسبابها لأنّها تنبع من ذات باطنيّة لاواعية كما قد تستفزّه رغبة أو مُيول لا واع لفهمها، لذلك فليس عجبًا ألاّ تعتمد توّجهاته الصّياغيّة منطقًا غير موضوعيّ أو أن تحرّكه غياب الإرادة الواعية الاختياريّة.

وليس غريبًا أن يُفاجأ البعض منّا ونحن في مرحلة إدراك نحسبها واعية، بأنّ يشدّ نظرنا أُسلوب مُغاير لما تعوّدنا عليه ما يجعلنا نُواجهها إمّا بالاهتمام أو الرّفض، لذا ففي حالة النّفي والرّفض قد نجد في التّصميم ضالتنا على الرّغم من غرابة الفكرة، إلاّ أنّنا نبقى في بحث دءوب على أسباب هذا التّعاطف مع كُلّ غريب عن عاداتنا المألوفة.

لذا يصعب في الحقيقة أن نجد تفاسير واضحة لبوادر تخصيص النّظر وشدّ الانتباه لأنّ الذات المدركة مُعقّدة تنشطر إلى قسمين أحدهما إراديّ واع وثانيهما لا إرادي غير واع، وهنا يبقى عُنصر المفاجأة حاضرًا في ذات الإنسان ويشدّه، فما بالك إذا ما تحوّلنا إلى القراءات الاستثنائيّة والمتّجدّدة في كلا الإنسان المصمّم أو الإنسان المستهلك.

وهذا ما يُفسّر دوافع بعض الهُوّاة إلى تجديد مواضيع مجموعـاتهم أو مُيـولهم إلى تغيير مسار اهتماماتهم سواء بسابق تخطيط أو بقرار فوريّ سريع، فالذات المتقبّلة تشهد الانشطار على ذاتها فهي تُرضي أهوائها بما يُعتبر غريبًا عنها أو مألوفًا لديها، وبذلك يـصدر الطابع البريديّ إمّا بتركيبـة مُحدثـة أو مُجانسـة مُعـاصرة أو تقنيّـة متطـوّرة مـا يـسترعي اهتمام الهُوّاة ويشّد فضولهم، وقد يُؤدّي الأمـر إلى اسـتقطاب رُوّاد جُـدد تـستحثّهم رُوح المبادرة والرّغبة في تجميع قوائم تلتحق بسابقاتها ومن ثمّ فتح مجموعات جديدة تُسّجل حُضورًا استثنائيًّا في فضاء المُنتج البريديّ المُتعدّد الأشكال والمُختلف المواضيع.

وفي هذا السّياق بالتّحديد يتجاوب التّفـسير النّفـسيّ طوعًـا مـع أهـداف التّسويق الإستراتيجيّة، فنحن عرضنا في الباب الثالث برمجة التّجديد التّراكمـيّ والنّـوعيّ ومزايـاه في شدّ أنظار مُستهلكيّن جدد، ولـيس غريبًـا أن تـسهر سُـلطة الإدارة والمـشرفين عـلى حُـسن تخطيط برامج التّوزيع والتّرويج بمعنـى أن تحـرص عـلى أن يُحقّـق المُـنتج نَجاحًـا مطـرّدًا بنسب عالية.

ومن الجدير الإقرار بأنّه خلافًا لمعايير السُّوق المتفاوتة جُغرافيًـا وتـذكاريًّا وتاريخيًـا إلى جانـب انعـدام التّـوازن بـين الفئـات المتقبلّـة في تفـاوت الأعـمار ونوعيّـات الـشّرائح الاجتماعيّة، وهُنا فقـط ينطبـع إدراك المتّقبـل في أولى مراحلـه بالـضبابيّة والتّجاهـل كـما يخضع إلى بُعد لا إراديّ من الإدراك لا يفقه صاحبه أسبابه ولا حتّـى مرجعيّاتـه، كـما أنّـه قد لا يستوقف النّظر في حدّ قرائيّ معيّن إنّمـا سيـستأنف رحلتـه مـع جُلّ مراحـل الإدراك حتّى ينتهي في الأخير إلى تصوير شكل المُنتج الإعلاميّ، وإذا لم يُحقّق المنـتج إمكانيّـة شـدّ النّظر ولفت الانتباه، فإنّه من المنطقيّ أن يُثير نوعًا من الرّفض المعرفيّ لاحقًا، لذا يجب أن يُبلّغ المُتقبّل درجةً مُوجبةً من الانطباع الاختياريّ العفويّ بما يُساعده على تحقيق مستوى تفاعليّ مُتقدّم.

أمـا في مرحلـة الإدراك الحـسّيّ الثالـث فـإنّ الـنّفس المتقبلّـة تعتمـد المراقبـة Monitoring، فهي بعد ما كانت في بدايـة الأمـر تلحـظ ببهيميّـة أو أنّهـا تُطلـق العنـان لنظرها بصفة تلقائيّة تنتقل لاحقًا إلى مرحلة مُهمّة من التّمعّن والتّطلّـع، فتبـدأ العـين في تحديد مجال نظرها وتتهيّأ الـذات في مرحلـة مُواليـة إلى تـدقيق النّظـر وتثبيـت الرُّؤيـة، بمعنى أنّها ترصد وتُراقب وتُلاحظ فهي تشدّ نظرها وتتمّعن جيّدًا في موضوع التّـصوّر بمـا ينفي أيّة احتمال للشكّ، فينحصر الاهتمام والتّركيـز طوعًـا في درجـة عاليـة مـن التّـدقيق عندما تُجيل العـين نظرهـا داخـل مـدارها بالتثبّـت حتّـى تبلـغ أعـلى مُـستويات الإدراك فتُحقّق بذلك استفتاءً واضحًا حول مُواصفات **العلامة** وطُرق فهمها واستيعابها.

تُصوّر هذه المرحلة المتطوّرة في القطـاع البريـديّ عنايـة المُختـصيّن الـذّين يُـدّققون النّظر بالتثبّت والمُعاينة في جُزئيّات الرّسم ومـضمونه، وقـد يـستندون في ذلـك إلى مُكـبّرة تُحدّد مساحة رُؤيـتهم وتُمّكـنهم مـن مزيـد تمحـيص النّظـر والمتابعـة، وهنـا يعمـل رائـد التّجميع البريديّ على بُلوغ مرحلة راقية من الإدراك، فينهمك تدريجيًّا في تفكيك **العلامـة** بالمُقارنة والمُقاربة حتّى يُرّتب مُفرداتها في مجالها القطاعيّ، كما أنّه يُعـزّز قراءتـه بثوابـت انتماء تُزاوج بين المُسّطح القـرائيّ وجُـذور مرجعيّتـه، ثـمّ هـو يـستوعب موضـوع إدراكـه بوصفه أثرًا حسّيًّا ومعرفيًّا يتحقّق في حالة مُتطوّرة جدًّا تنطلق من عُمق النّـضج الفكـريّ Intellectual maturity حتّى تنتهي إلى انعكاس الارتداد المُترسّب والـثّري مـن مُفـاعلات الثقافة والانتماء الحضاريّ.

هُنا بالذات يُعايش المُـصمّم مرحلـة الإدراك بمُراوحـة سريعـة بـين الإجـماليّ globality والابتـدائيّ elementary، وهــما مفهومــان يــشرحان الإدراك الحــسّيّ بمنطقيّن مُختلفين لكنّهما ينتهيان إلى نفـس الهـدف إجـمالاً، وهنـا يـتّم اسـتيعاب المفهـوم العـامّ بحُـضور ذهنّـي وتـصوّريّ إجـماليّ، فيقـع الإطّـلاع عـلى مـضمون

الصُّورة المرئيّة بتحليل عناصرها وتفكيك أجزائها، ويسبق ذلك الانطباع الذّهنّي التّجميعيّ للصُّورة القيام بالتّفاسير التّحليليّة التّي تستند إلى مرجعيّات وأُصول دقيقة، وبذلك يُحقّق النّاظر مُراقبةً مُتطلّعةً ومُستفهمةً حول المضمون العامّ والجُزئيّ للصُّورة.

وإذا ما تعدّينا إلى مرحلة قراءة مُركّبات التّصميم فنُقيم بذلك مرحلة التثبّت في خبايا الرّسالة التّواصليّة، ثمّ إنّنا نُفاجئ بأنّ المفهوم عادة ما يظهر في تشكيلتيْن قرائيتيْن إحداهما ضمنيّة متخفيّة والثانية ظاهرة عينيّة، فتُولّد المُلاحظة المرئيّة طوعًا إمكانيّة الاطّلاع على المُحتوى والمضمون وفق ثلاث طرق، فهي تتّم أوّلاً بفكّ الرُّموز واستبطان خفايا الأهداف التّواصليّة، وتُقدّم ثانيًا الطرح القرائيّ بقصد تفكيك عناصر التّركيبة المُعقّدة، وتتّم ثالثًا ببُلوغ قراءة تجميعيّة انطلاقًا من مُفردات الأجزاء، وبذلك تُساعد هذه القراءة الإجماليّة المصمّم والقارئ على حدّ السّواء بأن يخلقوا ويكتشفوا علاقات عُضويّة وبنائيّة للرّسالة المرئيّة.

ولعلّ الأرجح عند ملاحظة **العلامة البريديّة** بأنّ جون بياجي Jean Pieget قد طرح نظريّة الاعتدال وهي الأكثر منطقيّة، فالإدراك هو جدليّة أخذ وعطاء بين الكُلّيّ والجُزئيّ، وإذ يشدّنا الشّكل العامّ فنحن نُدّقق في الجزئيّات لنستدرك معطيات إضافيّة ومن ثمّ نخلص إلى قيمة المفهوم المدرك فنستوعب العلاقة بين العناصر المتداخلة لنُحيّن رُؤيةً عامّةً وشاملةً.

وهنا تُدرك الذات باختيار واع وبإحساس يشدّها إلى تصويب نظرها نحو الموضوع، ثمّ نحن نُنّظمها في ما جاء قبلها وما جاء بعدها فنُحدّدها داخل الصيرورة الزّمنيّة، ومن ثمّ نتعدّى إلى مرحلة تأويليّة interpretation تُجمّع وتُقسّم العناصر المُكوّنة للمعنى الإجماليّ، ثمّ إنّ اعتماد التّحليل يكون أساسًا بالعودة إلى أولويّاته القبليّة a priori، وهذا ما يجعلنا نتوّقع حتمًا لواحقه ونتائجه البعديّة

a posteriori، وهنا يقع التّداخل التّام بين الرّفض والقبول بقياس المخزون الذّهنيّ الـذّي يُمكّن من التّحليل والتّأويل ليقـع تنظيمهـا لاحقًـا في سـجّل معقلـن يُـسيّر جدليّـة القـوى المتحرّكة التّي تعمل على ترتيب الصُّور وحفظها وتوظيفها حسب الفكـرة العامّـة المُـسيّرة لآليّات الصياغة والمُوجبة لجدليّة التّداخل بين عناصر التّصميم.

إنّ القارئ المتخصّص في مجال الطوابع البريديّة يجـد أنّ الإدراك الحـسّيّ وتطوّراتـه الذّهنيّة تُساعده على بُلوغ مضمون **العلامة التّواصليّة**، وبـذلك فهـو يتعـدّى مـن الرُّؤيـة والتطّلع إلى المُلاحظة ومنها إلى تكوين صياغة تفاعليّة تُعنى برصد صُور لاواعيـة وأخـرى واعية، فتُخزن الرُّؤى ويقع فرزها بوكيل وسيط Moderator agent يُوّظـف قـدرة الإنـسان الاستيعابيّة ويعمل على إرسال مفاهيم قارّة يتفاوت حُضورها حسب رغبة الإنسان وملكة حفظه، وهنا تتجسّد مُهمّة الصياغة بتنظيم مُختلف الإشكالات والفرضـيّات البـارزة حتّـى يستوعبها وبالتّالي يُنّظمها ويُسّجلها.

2.1. طبيعة الإدراك الحسّي لدى المُجمّعين الهُوّاة:

تتميّز طبيعة الإدراك الحسّيّ لدى مُمارسيّ هواية جمـع الطوابـع البريديّـة بـالتّركيز البُؤريّ focusing، وهي مرحلة يتفاعل خلالهـا جهـازيّ النـشاط الحـركيّ الـذّهنيّ والإدراك الفعليّ في الآن ذاته، كما يترأس خلالها الإنسان مراحل الإدراك من حُضور النيّة والقصد إلى الاختيار المُنّظم، فيقوم المتقبّل بإنشاء مقنّن codified a Construction ينطلق من ذاته إلى أن يفهم النوايا التّواصليّة، فيستوعب بذلك الخُـصوصيّة ويـصفها بالعُموميّـة والـشُّموليّة، وهنا يُصبح الاختيار قائمًا على الاكتساب ومضبوطًا بقواعد التثبّت القصديّ لتحديد شُروط القرار الاتّصاليّ الذّي يُسيّر وجهة المُجمّع ويُحدّد سُلوك اختياره.

تعمد آليّة الاختيار إلى تحقيق نيّة قصديّه تُحدّد توّجهات القراءة التّجميعيّة، فالإنسان عُمومًا يستند في قراره الاتّصاليّ إلى نوايا ذاتيّة أو عمديّه تدفعه في ذلك إلى تجنيد الدّوافع الغريزيّة الواعية واللاّواعية، غير أنّ المُصمّم على خلافه يسعى إلى تحقيق نوع من المُعادلة بين الأنظمة الصُّوريّة المتداولة ويبحث فيها حتّى يجد منطقيّةً واضحةً تربط عناصرها.

وهنا تتميّز حركة الإدراك بسعي الذات إلى تحديد موقع اختيّاراتها وضبط مُوازنة فكريّة تُرضي الذات المدركة، فيعمل الإنسان على دراسة مفردات الإطار الجماعيّ، ثمّ إنّه يلتقي مع الهُوّاة في عمليّة التّنظير لأجل تحقيق مسار بريديّ يُنّمي حركة البحث عن المنتج ويُطوّر بالتّبادل والتّراسل نسبة النشاط التّجميعيّ، وهنا بالذات ينطلق البحث من الفضاء العامّ مجمع الدّلالات إلى أن يجد موضوعًا يحتويه فيصنع تعريفًا يُحدّد to locate من خلاله موضع علاماته، ثمّ يُحوّل مفرداته إلى علامات استدلال وينتهي إلى استيضاح المسار الخطّيّ حتّى يرسم علاقة الإنسان بذاته وبالعالم من حوله.

يتلخّص الإطار المعرفيّ في احتضان المُجمعيّن واستقطاب تركيزهم وتدريبهم على التّحكم في العمليّة الانتقائيّة والتّنظيميّةthe selective and organizational process لأجل صناعة منظور ذي بعدين أو ذي ثلاثة أبعاد قوامه في ذلك المُقاربة البيانيّة والمُقارنة بين كُلّ ما هو مُتداول ومعروف، فالهاوي عادة ما تتكوّن لديه ثقافة بصريّة متطوّرة نتيجة الإطّلاع الواسع على مجموع الإصدارات البريديّة، كما تُنمّي هذه الهواية لديه رُوح المتابعة لإيجاد نقاط تلاق وتنافر بين ملكيّته الخاصّة وثراء العُروض البريديّة المتعدّدة.

ينأى المنطق الذاتّي لحركة التّجميع عن الخاصّ ثمّ يتمثّل بدوره في نصاب الشّموليّة، إنّه يُمثّل نوعًا من الجدليّة التّفاعليّة بين الأشخاص، إذ يتدخّل ضمن ظاهرة التّواصل حتّى يبني علاقات إنسانيّة ذات إطار معرفيّ وإداريّ

وتجاريّ مضبوط القياسات، وهنا نسترجع ما قيل عـن تركيبـة الـسُّوق وجدليّـة المُبـادلات وطبيعة التّفاعل بين الفئات والشّرائح الاجتماعيّة في القطاع البريديّ ممّا يضعنا أمام إيمان قاطع بأنّ الإدراك يُخضع الإنسان الفاعل في مرحلة نضج مُتطوّر من النظاميّـة Regularity والمنهجيّة Methodology.

هنا بالذات يُنّظم المصمّم اختياره التّصميميّ في نظام مقولب Moulded system فيحدّ من انسياب الذاتيّة وخصوصيّة الفرد ليُصوّر ثوابت صياغيّة لا تتغيّر بل إنّه يتقوقـع داخلها فهو صانعها، إذ أنّه صاغها في البداية فكرة وهميّة غامضة ثمّ ذاب في بوتقتها لأنّها أصبحت منظومة تعاقديّة تجمع أطرافًا وفئـات مُتفرّقـةً، وقـد يقـع الاتّفـاق حـول نـصّها لضبط تعاليمها فهي بمثابة حصانة لا يتنازل عنهـا لأنّهـا الإطـار الآمـن الـذّي يجـد داخلـه ملجأه ويستعيد من خلاله ثقته ويُنسّق معه أهدافه التّجميعيّة.

وهنا نستذكر ما توّصلنا إليه في الباب السّابق بأنّ التّجديد والاسـتثناء لـدى الهُوّاة المجمعيّن عادة ما يُقابل بالرّفض، إذ أنّ التّعاقـد الاختيـاريّ بـين الهُـوّاة والبريـد عـادة مـا يفرض التزامـات صـارمة تجعـل مـن الـصّعب أن تـنفض الـذات عنهـا قُـشورها وثوابتهـا، فتكشف عن عُمق شخصيّتها وتتفتّح على العالم الخارجيّ، وهنا نقف على قولة كريستوف أبراهم الذّي وصف الإنسان "بالصدفة المتحرّكـة" a shell mobility فهـو يتقوقـع داخـل اختيّاراته ويرسم ملامح تشكيلته غير أنّه ينتظم في مجموع اتّفاقيّات وشرائع تسنّ طريقة معاملته مع ذاته ومع الآخرين من حوله، وبذلك يتدخّل الهاوي بادئ الأمـر في إطـار مـن التّعاقد الاجتماعـيّ بإنـشاء قـصديّ فهـو يتعمّـد مُمارسـةً مـشتركةً تجمـع فئـات عُمريّـة واجتماعيّة متفاوتة غير أنّه يكتشف لاحقًا بأنّه يخضع لمنهج من السُّلوك ويُقـرّ طريقـةً في الممارسة يجد نفسه من خلالها داخل حركة تواصليّة مبنيّة على أُسُس وقواعد مضبوطة.

2. تطوّر آليّة الصّياغة المرئيّة:

قدّمنا في مُستهلّ هذا الباب مفهوم الإدراك الحسّيّ وخصصّنا بالتّحليل طبيعة مُفارقاته لدى الفئة المختصّة في جمع الطوابع البريديّة وحدّدنا طريقة تعاملها الإدراكيّ مع المُمارسة التّجميعيّة، ثمّ نحن عرّجنا على التّخطيط البريديّ الذّي يُقرّ بمشروعيّة الاتّصال المُتعمّد intentional communication الذّي يتطلّب تدّخل فئة بعينها تتكوّن من الهُوّاة المُجمعيّن وكذلك التُجّار المُهتميّن الذّين يضبطون نظامًا تعاقديًّا شفويًّا أو كتابيًّا قد يسنّ عادات الممارسة وطبيعة الهواية بما يضمن إقبالاً ويحفظ إرادات منتظمة ودوريّة بحسب مُخطّط الهواية الاستراتيجيّ.

ومن هذا المنطلق فقد تعرّضنا في الباب الأوّل إلى درس برمجة الإصدار والمواضيع المختارة والتّجديد المُحدث في استقطاب الهُوّاة الذّين تتركّز اهتماماتهم على اختيارات مُعيّنة تسعى إدارة البريد إلى تلبيّتها لضمان تنمية وارداتها التّجاريّة، ووفقًا لهذا التوّجه فإنّ بعث إصدار جديد قد اتّبع منهجًا تواصليًّا مُوّجهًا بحسب مقاييس السُّوق وفرضيّات المبيعات وحُدّدت بالتّالي مُواصفات الصّياغة المرئيّة باعتماد حركتيْ العرض والطلب.

اتّسع تسويق إصدارات البريد بما استوجب إلحاق فئة متّطلعة من المتلقيّن لأجل استقطاب هُواة جدد، وهنا عُمّمت الاتّصالات التّرويجيّة promotional communication وساهمت في توسيع طرائق البثّ وسُبل تنظير رسالة إعلاميّة تشمل جُمهورًا واسعًا مُستهدفًا وليس فئة بعينها، وبذلك تطوّر منسوب المبيعات البريديّة وسعت كلّ القوى للمُحافظة على حركة مُوجبة بين المستهلكيّن والمُهتميّن الجُدد، لذا فُرض نوع من الاستراتيجيا الاستخباراتيّة the intelligence strategy لتُحقّق تواصلاً إعلاميًّا ذا شموليّة وامتداد وحتّى تُؤمّن تقدّم عدد المُساهميّن في حركة التّسويق البريديّ.

وإن لم يكن على الأمد القريب فقد يكون من الجائز على مستوى الأمد البعيد أن تتبيّن الفئة العمريّة المهتمّة البالغة ثلاثين عامًا قياسات التّوزيع والصّرف، بما مفهومه أن مُرور الشّاب الهاوي إلى فترة كهل مُهتّم تُوجب تخطيط مسارات السُّوق على أمد زمنيّ ممتّد وتفرض ضرورة تطويع المفهوم القرائيّ وتدعيم الإقبال الاستهلاكيّ بما يضمن حركيّةً دائبةً ودائمةً.

1.2. خصائص الصُّورة المرئيّة في الطابع البريديّ:

تتنوّع توّجهات التّواصل الإعلاميّ لتُثبت حُسن اختيار طُرق الصّياغة التّي تُدّعم الأهداف التّنظيميّة والتّربويّة والثقافيّة بما يُناسب الإدراك الحسيّ ونوايا الذّات المتّقبلة، لذا اتّخذت الإصدارات اتّجاهات فنيّة مختلفة حتّى تُبلّغ المضمون المفهوميّ للطابع البريديّ، وتُحقّق بذلك حُسن التّفاعل مع تيّارات ومُصمّمين تختلف طريقة عرضهم التّصويريّ للمفهوم المجرّد، وما كُلّ ذلك إلاّ لكي تُلّبى فكرة التّصميم جميع الأذواق وتُوّظف أغلب القُدرات التّقنيّة والتّشكيليّة لتحقيق تنوّع يختلف في طبيعة الإصدار وأشكاله إلى حدّ بُلوغ صيت شائع وواسع في توزيع المُنتج والتّعريف به وطنيًّا وعالميًّا.

وهنا وجّهنا اهتمامنا إلى الصُّورة المرئيّة باعتبارها ركيزة أساسيّة لتحقيق أهداف التّواصل، فهي رسالة ضمنيّة تحمل في خلفيّاتها مَعان مُتعدّدةً polysemous وتخضع لذاتيّة التّأويل بحسب خُصوصيّة السّجل الاصطلاحيّ، إنّها تتألّف من بيانات تلميحيّة connotative data يُترجمها الرّمز والشّكل ويضطلع في عُمقها المضمون الذّهنيّ والمفهوميّ **للعلامة**، وهنا تتميّز الصُّورة بكونها مُتعمّدة للصياغة ومُصوّبة لجُمهور تُقدّر قياساته حسب ما تُمليه أهداف المُصمّم، فالصُّورة تُنّظم التوّقعات والمرّفهات وتستجيب إلى تطلّعات الجمهور وتُساير الرّغبات وتُلبيّ الاحتياجات إلى حدّ إيجاد رُدود فاعلة تخدم قيم الاستهلاك الفرديّ والجماعيّ.

تظهر الصُّورة بوصفها رمزًا إعلاميًّا تُسَخره أدوات تقنيّ مفهوميّـة techno conceptual tools، وهنا بالذّات تتحوّل الصُّورة إلى مجمع مُعقّد من العناصر الخطّيّة التّي تتفاعل فيما بينها حتّى تُوّلد بناء عموديًّا عامًّا يقـوم عـلى المقارنـة والمقاربـة المنطقيّـة، إذ تُفـضي أُولى مراحل الإدراك الحسّي إلى إنشاء موضوعيّ يضبط مفـردات التّـشكيلة الخطيّـة ويُخـضعها بالتّحليل والدّرس إلى تطبيق دراسة تأويليّة تعتمد المقارنة باعتماد تقنيّات المقاربة.

لـذا فإنّ مُستهلك الـصُّورة يقـرأ البنـاء التّـصويريّ ويـضبط نُظـم صـياغته ويحكـم قوانينه، فهو يتفاعل بمنهجيّـة تتـشابك خلالهـا عنـاصره ويفعـل فيهـا بخُـصوصيّة الـذات وذاتيّة الإدراك، وهنا ينتقل فعـل التّـصميم إلى حركـة ازدواجيّـة تخـدم فاعليّـة الـذات في الصُّورة وتـصف جدليّـة مفـردات التّـشكيلة في الـصياغة، فيُحقّـق التّـصميم نظامًـا مُقنّنًـا يضبطه مفهوم جذريّ مُقارباتيّ يربط الإنـسان بواقعـه وبمكاسـبه ليقـرأ العـالم مـن حولـه ويُفسّره بما يتجاوب مع طاقة استيعابه وقراءته للظواهر المرئيّة.

وهنا تتطوّر ملكة التّمييـز لديـه ليـستذكر مـا رسـخ بذهنـه وبـذلك تُـؤثّر الـصُّورة ومُعطياتها وطبيعة تصميمها على نشاطه التّفاعليّ حتّى تُحدث انطباعًـا تواصـليًّا يتطلّـب مُقاربةً بين المُعطى القرائيّ والمُعطى المُكتسب المُترسّب ثقافيًّا واجتماعيًّا، فالإنسان عادة ما يربط علاقاته بآليّات الذّكاء بين ما يكتشفه لأوّل مرّة وبين ما يكتسبه، فيتحوّل الإدراك إلى تحوير واقعيّ ويتجاوب الإنجاز التّصميميّ مـع الواقـع ليُحقّـق أكـثر فاعليّـة وجـدوى في تبليغ الرّسالة التواصليّة.

2.2. صياغة النّظام المرئيّ التّواصليّ :

عرضـنا في البـاب الأوّل الـضّوابط التّقنيّـة والطباعيّـة المعتمـدة في صـياغة التّصميم، وتناولنا عرض التطوّر التاريخيّ للمُفاعل الصّناعيّ ومراحل تمريـر المحمـل مــن الــصّياغة اليدويّــة إلى التّـصميم الرّقمــيّ التّكنولــوجيّ، ومــن ثــمّ درســنا

قيم السُّوق الاستهلاكيّة ومتطلّباتها لنُحدّد في هذا المستوى بالذّات إستراتيجيّا التّصميم ولنضبط الفاعل الرّابط بين الفعل والحركة لأجل تدعيم نصّ الإدراك والاستجابة لمتطلّبات الحاجة الاستهلاكيّة، وبذلك تتحدّد قيمة المُنتج وماهيته بحسب العلاقات الرّابطة بين الظواهر الاجتماعيّة وسُننه التّعاقديّة، فالإنتاج هو ردّ فعل خاضع subject reaction لا يتوّقف عند الإدراك الحسّي والذّهنيّ إنّما يتجاوزه ليرتبط جذريًّا بعلاقة الإنسان بذاته وبالعالم من حوله.

ومن هذا المنطلق عملت صناعة الصُّورة على إثارة الحسّ القرائيّ لدى الإنسان المتقبّل، فتميّزت الصُّورة بإحداث روابط منطقيّة تربط بين الحاجة الاستهلاكيّة ومركزيّة الإنسان باعتباره بُؤرةً مُحرّكةً للحاجة، وهُنا أصبحت الفاعليّة قياسًا مُوّجهًا للاستعمال وضابطًا يزن أعراف الجُمهور المستهدف وتقاليده، فالرّابطة العضويّة بين خاصيّة النّظام المرئيّ والنّظام الاستراتيجيّ تتطلّب توظيف الحاجة لتقدير طرائق الاستعمال والاستهداف، فيقرأ بذلك المصمّم المستوى النّفسيّ ويُحدّد طبيعة الإقبال الإنسانيّ حتّى يُحقّق بهذه القراءة القاعديّة مُرادفات التّصميم بشكل صحيح خاصّة إذا ما ارتبط بنائه على قراءة نفسيّة واجتماعيّة عميقة تنتهي في الأخير إلى حُسن رسم الإطار الشكليّ والمعرفيّ **للعلامة الصُّوريّة**.

هنا بالذات تقوم الصّياغة الفنيّة على روابط عُضويّة فتستقي زادها العلميّ من جُذور الطبيعة الإنسانيّة، وتُقرّ دوافع الاستهلاك وأهمّ المبادئ العامّة التّي تُبلوّر صياغة المنتج حتّى تكتب له مستقبليًّا إمّا التّوزيع التّسويقيّ أو الرّفض الجماهيريّ لعدم توافقه مع مُتطلّبات السُّوق أو لعجزه على دراسة فرضيّات الحاجة الاستهلاكيّة بالعُمق الواجب اتّخاذه.

وبالقياس وجب على المصمّم تشكيل عمليّة الإدراك الحسيّ الشّامل overall perceptual process ليُخضع من خلالها موضوع تصميمه لمستويات القراءة المحضة، فيُنتج تفاعلاً جدليًا بين ذاته المصمّمة الصانعة لمفهوم التّواصل وبين الفئة القارئة للمعلومة الإعلاميّة، وبذلك فهو سيعمل على تطوير كلا الإطار الهندسيّ والخطّيّ بما يُمثّل تحويرًا للشّكل التّقنيّ عبر تجزئة المشهد الخارجيّ المسّطح للعلامة الخطّيّة في تركيبتها النّهائيّة.

ومن هذا المنطلق يتّصف عمل الصياغة في الطابع البريديّ بكونه طبيعيًا إذ ينبع من عُمق الذّات المدركة حتّى تتفهّمه الذّات المتقبلّة بكلّ أريحيّة، وهنا يجب أن يتّسم الوُضوح القرائيّ بتركيب الرُّموز واستطلاع أبعادها بما يصنع بُعدًا جذريًّا يستدرك من خلاله عددًا من المخزونات الثقافيّة والمكتسبات المترسبّة حتّى يقوم المعنى على أساس المقارنة، فتُحدّد سمات بناء واضح للمُعطى القرائيّ المتداول بما يُماثل مفهومه المعهود.

وهنا تنتظم الرّسالة التّواصليّة حسب قابليّة النّظام النّفسيّ واستعداداته، فيُعادل المصمّم بين عناصر التّصميم لشدّ النّظر ويُحقّق تفاعلاً سريعًا لا يتجاوز ثلاث عُشر الثانية قبل استفاقة آليّات المنطق، وبذلك فهو يشتغل على مساحة زمنيّة متقلّصة يحرص فيها على تفادي رفض رسالة البثّ الإعلاميّ، ومن ثمّ تكون بداية الجذب الإعلاميّ بإتّباع المسار النفسيّ واستغلال مُعطياته، فيقع التّأكيد على خُصوصيّة الاستهلاك في شكل استدعاء لا مباشر، وبذلك يقوم البريد في الأخير بتنظيم برمجة سنويّة للإصدارات تطرح الاختيارات الموضوعيّة والقُدرة الشّرائيّة التّي تُترجم بدورها القيمة الاسميّة للمُنتج البريديّ، ومن ثمّ فهي تُحدّد الموضوع المختار بما يُوافق مطلب الهُوّاة المُجمّعين وتنتهي في الأخير إلى توظيف سُلطة الإصدار الإعلاميّ لخدمة المستهلك دون أن تفرض حوله حصارًا أو فعل ضغط أو إخضاع.

وفي نفس السّياق التّواصليّ يجب أن يُراعي النّص الإعلاميّ إمكانيّة المعارضة والاستنفار من المُقبل على الرّسالة الإعلاميّة، فقد لا يتجاوب المتّقبل مع معطياته أو أنّه قد لا يُلبيّ قناعات المستهلك أو التزاماته الاجتماعيّة، لذا وجب على المصمّم أن يتحكّم في آليّات البثّ المُوّجه بما يُناسب المعطيات العامّة للجُمهور المستهدف حتّى يضمن تَفاعُلاً حركيًّا مُوجبًا، فيُنّظم مفردات الصياغة بقياسات وضوابط تنتمي لأعراف المجتمع وتخضع لطبيعة قراءته وأُسلوب إدراكه، كأن يُراعي القائم على التّصميم العوامل الدينيّة والثّوابت الثقافيّة وضوابط التّقاليد والأعراف، لذا فإنّ بلورة الصُّورة الإعلاميّة هو عمل تأليفيّ للأشياء والأسباب والمتّغيرات التّي تُحيط بالذّات، فيُطوّع بذلك المُصمّم محور موضوعه بوصفه تمثيلاً ذهنيًّا يعكس مدى قابليّة الإنسان وطواعيّته ويُوافق بين عمليّات الاستجلاب والقبول الإدراكيّ.

3.2.ضوابط تصميم الطابع البريديّ:

ينفرد الطابع البريديّ في طريقة صياغته بمفاهيم تركيبيّة وتشكيليّة معقّدة، فالمحمل يلعب أدورًا وظيفيّةً متعدّدةً، فهو عمليّة بريديّة تتحدّد بقيمة اسميّة خلافًا لكونه رسالة تواصليّة لموضوع الإصدار، وزيادة على كونه أثرًا تشكيليًّا يحمل اهتمامات تجميعيّة، وهو في جُلّ وظائفه يستند إلى مصمّم مُختصّ يضبط سُنن صياغته وقواعدها وفق جدليّة التّفاعل التّواصليّ بين باثّ حامل لرُّؤى إستراتيجيّة ومُتقبّل مستهلك، وهما ينقسمان بدورهما إلى نوعيّن، أوّلاً مستهلك عاديّ يُقبل على المنتج ليُحقّق معاملةً بريديّةً وثانيًا هاو مُهتّم يُتابع عن كثب حركة الأخذ والعطاء في طُرق توزيع وترويج المحمل ألطباعيّ.

لذا فإنّ النُّهوض بميدان الطوابع البريديّة يبقى رهن التّصميم الذّي يُبلوّر المفهوم الذهنيّ ويُحوّله مادّة مطبوعة قابلة للتداول، "فالذّات المدركة القارئة لها وجهان الأوّل مُتقبّل والثّاني نشيط ومُوّزع، كما أنّها تستوعب المحتوى وتستثيره

في بناء أبعاد متّسعة"[1]، وبذلك يتمثّل العمل النّاجح للتّصميم في شحن مجموع هذه المفاهيم داخل هذا المحمل الصّغير لكي تُخضعه لقواعد الاتّصال المتعدّدة دون إحداث أيّ خلل منطقيّ بين الوظائف المُناطة بحملته، وكذلك دُون إثارة أيّ تداخل بين المفاهيم المُجرّدة مع تلبية شُروط العرض والطلب لكافّة أنواع المستهلكيّن.

غير أنّ المتأمّل في السّاحة الفكريّة يطرح السُّؤال التّالي، هل يقوم التّصميم الجيّد على الجانب الفنّيّ التّشكيليّ أم على طرح قرائيّ مُفصّل لجُزئيّات الموضوع ؟ وهنا يبقى الاستفهام منطقيًّا فنحن من عُمق معرفتنا نثق بأنّه لا تُوجد إجابة شافية لهذا السُّؤال، فالعرض التّصميميّ يبقى نسبيًّا "كما أصبح التّفاعل أكثر طبيعيّة وبديهيّة مع النّماذج الافتراضيّة ليُدعّم توّجهه نحو عمليّة التّصميم بالكمبيوتر باعتباره كُلاًّ خاصًّا ببنائيّة المفهوم"[2]، إذ يخضع لآليّة التّجربة التّي تسعى لأن تكون هادفة، لذا فهي تُجري عددًا من المُحاولات وتسعى من خلالها إلى أن تُحقّق توازنًا قرائيًّا مُحتملاً ونسبيًّا وذلك بالجمع بين جماليّة العناصر التّشكيليّة وتوازنها ودرجة توظيفها في أدقّ مُكوّناتها داخل أعمق مستو للمفهوم القرائيّ.

لذا فإنّ حُصول توافق بين المرئيّ والذهنيّ هو مآل عمل التّصميم المُتوازن والأنسب للتّوفيق بين المساريّن، وإذا ما استدرجنا مراحل الإدراك الحسيّ فإنّنا نُؤكّد على أنّ الأثر النّفسيّ يحصل فقط عندما تبلغ عين المدرك مرحلة من التّثبّت، فترصد مفردات التّركيبة وتُحدّد معالمها، وقد قاربنا هذا الاهتمام بشغف جامعيّ الطوابع البريديّة الذّين يشدّ انتباههم التّجسيد الدّقيق ويسترق نظرهم جزئيّات تنطلق من واقعيّة موضوع الإصدار، وبذلك تُبنى آخر مراحل الإدراك قصد إحداث مُقاربة قائمة على رواسب الاكتساب والتّلقيّ الانطباعيّ.

---

1. J. Wunenburger, (2001), *Philosphie des images*, France, Imprimerie des presses universitaires de France, page 84

2. D.g. Cheshire, Evans MA, C.J. Dean, (2001), *Haptic modeling an alternative industrial design methodology* ? UK. Proceedings, EuroHaptics, Birmingham

لكنّنا لا نستطيع إنكار أنّ عملاً صُمّم بصياغة مُعيّنة يجب أن يعتمد الوُضوح والقرائيّة، إذ يقوم حُضور التّشكيلة على المحاور المتداخلة المنظورة، وذلك بإحداث تقسيم عبر قطع الكتل الحجميّة cutting volumetric mass وتسوية الأبعاد وضبط المحاور الهندسيّة في التّركيبة، فيدرس المصمّم بذلك إمكانيّة تنظيم صُور التّعبير عن المفهوم ويُحدّد في مرحلة لاحقة مساحاته المرئيّة ونُظم فرزها وتبويبها.

ولمتأمّل أن يلحظ أنّ التّصميم يقوم على أبعاد منظور مختلفة، فبعض الطوابع البريديّة تمسح رُسومًا ذات بعدين وأخرى ذات ثلاثة أبعاد، وهنا تخضع عبر تقنيّة التّنفيذ مجموع المساحات المنظورة إلى أشكال متنوّعة من عُمق المنظور، حينها فقط يعمل المصمّم على تحريك الآليّات الحسيّة لشدّ نظر أغلبيّة متفاوتة من المُستهلكين والمُختصّين.

كما لا يُعدّ غريبًا أن تجمع الصياغة التّشكيليّة قراءات مختلفة للفضاء المنظور، وذلك بهدف تناول خصوصيّة شعوب متفرّقة، فالبعض من الشّعوب المتقبّلة لا تستوعب الفضاء المنظور الذّي يعمد إلى تشخيص مناظر طبيعيّة أو يُجسّد مواقع وآثار واقعيّة تتوافق مع إرثها الثقافيّ بما يصنع مشهدًا يتماشى مع فرضيّاتها المعرفيّة التّي حددّت مجال خيالها وحصرت آليّات تفاعلها في مساحات متداولة وأماكن متعارف عليها، في حين أنّ البعض الآخر من الشُّعوب يرى في التّجريد وإقامة الفرضيّات التّشكيليّة المتداخلة ما يُفضي بسُهولة إلى استيعاب مفهوم إدراكيّ ذي بُعدين، فهو أوّلاً يعتمد تشكيلة فنيّة لا تمّت للواقع بصلة، لكنّه يتطلّب ثانيًا صياغة ذهنيّة تقوم على مقاربة جدّية تجمع بين المُتماثلات الذّهنيّة، وبذلك تتدخّل كُلّ هذه المُطارحات لتحديد اختيارات المصمّم وذلك بتجريد الماهية وإحداث معان مزدوجة إمّا في فضاء منظور واقعيّ أو في فضاء خياليّ تنظيريّ.

ومن ضوابط التّصميم هو المُحافظة على توازن مفردات التّركيبة مع الحجم النّهائيّ للطـابع البريـديّ، فالمـصمّم يُقـيم تـشكيلته عـلى قياسـات تنظيريـة أساسـها التّعمـد premeditation لتحديد قياس الأشكال وتكبير أحجام الجزئيّات وإيجـاد تـرابط منطقـيّ بينها، ومن ثمّ تتركّز التّشكيلة بقياس الامتلاء والفراغ بهـدف تحقيـق لحمـة عُـضويّة بـين الأجزاء لذا تُوّظف عناصر النصّ وتتشكّل الأحجام وتُشخّص الحُروف وكذلك تُساق الألوان لحُسن المُحافظة على اعتدال وتوازن التّركيبة.

وهنا يُقيّم تطوّر الإدراك على أنّه منفـذ حقيقـيّ لتحقيـق فكـرة التّـصميم، حينهـا فقط يُقيم المُصمّم مُقارباته حول المنظور المرئيّ بـأدوات تقنـيّ حـسيّة techno sensory tools فيقع تمييز المساحات وتفاضلها فيما بينها بالمُقارنة والتّعديل، وهنـا بالـذات تعمـل القـراءة بالمقاربـة the comparative reading عـلى التجـوّل في المـادّة الخطيّـة فتُرصـد الخُطـوط والإطـارات والأشـكال ونتطلّـع في الأخـير إلى قـراءة واضـحة في المنعطفـات والمنحنيات ومقارنتها ومقاربتها، فنُعاين بذلك المساحات الظاهرة والأجزاء المتباينـة حتّـى نتهيّأ تدريجيًّا إلى مرحلة جازمة من التّأويل والتّفسير.

في هـذا المـستوى بالـذات تـنتظم مُفـردات موضـوع الإدراك فنُـصوّبه بعيـدًا عـن الضُّعف الحسّيّ ونُجسّده تلقائيًّا بالمطابقة والتّماثل والتّراكب، لكي تلتئم في الأخير كُلّ هذه البيانات عبر التّركيب التّجميعيّ associative montage فيستعدّ المصمّم شيئًا فـشيئًا إلى إقامة نوع من التّواصل قصد حياكة الرّسالة المرئيّة المُصوّبة نحو المتّقبّـل، وبـذلك تتجـاوز النّفس المتقبّلة والذات المصممّة فرضيّات التّركيب لتتدخّل عبر آليّات الإرشاد المنطقـيّ في عُمق فضاء التّشكيلة الشّاملة لكلا النصّ الإعلانيّ **والصُّورة العلامة**.

وإلى جانب كلّ هذه المُعادلات بين المادّة والمحتوى يلتزم التّصميم بالتّحديد والتّفصيل والتّجزئة فيتحاشى بذلك النمطيّة، ويتجاوز فعليًّا مفهوم الرّتابة، ثمّ إنّ المُصمّمين قد سعوا في الفترة الأخيرة إلى إيجاد روابط متجذّرة بين التّصميم والواقع الذّي يستمدّون منه مادّتهم، غير أنّ التّجسيد قد ساق المماثلة بين الرّسم والواقع لأجل مُقاربة ما هو مدرك بما هو متّفق عليه اجتماعيًّا وإنسانيًّا، فتطوّرت الصياغة من تجريديّة المفهوم إلى ربطه بالواقع الحيّ المُعاش، وذلك بابتكار رموز وإيحاءات بحسب تشخيصات المصمّم ذاته، فوقع أخذ الكثير من علم **العلامة والدلالة** واعتمدت بلورة الصياغة على تحويل المستندات إلى مُفارقات في الشّكل والحجم، كما سعى المصمّم إلى تنظيم المنهج القرائيّ وتجديده بما يضمن تنوّع إخراجه بحسب قانون الإنشاء ألقصديّ.

أمّا في مرحلة آتيّة فإنّنا نجد التّصميم قد جاوز التّمثيل التّشخيصيّ وحافظ على التّجريد النّظريّ بأن صنّف منحى الخُضوع إلى آليّة التّقنيّة وموضوعيّتها، فالأداة تتحكّم في الصياغة وعلى المُصمّم تفهّم ضوابط النّسخ ألطباعيّ وفرائضه تفهمًّا تامًّا، ومن هذا المنطلق ساق المجال التّكنولوجيّ الصّناعيّ حركيّة فاعلة لا تفتأ تطرح تجديدًا في المناولة وتُثير في طرق الصّياغة بإتباع مُستجدّات التطوّر التّقنيّ التّي تُؤثّر فعلاً وتُغيّر في سياق المشهد القرائيّ للطابع البريديّ.

وليس من قبيل الصدفة أن ينحى هذا التّطوّر التّكنولوجيّ منحى تحقيق دقّة نقطيّة عالية وجماليّة في الانطباع والإخراج بفضل الطباعة الرُّباعيّة التّي حقّقت تجاوبًا مُوجبًا لتلبية طلب المُزوّديّن والهُوّاة، غير أنّ المسارات المستحدثة فرضت استعمال صور فوتوغرافيّة واعتمدت أشكالاً وأحجامًا متنوّعةً غيّرت في طرائق صياغة التّركيبة التّشكيليّة وشدّت نظر مُستطلعيّها لاكتشاف عمل يخرج في غالبه عن التعوّد ويُحاول دائمًا كسر النمطيّة والمألوف حتّى "أنّ شبكة المعلومات ستُحاول في النّهاية إحداث نوع من التّكامل بين مُثلّث النّاس

والتّكنولوجيا وطبيعة الأعمال فيتّخذ الأداء نمطًا جديدًا يرتقي به نحو الأفضل"[1]، وبذلك استحثّت المبيعات تنوّع الإنتاج ونمّت حركة التّسويق التّجاريّة ودفعت إلى الالتزام الدائم بسياسة لا إفراط ولا تفريط، كما أنّ التّنوّع التّراكميّ منع حُصول نتائج سلبيّة كلّما حدث تضخّم في المادّة المنتجة أو حتّى عند قيام أيّ تفاوت في القدرة الشرائيّة أو إذا ما تمّ الإكثار في كمّيات الإصدار.

4.2.التّطوّر التّكنولوجيّ يُؤثّر في الصّياغة المرئيّة:

لقد أوضحنا أنّ التّركيب التّجميعيّ هو مُوازنة صياغيّة بين المفهوم الذّهنيّ المجرّد من جهة والتّركيبة التّشكيليّة لمحمل الرّسالة التّواصليّة من جهة أخرى، إذ يقوم العمل بتأليف علاقة مباشرة بين الفكرة والمادّة في تقارب قرائيّ وصفيّ قادر على أن يُمرّر المعلومة لأيّ قارئ مهما كان حُضوره الذّهنيّ ودرجة معرفته وإلمامه بنصّ الرّسالة الإعلاميّة، إنّها عبارة عن مفاهيم إضافيّة تُمنح لعناصر لا ترتبط بجدليّة منطقيّة، فيُسجّل هذا الحُضور الاستثنائيّ مفهومًا مرّكبًا يقوم بتجميعه المصمّم في إطار عمليّ تواصليّ لأجل تحقيق هدف تفاعليّ بطريقة منطقيّة ضابطة للمسار الخطّيّ.

استمدّت عمليّة التّجميع التّركيبيّ في بدايات التّصميم حُضورها من القدرات المهنيّة والمهارات الفنيّة والإمكانات الطباعيّة، غير أنّ المرحلة الحاليّة قد أقرّت أساليب إنجاز حوّرت في طُرق الصياغة وفي أشكال التّصميم وأصبح بالتّالي الإحداث الآليّ أمرًا مُرتبطًا جذريًّا بالإمكانات التّي يُقدّمها التّطوّر التكنولوجيّ والتّي مافتئت قابلةً للتّحوير والتّغيّير، ففي البداية استهدف التّصميم الرّقميّ تكنولوجيات الصُّورة وحاول القيام بمسح آليّ للأعمال الفنيّة اليدويّة، وفي هذا الصّدد اكتفى ألطباعيّ بالأخذ من مبادئ الصّياغة التّصميميّة بقراءة

1 . محمّد بشير أبو الحجاج، مقالة أوّل مفاتيح النّجاح في بناء وتشغيل الشبكة، مصر، الأهرام، مجلّة لغة العصر، 2009.

الرُّسوم ومسحها بوصفها معلومات رقميّـة تتحـوّل تـدريجيًّا في شـكل بيانـات إلى الفـضاء الافتراضيّ حتّى تنتهي آخر الأمر خارج المساحة الآليّة فتُطبع وتتحوّل إلى مادّة حبريّه تُمثّل المثال الطّباعيّ القابل للفصل اللّونيّ حسب قانون التّجزئة الرُّباعيّ.

وعنـدما تأمّلنـا التّطـوّرات التّقنيّـة وبحثنـا في تبنّـي التّـصميم ألمعلومـاتيّ للرُّسـوم الرّقميّة، انتهينا إلى أنّ الحركة الإنجازيّة قد بلغت مستو عال من إمكانيّـات تنظـير الرّسـم ألاتجاهيّ وتحويله إلى صُورة ذات تعداد مزدوج، وبذلك تحوّل مفهوم الإخـراج التّـشكيليّ من طبيعة الرُّسوم المائيّة والجافّة إلى مادّة الكترونيّة مُحدثة تضبطها آليّات رقميّـة تُحـدّد معاييرها وقياساتها بتقنيّات متطوّرة جـدًّا، وانتقـل بالتّـالي الرّسـم ألاتجـاهيّ مـن تحديـد الأحجام وتقـسيم المـساحات المظلّلـة والمـضيئة إلى تجـسيد داخـل الفـضاءات بمـا يُـوازن المنظور العامّ للفضاء الافتراضيّ حتّى يتطابق مع آليّات التّجسيد الواقعيّ.

لقـد حقّـق الاختيـار الرّقمـيّ نُقلـةً نوعيّـةً في المُعطـى المـرئيّ القـرائيّ، فالمُمارسـة التّطبيقيّة للعمل اليدويّ شغلت الورقة مـن البيـاض الحيـاديّ إلى حـدّ التّعبئـة والامـتلاء، ففي حين كان التّراجع في القرار التّنفيذيّ للفعل التّـشكيليّ اليـدويّ مـن قبيـل الاسـتحالة حقّق المـسح الرّقمـيّ اليـوم تـدرّجًا واضـحًا في مراحـل التّعبئـة والانتقـال مـن الفـراغ إلى التّغطية الشاملة بمُراوحات معتدلة من التّراجع والتّقدم على حدّ الـسّواء، وبـذلك تمكّنـت هذه السلاسة التّقنيّة والطواعيّة من تحقيق إنجاز تشكيليّ مرن في الفضاء الافتراضيّ ومنـه إلى إتاحة تجزئة واضحة للعناصر المركّبة تُمّكنّنـا مـن إحـداث تـدخّل فـوريّ ونـسبيّ متـى اقتضت الحاجة الرُّجوع إلى التّعديل والتّنقيح.

إلاّ أنّ هذا الأمر كان غير مُمكنًا إطلاقًا في التّشكيلة اليدويّة إذ يتطلّب التّصحيح في غالب الأحيان تحويراً كُلّيًا للمساحات الملوّنة وبالتّالي يفترض إعادة الأثر الفنّـيّ مـن أوّلـه، وهُنا لا يخفى علينا بطبيعة الحال ما تُـوّفره لنـا هـذه التّقنيّـة الرّقميّـة مـن قـدرة عـلى الـتحكّم في الوقـت وطُـرق الإنجـاز ومـا تُقدّمـه مـن إيجابيّـة في تقلـيص زمـن المعالجـة والتّصحيح.

وليس غريبًا أن ترتقي آليّـات التّقنـيّ-حـسيّة لتُحقّـق تعـديلاً مرئيًـا مُتوازيًـا مـع مراحل الإنجاز، فالعين تتحاور مع المساحة القرائيّـة الرّقميّـة في تفاعـل جـدليّ قـائم عـلى قواسم مشتركة من الأخذ والعطاء حتّى تُخضع منظورها لمنطقيّة الأبعـاد وترتيبهـا، وهـي تعتمد تقسيمًا تقنيًّا يفصل بين مفردات الصُّورة ويُطوّعهـا لعـدد منـتظم مـن الاختيـارات حتّى يدرس المصمّم توزيع مُماثلات الإضاءة والظـلال بـصفة تشخيـصيّة تنقـسم إلى كلتـا التّجسيد الواقعيّ أو التّجريد الذّهنيّ فيـستقيم ميـزان التّفاعـل المـرئيّ الإدراكّي، وتتـداخل بذلك المُمّوهات لتحقيق مُتمثّلات خياليّة هي في الحقيقة لا تمّـت للواقـع بـصلة، غـير أنّ التّشكيلة الخطّيّة تعتمد بالأساس على قواسم التّكنولوجيا المعاصرة حتّى تُعبّر عن الماهيـة التّشكيليّة وتتحوّل بالذات من جدليّتها مع مُحيطها إلى عرض تقاسيم هذا الفـضاء المُقـنّن افتراضيًّا.

يتميّز الإدراك في مستو إنسانيّ عال بالتّفاعل الحادّ والانطباع الـسّريع في حـين يتحـدّد في المجال التّكنولوجيّ بـالتّمحيص والتعمّـق الـدراسيّ لإيجـاد علاقـات عـضويّة بـين الأشـياء وفهـم الصياغات المبرمجة وتحقيق نوع من التّفاعل المتأنّي مع مراحل الإنجاز الرّقميّ وذلك باسـتخدام آليّات التّنظير والتّعديل، ويقول في ذلك نيل زيراوسكي Nils Zurauki "فهي تتطلّـب نوعًـا مـن التّنظيم الذّاتيّ في شكل علائقيّ حتّى تُؤثّر في الجماعات المحليّة ومجتمعات ما بعد الانترنـت أي

المجتمعات الطّبيعيّة"[1]، ففي العمل اليدويّ يُرّكز المصمّم فعله التّشكيليّ على أدواته وأقلامه وألوانه في حين يتعدّى في مرحلة الإنجاز الرّقميّ إلى تمرّس البرمجيّات التي تُؤمّن صياغة الصُّورة فتختصّ كلّ واحدة منها بخُصوصيّة تتفرّد في إنجازها، ثمّ إنّ الرّسم ألاتّجاهيّ مثلا يقوم على برمجيّة أدوبي إليستارتو في حين أنّ التّركيبة النصيّة تنتظم على برمجيّة انديزاين، والفرق أصبح واضحًا بعد أن كان العمل التّشكيليّ يُصاغ على نفس المحمل فقد تحوّل اليوم إلى إمكانيّات ومهارات رقميّة واسعة تتفرّع من برمجيّة لأخرى.

وهنا يُطوّع المصمّم في الحالتيْن آليّات فعله ليخدم هدفه القرائيّ فهو القُطب الفاعل the reactor pole في المعاملة الاتّصاليّة، ففي حين يبقى المتقبّل مُحافظًا على إدراكه الحسّيّ بمُراجعة رواسب ثقافته وتاريخه وانتماءه، يُخضع المصمّم جُلّ مفاعلاته للسّجل الحركيّ النّفسيّ Log psychomotor الذّي يتحكّم في منهج تصميمه وفي طُرق صياغته، ومن المفترض أن يتدخّل فعل التّصميم كذلك في تقرير نصّه القرائيّ بأن يتفهّم آليّات الصّياغة الرّقميّة أو اليدويّة، كما أنّه يعمل على بلورة تصميمه لأجل تحقيق التّزامن synchronization بين القصد وطبيعة الإنتاج على المُستوى التواصليّ، وكذلك يجب أن يُوازن بين القصد وآليّات الصياغة على المستوى ألإنجازيّ، ثمّ إنّ تحقيق هذه المُعادلة الزّمنيّة تُنتج إحداث ردّ فعل مُوجب من المتّقبل وهو مآل المُقاربة التّواصليّة.

3. تطوّر إدراك المنظومة الرّقميّة:

طوّر الإنسان فعل الخلق وابتدع وسائل عدّة ليتعدّى بفكرة الصياغة من التّفكير إلى حيّز الفاعليّة، "إنّه في أيّ أيقونة لا يُوجد شيء يُرى، إنّما صُنع هذا الفضاء ليخضع لحركة النّظر فقط، إنّه يتحفّز حتّى يبلغ الفراغ ليُحسن إيقاع

1.Nils Zurauki, (1999), *Among the internautes notes from the Cyberfield*, Cybersocilogy, www.cybersociology.com

الصّدى الصّوتيّ[1]»، وبذلك فالمصمّم يسعى إلى تكييف الوظيفيّة في إطار تكنولوجيّ فيُرَتّب عددًا من الأنظمة الصّناعيّة المُجديّة جدًّا والمُربحة للوقت حتّى تُوافق خُطّته الإنتاج والإنتاجيّة، غير أنّ المُقاربة في الصّياغة الرّقميّة تتطلّب تجريدًا وتحويرًا في المادّة لتُشكّل مثالاً لا واقعيًّا يفرض عددًا من المهارات التّقنيّة ليُحقّق فاعليّة إنجازيه ويضبط مقياسًا يُوازن بين الذات المدركة وآليّات الفعل التّي جُهّزت بدورها بضوابط قياسيّة تُوازن حركة الإنسان وجسمانيّته.

هنا يقوم البحث التّطبيقيّ بتحديد المُقاربة السُّلوكيّة للإنسان ومدى تفاعله مع الآلة ومن ثمّ يُقحم الفعل التّصميميّ في حركة الإنجاز الصناعيّ، وأخيرا يُوّظف علاقة التقبّل بين الإنسان مُترئس الابتكار التّكنولوجيّ والرّسالة الإعلاميّة من حيث هي نصّ يُحقّق التّجاوب التّفاعليّ بين الفكرة المُجرّدة وسُبل المطابقة الاتّصاليّة.

1.3. ازدواجيّة الإنسان بالآلة:

تصّفحنا مراحل التطوّر التّقنيّ في الباب الأوّل وخُضوع الإنسان إلى فُروض الآلة حتّى أنّه يتحوّل من ذات فاعلة تختار أدوات صُنعها إلى ذات مفعول بها تتأثّر طوعًا بالتطوّر التّكنولوجيّ، يقول في ذلك فاندام أندريس Van Dam Andries "أعتقد حقيقةً أنّ مُستخدم الواجهة الحاسوبيّة يجب أن يكون مُتيقّظًا، وأن يلمح الفرق بين ما يُريد الحاسوب فعله وقانون قيامه"[2]، فالإنسان بادئ الأمر يُواجه رتابة الإنجاز ألطباعيّ ويُفكّر في الاستعانة بآلة تنأى بالفعل الإنسانيّ وتدعوه إلى التّقدّم والرُّقيّ.

1.Marie José Baudinet, (1983), *Economie et idolâtrie dans la crise de l'iconoclasme byzantin dans image et signification*, France, la documentation française, page 187

2 . *Andries Van Dam*, (2001), *User interfaces: disappearing, dissolving, and evolving*, Communications of the ACM; 44(3): page.50-52

لذا فمـن الـسّهل أن تُوكـل بعـض وظـائف هـذا الجهـاز ذي التّركيـب المُعقّـد إلى فرضيّات تُبرمج حَركـةً مـضبوطةً تتحـدّد بمنهجيّـة نمطيّـة، فتُطـوّع سلـسلةً مُنتظمـةً مـن المراحل الصّناعيّة في إطار من الشّفافيّة والوُضوح التّعامليّ، يصفها روبـن هامـان Robin Hamman على "أنّها شكل جديد من المغامرة الذّاتيّة والنّوعيّة"[1]، فالإنسان ينـيط بالآلـة خدمةً أو هدفًا ويقوم بتأسيس نظام علائقـيّ متكامـل معهـا، لكنّـه قـد يكـون جُزئًـا مـن المفهوم العامّ لصياغة التّصميم غير أنّه يُوكـل لهـذه الأداة تحقيـق حلقـات منتظمـة مـن مُداولاته الخطّيّة.

إذا من المُحتمل بادئ الأمـر أن تـستجيب الأداة للإشـكال الخطّـيّ المطـروح، فهـي تُحدث ارتداد الحاجة الاستهلاكيّة من حيث تفاعل الإنسان بآلتـه، "إنّنـا نحتـاج لواجهـات تُوّفر مُستوّ عاليًا من التّجريد مُوّجهة أكثر للإعـراب عـن نيّتنـا عـلى ضرورة عـدم إصرارنـا بالتّحكّم في كُلّ ذرّة مكوّنة للتّفاعل"[2]، فالأداة تخضع إلى قائمـة شُروط وتـضبط مُواصـفات الموضوع بما يُوازي الاحتيّاجات الإنسانيّة وتُواكب في الآن ذاته تجدّد المُعطيـات الـصّناعيّة والآليّة.

ثمّ ليس غريبًا أن يُجهّـز الإنـسان آلتـه بهـدف إنتـاجيّ حـسب برنـامج تتخلّلـه قياسـات تُناسب حركة أعضاءه وقدرته الاستيعابيّة وإمكاناته المرئيّة، وقد يُجزأ الإنسان سلسلة أعماله على مراحل من المهارات الإنسانيّة المتفاوتة، "تُرسل حزم الإرسال متعدّدة البيانات عبر مجموع أجهزة طرفيّة لتُحدّد عنوانًا لهـا بطريقـة تجعلهـا قابلـة لعمليّـات التّحويـل المتـزامن"[3] فالإنتـاج يتطـوّر وتتوزّع الأهداف التّصميميّة وفق برمجيّات تعتمد قُـدرات إنـسانيّة مختلفـة "فانقـسمت بـذلك

---

1 .Robin Hamman, *The application of ethnographic methodology in the study of Cybersex*, University of Liverpool, Dept. of Communication Studies

2 .Andries Van Dam, (2002), *Experiments in Immersive Virtual Reality for Scientific Visualization*, Computers & Graphics 26 535–555, page 539

3 . محمّد بشير أبو الحجاج، مقالة أوّل مفاتيح النّجـاح في بنـاء وتـشغيل الـشبكة، مـصر، الأهـرام مجلّـة لغـة العصر، 2009.

المُداخلات لستّة أنواع أساسيّة هي التّكامل والتّكرار والتّكافؤ والتّخصّص والتّزامن والنّقل"[1]، وبذلك يتحوّل الفعل إلى أجزاء تتفاعل فيما بينها لتُصيّر مُخطّط التّصميم فعلاً جماعيًّا تتناوب حوله الطاقات البشريّة لإنجاز إنتاج متكامل.

تُطوّع استراتيجيا تفاعليّة an interactive strategy الإنسان داخل مُحيطه الإنتاجيّ، وهنا تترأس الآليّة الإنسانيّة الفعل وتبحث الذات المُبدعة عن دلائل داخل مجالها الإبداعيّ الحُرّ والمُقيّد والمُحدث معًا الذّي لا يُحدّد بمُعطى ولا ينضبط بقواسم، فتتحوّل فكرة التّصميم بالتّعبير الصّناعيّ إلى آليّة مرّتبة ترتكز وفق قاعدة تنفيذ واضحة المعالم لا تحتمل الاحتمال ولا حتّى التّفلسف، إنّما تخضع كُلّيًّا إلى نمطيّة إستراتيجيّة متّسعة الرُّؤى مضبوطة الاحتمالات، وهنا يظهر الاختلاف جَوهريًّا بين ذات حرّة مُنطلقة في طاقاتها الإبداعيّة وبين صياغة آليّة منضبطة تُعتبر جُزءًا لا يتجزّأ من فكرة التّنفيذ الإنتاجيّ المنضبط والمدروس.

الآليّة هي حقًّا نموذج عن فكرة يُشخّصها الإنسان لقضاء حاجة استهلاكيّة تتحقّق بالإرادة الفاعلة للذات المدركة، لذا تُعتبر الحاجة وليدة للرّغبة، كما لا تتأخّر حُدود الرّغبة عن الشّوق إلى الحاجة الإنسانيّة المتزايدة والمتواصلة، لذا ما يفتأ الإنسان يستند إلى إدراك حسّي نفسيّ يُساعده على استيعاب مُتطلّبات العالم من حوله، فيُغيّر لديه مقادير الاستهلاك ويُنوّع عنده خصائص المنتج وطبائعه، وبالتّالي يُصبح قادرًا على تهيئة أرضيّة الصّناعة الخطّيّة التّي ستتطوّر طوعًا بقياس غُلّو رغبات الإنسان وحاجاته الاستهلاكيّة.

1 Jean Claude Martin, (1998), *Theoretical framework and software tools for multimodal interfaces*. In: Lee J, editor . Intelligence and multimodality in multimedia interfaces AAAI Press, page 850.

وهنا سيُفلت القطب الفاعل نصاب تحكّمـه عنـد صـياغة المـادّة الـصّناعيّة إذا مـا عجز على تلبية مُماثلات ذهنيّة غريبة عنه، غـير أنّهـا تنتمـي في الآن ذاتـه إلى احتيّاجـات إنسانيّة مُوازية قد يكون عايشها عبر التّجربـة إلاّ أنّـه سـيبقى دائمًـا يعمـل عـلى تحقيـق تجاوب موضوعيّ مع كلّ مُستجدّات الهياكل الاجتماعيّة المتقبّلـة، وفي هـذا الـسّياق فـإنّ صانع التحوّل الآليّ لا يستغرب سُرعة تطـوّر أداتـه لكونـه يتلّـبس ذات الإنـسان المتحرّكـة والمتحوّلة معًا، لذا فهو سيعمل على ترجمة الاستحداث التّكنولوجيّ وفق طبيعة الإنـسان المتّغيّرة حتّى يُعبّر على علاقته الوطيدة بالتطوّر الآليّ وبسُرعة المتغيّرات من حوله.

لكن لسائل أن يسأل بعد عرضنا لعلاقة الاكتشاف بين الإنسان والآلة، كيف ينتقـل صـانع الآلـة ومُحـرّك النّـوازع الإنـسانيّة ومُـصوّرها مـن أداة رقميّـة إلى أنمـوذج خاضـع لمُتطلّبات التّطوّر التكنولوجيّ ؟ فالإنسان يُصبح فاعلاً ومفعولاً بـه في الآن ذاتـه، فبعـد أن أقام تجهيزات تُلبيّ احتيّاجاته أصبح مُرتبطًا لصيقًا بمُـستوى فاعليّتهـا، وهنـا تطلّـب فعـل الإنجاز والتّصميم تغيّيرات جذريّة وتنقيحات إصلاحيّة مـن الواجـب أن يُحـسب حـسابها قصد تطوير مبادئ الصّناعة الخطّيّة المحدثة.

ونحـن لا نـستغرب الأمـر إذا مـا عرفنـا أنّ الـصّانع والمُـصمّم يختلفـان مـن حيـث الحُضور الإنسانيّ ولا يُمثّلان نفس الشّخص، وهنـا نجـد المـصمّم قائـدًا ومُتطلّبًـا للإحـداث الخطّيّ يسعى لأن يُماثل مُتطلّبات مُتقبّل الرّسالة الإعلاميّة، في حين يختـصّ الـصّانع بفهـم المُمارسة الفنيّة وخاصيّة الإخراج اليدويّ ليفتح بينه وبين آليّات التّكنولوجيا معابر تُطـوّع تجهيزاته وتُوافق مُهمّة المصمّم فيُطابق بذلك شُروط التّصميم وأشكال عُروضه.

ويُعتبر حقًّا التّصميم **إستراتيجيّة إجابة** تستجيب لمُتطلّبات مُستهلك عاديّ كما تعتمد على أدوات منهجيّة وتضبط الطريقة الخطّيّة المُثلى لرسم مُخطّط واضح يُنمذج من خلاله الصّانع المادّة حتّى يُنفذ مقال مفهومه، وبالتّالي تحوّلت الصّياغة التّواصليّة إلى طرائق صياغيّة تُنظم وتُسطر مُخطّط التّصميم عبر فضاء افتراضيّ مُجهّز بأنظمة فاعلة، وهنا بالذات تُصبح المادّة الإعلاميّة منظورًا رقميًا مُتحرّكًا وفاعلاً في نفس الوقت، إذ تُحدّده شاشة العرض وجهاز التحكّم والفأرة وتُترجمه مُباشرةً إلى حالة من الإنتاجيّة المُوجبة فتتوالد حينها الفكرة المُجردّة إلى أن تتشكّل وتُصبح مَادّةً ملموسةً.

إنّ الإنسان المُصمّم هو ذات إنسانيّة قبل أن يمتهن التّصميم، كما أنّه يتعلّق "برُوح الفنّان وقدرته على معانقة اللاّنهائيّ"[1]، ولقد أكّدنا سابقًا على أنّ التّكنولوجيا هي فعل جماعيّ خاضع للأداة يُترجم نوازع ومطالب نفسيّة مُعقّدة، لذا فليس بشرطه أن يكون المُصمّم هو الصّانع بل إنّ المُصمّم هو المُحرّك الحقيقيّ لفعل الصّناعة الخطّيّة بقصد تنفيذ الفاعليّة الخطّيّة وجدواها.

لذا تُعتبر مُباشرة الآلة كذلك هي مآل بحثنا فالإنسان يُواجه مجهولاً، وحقًّا يكتسي هذا الجهاز الإليكترونيّ صبغة تعامل استثنائيّة تجعل الإنسان يتفاعل تجاهها بشيء من الغرابة والاستفهام، لذا تتطلّب الآلة مُداخلةً افتتاحيّةً عسيرةَ المنال بهدف تسهيل استخدام البرمجيّات المُسّجلة على أنظمة الحاسوب، وبذلك تعتمد هذه المُمارسة الآليّة نوعًا من المعرفة المتدرّجة لاكتساب المراحل المنهجيّة وإدراك أرضيّة البرمجة ومُباشرة صياغة التّصميم.

1.Paul Jean, (1963), *Quelques « Jus de Tablette » pour les messieurs* dans Romantiques allemands, Gallimard, la Pléiade, TI, page 1475

وهُنا ليس غريبًا أن يتطوّر جهاز الإدراك الحسّي لدى المُصمّم بشكل مُخالف للإنسان العاديّ المتقبّل لاستيعاب فرضيّات مُحيطه الآليّ، وهنا يرى هانز-جورج جادمير Hans-Georg Gadamer بأنّ القراءة مثلاً هي "فكرة تواصليّة لترجمة إدراكيّة"[1]، وكذلك الفضاء الرّقميّ فهو عالم متحرك يحتكم لمنطقيّة تسيّير مضبوطة ويعتمد منهجيّة من العناصر المتحرّكة والبرمجيّات التّي تُحصر في الأخير داخل شاشة حاملة لبُعدين، وهي تحمل بدورها عُمقًا قرائيًا ومنطقيّة مُفاعلات اليكترونيّة ثُلاثيّة الأبعاد، وهنا تفرض كلّ هذه المراحل اليدويّة أدوات بأحجام متفاوتة من طاولة تشميس وأقلام ومساطر وفرشاة تلوين وغيرها ممّا يحتاجه الرّسام المُصمّم لتنتقل بدورها إلى فضاء **الرّقم** أين تُعكس في غالبها داخل شاشة العرض حتّى تُوّفر جميع المُفردات اليدويّة وتُترجم رقميًا جميع مراحل الإنجاز.

وفي هذا السّياق بالذات يتحوّل التّصميم فيُصبح منظورًا افتراضيًا لا ملموسًا، إذ نحن نُدركه ونُقدّمه بوعي شديد لتقييم مُعطيّاته وانتهاج المسلك المُفضي إلى قانون صياغة المفهوم، ومن ثمّ فنحن نُنّظمه فيما جاء قبله وما جاء بعده، كما نُقحمه في صيرورة زمنيّة فاعلة ليُصبح بذلك فعل الإنجاز فعلاً صريحًا يتميّز بحُسن التحكّم في زمنيّة الفعل وضوابطه، إنّنا نقوم بكلّ ذلك قصد مُعالجة الصياغة قبل استنفاد مراحل الإنجاز وبعدها وعند حُدوث أيّ اختلاف في الرُّؤى القارئة والمُميّزة لطبيعة التّصميم، وهنا تُصبح قراءة المفهوم الاتّصاليّ أكثر سلاسةً وطواعيّةً فهي تُبرّر مفاهيم الاحتيّاجات النّفسيّة وتُقرّ فاعليّة العين الفطريّة، وتجعل العين المختّصة تتأمّل المشهد الخطّيّ بنظرة ثاقبة قادرة على تكيّيف الحُضور الإنسانيّ مع جُلّ تطوّرات العمل التّصميميّ.

1. *H.G, Gadamer* (1996), *Vérité et méthode*, seuil, nouv. Ed, page 298 .

تتوزّع البرمجيّات داخل فضاء الحاسوب وتتوازى بذلك مع الورشات التّطبيقيّة فتُمثّل كُلّ تطبيقه اختصاص بعينه، لذا وجب على المصمّم التّمكّن من سائر المهارات التّطبيقيّة على اختلافها التّابعة للاختصاص الخطّيّ حتّى يُحوّلها داخل الآلة إلى تطبيقات وبيانات خاضعة للمسار الفنيّ، وذلك بقصد تمرير المعلومة من نظام ماديّ مُتداول إلى عالم **الرّقم**، وهذا ما سيقوده فعلاً إلى التّحوّل إلى حالة متطوّرة من الهدف التّصميميّ الذي يتعالى بالفكرة من المستوى النظريّ إلى مرحلة التّنفيذ وذلك بتطبيق البرمجة الخطّيّة والمرور إلى تثبيت نهائيّ لعناصر التّركيبة الخطّيّة.

تسرد تقنيّات الاختصاص المُتنوّعة داخل هذا الفضاء المشحون مدى تكيّف المُختصّ مع آليّات قراءة المفهوم التّواصليّ وقُدرته على تطويع المُجرّد وتحويله إلى مُعطى تداوليّ، لذا يُعتبر الاختيار الواعي عَاملاً مُحرّكًا يفعل فينا ويُؤثر في فعلنا حتّى أنّنا نُركّز اهتماماتنا في رصد الصُّور داخل لاوعينا فنُمثّلها مساحات ذهنيّة تتبلوّر وتتحوّل تدريجيًّا إلى مُعطى ماديّ نُعاينُه ونُعالجه ومن ثمّ نُصحّحه إلى حدّ بُلوغ التّوازن الجماليّ المُراد تحقيقه.

هُنا بالذات يُقبل الإنسان على جهاز إليكترونيّ فيحصر دائرة إدراكه في إطار ثُنائيّ الأبعاد، غير أنّه بادئ الأمر يتوّقع أن يكون العمل تفاعليًّا جامدًا، فهو يرتكز أمام شاشة ويحفظ موقعه ويُقيم تدريجيًّا نوعًا من الجدليّة الفاعلة بين جسد واع ينصّب أمام جهاز مرئيّ محدود الأركان وشاشة تُقدّم بدورها فرضيّات خطّيّة عميقة الامتداد، غير أنّه سُرعان ما يجد حركته تحوّلت إلى مُفاعله افتراضيّة فتُحصر اهتماماته وتتطوّر مُستويات إدراكه بمُجاوزة حالة الجُمود والخوف من المجهول، وبذلك تتغلّب عليه قوى الحركة والاكتشاف، ويتحوّل شيئًا فشيئًا إلى مُتسلّط على الأداة ليُمارس نوعًا من طُغيان الارتداد الافتراضيّ حتّى يُصبح في الأخير فاعلاً مُتحكّمًا يُؤمّن حركة التّأثير والتأثّر وُجوبًا.

وهنا يُوصف الإدراك بالقدرة الثابتة والمتعالية من التّركيز على العمل الذّي يبدأ مُتعمّدًا وينتهي عفويًّا، فيتميّز العمل الرّقميّ بجدليّة تفاعليّة قائمة على المدّ والجسر بين ضُعف الحركة الجسديّة المنتجة لقوّة الإدراك وقُوّة الجذب الارتداديّ المسلّط من الآلة، ومن ثمّ يترأس المصمّم أداته ويُسيّر قوى النشاط الحركيّ الافتراضيّ ويقود جماح فعله فيخرج من بوتقة الذات الضيّقة ليلتحم بالمجموعة ويُسيّر فعله وفق صيرورة مُوجبة تنطلق من يدويّة ملموسة للفكرة إلى ملابسة مجرّدة **للرّقم**.

أمّا بالنّسبة إلى **الفضاء الرقميّ** فإنّ قيمة التّحوّل تنحصر في كونه عبارة عن حركيّة مُوهمة للنّفس بالافتراض، لأنّه من المفترض أنّ الفعل الحاصل لا يحتمل مُلامسةً ولا مُباشرةً ماديّةً للعمل التّصميميّ، فقرار الإنجاز الرّقميّ يتّسم بالإرادة الواعية التّي تتحكّم في التصرّف وفي قرار الفعل، فتُؤكّد لباطن الذات بأنّها تنتهج المسار المطلوب أو أنّها تحيد عنه، كما تُوثّق بالتّالي الطريق الصّحيح لاختيار منهج التحكّم عبر أدوات الصياغة، فتُقنع النّفس بأنّ العمل صائر لا محالة أو أنّه يُوجد عطل ما، ثمّ هي تُؤكّد أو تنفي حُصول التّسجيل وإيقاع الإحداث بما يضمن موازين التّعدّي من برمجيّة إلى أخرى ويُكسب البطاقة الرّقميّة مُلابسات الفضاء الافتراضيّ وضوابطه.

2.3.جدليّة العلاقة بين الإنسان والتّصميم الافتراضيّ:

يُدرك الإنسان في بداية تعامله مع الفضاء الرّقميّ بأنّه يحي في **زمنيّة** مختارة ومشخّصة بأهداف فاعلة قصد تأسيس صياغة تشكيليّة تعمل على تبليغ رسالة تواصليّة، أمّا بالنّسبة إلى **المكان** فهو فضاء رقميّ يُعادل بين قياس البُوصة وقياسات عالمنا الخاصّ، ثمّ في الأخير تُصبح قراءة المنظور من حوله تنتظم وفق أبعاد وتُضبط داخل إطارات تتفاعل جدّيًّا بما يُعطي للمساحة التّفاعليّة بُعدًا رُباعيًّا وهو الخيال والافتراض، فيتحكّم المُصمّم في فأرة تُسيّر حركته على

محورين عموديّ وأفقيّ غير أنّ المهارة الحركيّة تُمكّنه شيئًا فشيئًا من استغلال أبعاد هـذه المساحة اللاّمرئيّة فيتفاوت المشهد القرائيّ بالتّصغير والتّكبير، ومن المُمكن كذلك أن يتمتّع المُصمّم بحركيّة إقبال وإيّاب بواسطة أداة "مكبّرة" ممّا يُعطي لهذا الفضاء الافتراضيّ سعة لا تُدخل تشويشًا على آليّات الإدراك المرئيّ لدى الإنسان لأنّها تُمكّنه في الآن ذاته من حصر تركيزه على جُزئيّة بسيطة من عمله وبذلك فهو ينفي حُضور باقي العناصر بالرّغم من تخفيّها وليس لعدم غيابها.

إذا فالتّعامل الافتراضيّ على شاشة رقميّة يُمكّن من المُراوحة بين قياسات فعليّة تتجاوز المتريّ مربّع ليتمكّن المستخدم القارئ في حركة جولانه من تحديد مسارات فعله بحسب قُدرات العرض داخل شاشة حاسوبه، فتتحوّل الحركة من الجُمود الفيزيائيّ الذّي يعتري الإنسان إلى حركة افتراضيّة تنطلق بوعي شامل للمساحة المعتمدة، وهذا ما يجعلها تتفاعل إيجابيًّا مع إستراتيجيّة البرمجة الرّقميّة التّي تُمكّنها طوعًا من صياغة حركة واعية جامعة تُسلط قوى الجذب والدفع داخل ثنايا برنامج التّصميم، وبذلك فإنّ الغائب الآليّ عن أعيننا قد يكون حاضرًا في أذهاننا ولا يُعدّ التحكّم محدودًا فيما نرى ونشهده إنّما نتجاوزه إلى عدد من المقاطع والفُصول التّي تُحفظ ذهنيًّا ويقع إدراكها مرحليًّا مع تقدّم خطوات تنفيذ التّصميم.

وإذا ما فكّكنا نظريًّا أسلوب هذا التّعامل الافتراضيّ في صياغة عناصر التّصميم، فإنّنا نجد للوهلة الأولى أنّ الرّائيّ يُدرك مساحة مُسّطحةً ذات بُعدين، وإذا ما باشرنا العمل التّصميميّ فإنّنا نلحظ تهيئة مركزيّة متعدّدة multi central configuration للفضاء الافتراضيّ فكُلّما نتحرّك تتغيّر وجهة نظرنا، وبذلك تتبلوّر تعدّديّة أوجه الفضاء، وهنا بالذات تتحوّل الحركة الافتراضيّة إلى أداة راسمة لأبعاد متداخلة، فنكتشف مراكز متعدّدة حول الإنسان المدرك وننفي بالتّالي

مركزيّته، كما تفرض هذه القراءة التّشكيليّة تمرير الرّائيّ نظره بين الجُزئيّات المُركّبة التّي تتفاعل في حُضورها بالتّناقض والتّباين حتّى تتّم المُوازنة الكاملة بين المساحات، وذلك بالفصل بين مواقع التّعبئة والفراغ، حينها فقط يُنّمي المصمّم مساحة الشّبكة الخطّيّة المُؤلّفة للخلفيّات والأرضيّات ويقرأ بالاستثناء حركة الأشكال والعناصر والحُروف المُضافة للتّركيبة.

وبالرّغم من أنّ حذافير الرّسم والاختيارات اللّونيّة وتوازن عناصر التّركيبة هي مُفردات تشكيليّة مُتداخلة ومُتفاعلة، فإنّ العين المدركة تتّسم بالنّسبية في مدى إدراكها للانطباع القيميّ للألوان، كما يُوصف فعلها بتقدير شخصيّ وذاتيّ في طباعة الأشياء من حولها، لذا وقع جدال عنيف على المستوى العالميّ حول نسبيّة تحكير القياسات المعتمدة للألوان وتقرّر ضرورة البحث في أهميّة تحقيق توازن قياسيّ بين المنظور الرّقميّ والنُّسخة النّهائيّة للّون.

وفي الأخير يُصبح من الصّعب أن يتفحّص الإنسان ذاتيّة إدراكه ودرجة ميلان اللّون وطبيعة الرّسم ونسب تقييم المداخلات الاستثنائيّة التّي تطرأ على التّصميم والتّي عادة ما تُنسب إلى طبيعة العرض ذي الألوان الضوئيّة داخل شاشة الحاسوب ومن ثمّ وجب دراسة كيفيّة ترجمتها إلى ألوان طباعيّه رُباعيّة.

II. برمجيّات التّواصل الرّقميّ وضوابط تنظيم المنظور القرائيّ:

تعدّت **العلامة** حيّز التّواصل الكتابيّ والشفويّ لتبلغ حيّزًا أو أفقًا افتراضيًّا أوسع وأرحب، إذ أنّ الإنسان يُباشر التّفاعل الاتّصاليّ فيصوغ معلومات تجاريّة واجتماعيّة إيجابيّة بُغية تحقيق نوع من التّبادل التّجميعيّ الذّي ينطلق من مجموعة مترامية الأطراف تجتمع داخل شبكة عنكبوتيّة وتتفاعل أمنيًّا وافتراضيًّا تحت لواء المُعاملة الرّقميّة الشّبكيّة، كما أنّها تكتسب أُسلوبًا قرائيًّا وسُلوكيًّا مُتّفقًّا حوله، فتتميّز المعلومة الإلكترونيّة بتوّجه صارم نحو اقتصاد رقميّ يسنّ لوائح تصرّف مقنّن تنتظم وفقه سياسة البلد المخطّط.

وهنا من الجدير أن نتذكّر إصدار قانون التوّجه إلى اقتصاد رقميّ يوم 19 فيفري 2007 الذّي أرسى آفاق تعامل إيجابيّة عُبّر عنها بشراكة مُوجبة بين جمهور عامّ وخوّاص المعروفة بمختصر P.P.P public-private partnership، وهي تتكوّن من المهنييّن المحترفيّن الذّين يُمثّلون مُؤسّسة التّجارة الرّقميّة، تُقدّم هذه المنظومة إمكانات ضافية ومتاحة من اقتصاد المعرفة على الخطّ، وهي تفتتح بدورها بوّابةً مشتركةً من مفردات شبكة المعلومات الاتّصاليّة، وتُوّفر عددًا هامًّا من الخيارات والخدمات المُوّجهة للإنسان وفق منظومة سُوق إلكترونيّة متكاملة.

هنا يفترض العصر الرّقميّ نوعًا من المرونة والسّلاسة في صياغة مؤسّسة تكنولوجيا تقنيّة المعلومات، فهي تُوّفر مقرًّا ثابتًا يُعدّ وجهة كلّ المُقبليّن على البوّابة الافتراضيّة، وهي عبارة عن أسواق تفاعليّة تعتمد اتّفاقًا مشروطًا غير مباشر، ما يجعلها تنحى منهجًا يتسارع زمنيًّا حتّى يتجاوز الحيّز المكانيّ المعلوم وذلك بإبرام صفقات وعُقود بين أطراف مُتباعدة مكانيًّا ومُتقاربة زمنيًّا.

1. التّجارة الإلكترونيّة تُغيّر عادات الاستهلاك التّجاريّ:

1.1.مفهوم التّجارة الإلكترونيّة:

يُعدّ الطابع الرّقميّ نموذجًا تفاعليًّا افتراضيًّا مُندرجًا ضمن منظومة التّجارة الإلكترونيّة، وهنا يقوم مفهوم التّجارة الالكترونيّة بالأساس على تفاوض طرفيّن اثنيّن قصد تبادل خدمة تواصليّة أو تنفيذ مُهمّة إلكترونيّة بواسطة شبكة الانترنت، في حين تقوم كلّ هذه المعاملات على الخطّ بتأسيس سُوق تبادليّة مشتركة لا حُدود لأطرافها المتبادلة والمشتركة، كما لا تُوجد ضوابط داخلها في نُظم طرائق التّعامل الآليّ باستثناء ما يكون ثابتًا في سياق التّفاعل الأداتيّ ومشروطًا داخل قواسم الفضاء الافتراضيّ وضوابطه ووفق قواعد التّجارة الالكترونيّة ونُظمها.

ومن هذا المنطلق قدّم التّفاعل المُوجب عبر الشّبكة العالميّة المُوّحدة للانترنت ضمانًا عبر أساليب مُتعدّدة من الدّعاية والإعلان عن سلع وخدمات على الخطّ، وهنا عُرّف التّبادل المعلوماتيّ الإلكترونيّ على أنّه "النّقل الإلكترونيّ بين جهازيْن من الكمبيوتر حتّى يُوّظف البيانات باستخدام نظام مُتّفق عليه لإعداد المعلومات"[1]، في حين تمّ تعريف التّجارة الإلكترونيّة في فرنسا بوصفها "مجموعة مُعاملات رقميّة مرتبطة بالأنشطة التّجاريّة بين المشروعات في بعضها وبين المشروعات والأفراد وبين المشروعات والإدارة"[2]، وبذلك تتضمّن كُلّ هذه المفاهيم مفهومًا قياسيًّا للتّجارة الإلكترونيّة الّتي تعمل على تبادل المعلومات والتّعاملات المتعلّقة بالخدمات الماليّة والقانونيّة، فتنتظم كلّها وفق تعامل ثنائيّ إيجابيّ حتّى أنّها تُبرم اتّفاقًا بين المُورد والمستهلك وتسعى بذلك إلى توفير خدمات عن بعد، وهي عمليّة تسويق وفق طريقة غير مُباشرة بين شخصيّن، إذ يُقدّم أحدهما خِدمةً مُؤسّساتيّةً محميّةً بقانون تجاريّ مُشرّع فارضًا بذلك مُواصفات التّعاقد، في حين يضمن الثّاني جميع حُقوق الأطراف المُشاركة في المُهمّة والهدف.

هنا تنفرد التّجارة الإلكترونيّة بنوع من التّحوّل داخل مُجمل أنواع المفاعلات التّجاريّة من خلال شبكة التّواصل عبر الخطّ، وهي تُوّفر على مستوى التّعامل الافتراضيّ ثلاث صفقات، أوّلها تقديم خدمات الإنترنت، وثانيها التّسليم الإلكترونيّ بوصفه تسليمًا غير مباشر لصفقة بين المُنتج والمُستهلك، وثالثها تطويع الانترنت باعتبارها قناة لتوزيع الخدمات وتبليغ المعلومة لخدمة حاجة المستهلك "فتقود المُقاربة الافتراضيّة الأجسام الجامدة بديناميّة تحوّليّة حتّى

1 . عبد الفتاح بيومي حجازي، مقدّمة في التّجارة الالكترونيّة، شرح قانون المبادلات والتّجارة الالكترونيّ التّونسيّ، مصر، دار الفكر الجامعي الاسكندريّة، 2003، صفحة 17.

2 . عبد الفتاح بيومي حجازي، مقدّمة في التّجارة الالكترونيّة، شرح قانون المبادلات والتّجارة الالكترونيّ التّونسيّ، مصر، دار الفكر الجامعي الاسكندريّة، 2003، صفحة 18.

تضبط موازين الاتّصال"[1]، ويتحوّل بذلك التّسليم الماديّ إلى نوع من المُباشرة الافتراضيّة للمُنتج أو للخدمة الاستهلاكيّة المطلوبة.

وليس غريبًا أن تخضع هذه المُناولة الرّقميّة إلى طريقة مخصوصة في الاستخدام عبر حاسوب إلكترونيّ موصول بالأساس بشبكة الانترنت دون الحاجة إلى انتقال الأطراف من مواقعهم، وبذلك تتّسم المُعاهدة الإلكترونيّة بإمكانيّة عرض مطلب في التّراجع أو التّأكيد من قبل المُستخدم قُبالة كُلّ الفرضيّات التّجاريّة المُقترحة.

2.1. أهداف التّجارة الإلكترونيّة:

تُقدّم التّجارة الإلكترونيّة تسهيلات متعدّدة في حركة المبيعات التّجاريّة بما يُنمّي النّشاط التّبادليّ عبر الخطّ، إذ أنّ اتّساع دائرة المتقبلّين تفتتح مجالات تسويق ومشاركة واسعة لا تقتصر على من يتواجدون في الدّائرة المكانيّة للسّلعة المعروضة فقط، إنّما تمتّد إلى كُلّ رُوّاد الشّبكة المُوّحدة والمارّين من هذه البوّابة الإلكترونيّة المفتوحة، فيتعدّى منطقها حُدوديّة المكان وتتجاوز الحدّ الزّمنيّ المُؤقت حتّى تبلغ سعة إمكانات جذب ودفع وتشريك الفئة المستهدفة الواسعة والمنتشرة.

تتدخّل هذه المنظومة لتدفع هذا التّطوّر المشهود في تكنولوجيا الاتّصالات المتاحة، فتخدم بدورها ثلاثة أطراف مُتعاقدة وهم المُنظمون للعمليّة الاتّصاليّة عبر الشّبكة، وينقسمون إلى طرفيّن هما المتقبّل والبائع من جهة وضابط الموارد الماليّة من جهة أخرى، ولقد أضفت هذه المُعاملة التّبادليّة على الدّولة عُمومًا وعلى الاستثمار الاقتصاديّ خُصوصًا تطوّرًا ملحوظًا في نسبة المشاركة الاقتصاديّة المتبادلة، ثمّ هي مُبادلة شاملة مُتكاملة الشُّروط بوصفها تجمع عددًا

1 Matthias Buck, (*1998*), *Interactive Rigid Body Manipulation with Obstacle Contacts, Research and Technology*, *Germany*, THE JOURNAL OF VISUALIZATIONAND COMPUTER ANIMATION *J. Visual. Comput. Animat.* 9, 243–257, page 243.

هامًّا من الصّفقات المتعدّدة من المُنتج المتدَاوَل إلى المستهلك، ولقد عرّف الدّستور التّونسيّ المُنتجَ بوصفه "كلّ خدمة أو مُنتج طبيعيّ أو فلاحيّ أو حرفيّ أو صناعيّ أو ماديّ أو غير ماديّ"[1].

وهنا بالذات تقوم كُلّ معاملة تفاعليّة على مُصادقة إلكترونيّة فهي تضمن أُسسَ التّعامل التّبادليّ لتأمين المبادلة التّجاريّة وسلامة البيانات الافتراضيّة المحمّلة للرّسالة الرّقميّة، كما أنّها تلتزم بنصّ قانونيّ يُحدّد مُحتوى الوثيقة ومضمونها الإلكترونيّ ويضبط مُواصفات الشّخص القائم بالمُبادرة التّسويقيّة كما يشهد حقًّا بصحّة البيانات المعتمدة.

إذا فالمنظومة تُقرّ اتّساعًا في الرُّؤية والتّصويب "وتهدف إلى توحيد جغرافيا الفضاء بصفة منفصلة عن الاتّصالات الشّبكيّة للمكاتب"[2]، فتنضبط بنُظم تجاريّة تعاقديّة تحترم الأطراف المساهمة وتنتظم تقنيًّا لضمان حُسن انتقال المعلومة الرّقميّة فتعمل على ترتيب مراحل المُبادلة التّجاريّة بضوابط مدروسة، وبذلك يتحوّل الشّخص المادّي إلى طرف مُتعاقد معنويًّا لكنّه يلتزم بشُروط المُصادقة الإلكترونيّة التّي تنضوي تحت أساسيّات القانون الاقتصاديّ، كما تهدف المنظومة إلى تطوير مُعاملاتها في إطار من التّأمين الشّامل الذّي يضبط منطق تدخّل الأطراف المُشاركة، فيُوّحد بذلك مسار المبادلة ويُنّظم كلّ الحُقوق للمعنييّن بالأمر ويُصادق في الأخير على فرضيّات المُعاملة التّجاريّة.

تسّن الحكومة المُشرفة قانون التّبادل الرّقميّ وذلك بتوفير رُؤية قانونيّة شاملة تُنّظم المنهج التّفاعليّ على الخطّ، فتُجاوز كلّ الفرضيّات السّلبيّة التّي قد تُقلّص في درجة انفتاح المُصادقة الإلكترونيّة، وهنا بالذات تُضبط آليّات التّسليم والتّوقيع والإمضاء وطرائق إسداء الخدمات للتثبّت من نجاعة المُعاملة التّبادليّة

1 . الدّستور التّونسيّ، طباعة المطبعة الرّسميّة للبلاد التّونسيّة، سنة 2007.

2 .Andries, Van Dam, (2002), *Experiments in Immersive Virtual Reality for Scientific Visualization*, Computers & Graphics 26 535–555, page. 538.

الشّبكيّة، ولتأمين كُلّ هذه الحُقوق المُجزّئة عبر الأفراد والمجموعات وكذلك لضمان تواصل الأشخاص والمُؤسّسات في الجمع بين الهياكل الإداريّة والمجموعات المشخّصة التّي أرست قياسات التّأمين والحماية الافتراضيّة، وهذا ما جعل التّجارة على الخطّ تُساهم بدورها في بعث رُموز وإشارات تنأى بالمعلومة عن المُغالطة، وذلك لكي تفرض تأمينًا يضمن حُقوق بيانات الشّخص ومعلوماته، وبذلك فهي تجعله في مأمن عند اختراق الشّبكة وتُمكّنه كذلك من حماية صحّة المعلومات ومصداقيّتها، كما أنّها تحرص على ضمان سُنن المُعاملة التّبادليّة مع تجاوز أيّ تحريف في المعلومة أو مُغالطة في أشكال تحويرها.

فليس عيبًا أن تتدخّل التّجربة الإلكترونيّة في تركيب نظام تبادليّ مدروس يشتغل على تركيبة المعلومات "فتُوزّع قوى الحوسبة، وتتعدّد الأجهزة في تنسيق مُقارباتيّ يُجمّع برمجيّات التّصميم، ويُساعد على تبادل بيانات البروتوكول التّفاعليّ"[1]، وذلك بضبط أسعار منتجات الخدمة ذات القيم المتداولة إلى جانب فتح أبواب واسعة أمام صياغة سُوق عالميّة مفتوحة تخضع لشُروط بيع مُوّحدة فتُضبط أسعار المبيعات والمُقتنيّات وفق ميزان ماليّ دُوليّ مُتّفق حوله.

يُعدّ توزيع المتاجر الافتراضيّة إجراء هامًّا مُساهمًا في تسيّير مُعاملات الاتّصال العالميّ ومُمهّدًا لصياغة نقاط بيع مُوازية تفتتح المجال أمام عدّة مُزوّدين من شتّى أصقاع العالم، كما ولّد هذا الاتّساع شُموليّة في نوعيّة المادّة المزوّدة وكميّتها وتنوّعها بما يُوافق حتمًا شُروط الطلبيّة ومُواصفاتها، ولقد ساعد بالتّالي هذا الإجراء المتعدّد الأوجه في تطبيق نظام تجاريّ سلس يُناسب فرضيّة العرض والطلب الافتراضيّ، بما يفرض سُهولة ويُسرًا في التّمتع بكلّ ما تُقدّمه السُّوق الإلكترونيّة من تنوّع وثراء إنتاجيّ.

---

1 . . Molina Hector Garcia, Yannis Papakonstantinou, Dallan Quass, Anand Rajaraman, Yehoshua Sagiv, Jeffrey Ullman, Jennifer Widom. (1997), *The TSIMMIS project: integration of heterogeneous information sources*, in: Journal of Intelligent Information Systems., page 537.

حقيقة لقد بلغت أمريكا سنة 2001 "حجم مبيعات يتراوح بين 200 إلى 300 مليار دولار أي ما يُعادل 2 بالمائة و3 بالمائة من مجموع المبيعات في اقتصاد الولايات المتّحدة، في حين توّصلت أوروبا إلى تحقيق من 20 إلى 60 مليار دولار من عائدات التّجارة الإلكترونية"[1]، ولسائل أن يسأل عمّا يُمكن لهذه المنظومة الافتراضيّة أن تُوّفره من دخل يُطوّر تدريجيًّا حجم المبيعات ويُساهم في تضخيم ميزانيّة الدولة، فبالرّغم من أنّ مفهوم التّجارة قد تغيّر، إلاّ أنّ الإقبال الجماهيريّ يزداد يومًا بعد يوم، ثمّ إنّ الاتّصال عبر الخطّ يشدّ نظر الوافدين على جهاز الحاسوب الإلكترونيّ، ويُساعد شتّى المُتدّخلين في المنظور الرّقميّ على التّفاعل المشترك، كما أنّنا نخّص بالذّكر مُستخدميّ الانترنت وزائريّ المواقع الافتراضيّة من وقت إلى آخر.

لقد ساهم تطوّر نسب البيع والشّراء عبر الشّبكة في تحقيق درجة عالية من الإقبال على آليّات الاتّصال عبر الخطّ، لذا فنحن نجزم بأنّ هذا التّقدّم في المُعاملة التّجاريّة نتج عن تطوّر برمجة الاتّصال التّي انتشرت على كامل أصقاع العالم مع ضرورة ضبط اعتدال مقبول في تكاليف استخدام الإنترنت بما يُناسب قيمة الدّخل الفرديّ في البلد الواحد، وهذا ما يُمكّن الفرد في الحقيقة من المُبادرة إلى التجهّز بحاسوب إلكترونيّ، فيدفع رُسوم المكالمات الهاتفيّة المحليّة والدُّوليّة، ومن ثمّة فإنّه يستخلص قيمة المقتنيّات بالتواصل عبر الخطّ وذلك باستئجار ساعات وساعات على الشّبكة العالميّة.

حقًّا لقد تجاوزت أغلب الدُّول العربيّة العطل والعجز التّقنيّ وذلك بتعميم الشّبكة الاتّصاليّة على أرجاء البلاد وتيسير صياغة المعاملة الإلكترونيّة حتّى تُصبح مرنة في مُتناول كُلّ المستخدميّن، كما ساعدت كُلّ هذه الإجراءات على

1 . عبد الفتاح بيومي حجازي، مقدّمة في التّجارة الالكترونيّة، شرح قانون المبادلات والتّجارة الالكترونيّ التّونسيّ، مصر، دار الفكر الجامعي، الاسكندريّة، 2003، صفحة 26.

جعل البرمجة تبدو نظامًا تفاعليًا مُتطوّرًا لا يتطلّب بنية تحتيّة قائمة على التّجهيزات والتّوزيع فحسب إنّما تستند إلى مهارات بشريّة تُساعدك على تملّك المعرفة داخل مُخطّطات الشّبكة وضمن شتّى مسارات الإبحار المُتعدّدة، كما يتطلّب الاستخدام علمًا مُتّطوّرًا في مجالات مُتنوّعة ومعرفة واسعة بمواقع وعناوين الانترنت، لذا فإنّ اللُّجوء إلى دورات تعليميّة لاكتساب مهارات الفضاء الافتراضيّ تُساعد على استيعاب طرائق التّبادل التّجاريّ وفق قوانين الخطّ وفرائضه.

وهنا ترتبط التّجارة الإلكترونيّة حتمًا بالدّعاية الافتراضيّة، إذ يقوم الإشهار بتبويب لوائح قرائيّة مُتحرّكة للإعلان عن منتج أو شدّ أنظار المُبحرين وجلب انتباههم للبوّابات والمتاجر الافتراضيّة، كما يتطلّب هذا الإخراج الإعلانيّ قدرات واسعة في صياغة وتركيب الفرضيّات التّجارية الرّقميّة حتّى يحصل منطق القبول، كما أنّها تُحرّك نوازع الاقتناء والشّراء إلى حين قيام المُصادقة الإلكترونيّة وتمرير موضوع الإنتاج من غاية ليست ماديّة إلى موضوع ماديّ قابل للتّسليم والعرض.

تحتوي التّجارة الإلكترونيّة على مفهوميْن، أحدهما ضيّق ينحصر في المُبادلات عن طريق الانترنت، وثانيهما واسع يشمل كلّ تبادل تجاريّ عبر أيّ شبكة اتّصال لا سلكيّة، إذ هي تتجاوز مُبادلات الحاسوب الآليّ إلى آلة الفاكس أو المينتيل أو التلكس، وهنا يقع تجاوز الفضاء الرّقميّ إلى "مفهوم رسائل المعلومات"[1]، فهي معلومات مُدمجة تظهر في شكل رسائل إلكترونيّة يمتدّ توزيعها داخل مسارات تنفيذ متنوّعة، ثمّ هي تندرج طوعًا ضمن تبادل إلكترونيّ لعدد من البيانات المُتّصلة في خدمة حركة البيع والشراء، لذا فإنّ

1 . عبد الفتاح بيومي حجازي، مقدّمة في التّجارة الالكترونيّة، شرح قانون المبادلات والتّجارة الالكترونيّ التّونسيّ، مصر، دار الفكر الجامعي، الاسكندريّة، 2003، صفحة 26.

تمرير المعلومة الرّقميّة أو الرّسالة النّصيّة الحاملة لبيانات ذات صبغة تجاريّة تتحوّل إلى صيغة قياسيّة مُوّحدة، وتُضبط بمعايير عالميّة حتّى تضمن حُقوق الملكيّة، ثمّ إنّها تعمل على إرساء نصّ واضح تُحدّد خلاله أطراف المعاملة وشُروط تفاعلها.

3.1. المشرّع التّونسيّ يسنّ قانون التّجارة الإلكترونيّة:

تُفضي التّجارة الإلكترونيّة إلى ثلاثة مستويات من طرق العرض والطلب لمجموع الشّراكات المتّفق حولها عالميًّا، وتتمثّل الأولى في عُقود تُبرم عبر الانترنت غير أنّ تنفيذ استلامها يكون خارجًا عن الفضاء الرّقميّ مثل السّلع والبضائع، في حين أنّه تُوجد ثانيًا عُقود تستوفي خدماتها على مستوى الفضاء الافتراضيّ مثل الاشتراك في شبكة الإنترنت وعُقود الإعلانات المبوّبة، ونجد ثالثًا عُقود تُسّجل حسب اتّفاقيات اشتراك في بُنوك المعلومات.

أ. التّعاقد الإلكترونيّ:

قام المشرّع التّونسيّ بإصدار قانون التّجارة الإلكترونيّة في أوت سنة 2000 وسعى بذلك إلى تأمين حُصول المبادلات التّجاريّة في فضاء افتراضيّ، وذلك بأن راهن على قدرة تنافسيّة تُجابه مسار التّحديث عبر محاولات جادّة تعمل على تحقيق نوع من المُواكبة الاقتصاديّة العالميّة، لذا يُعتبر التدخّل على المستوى العالميّ تجاوزًا للرُّؤية الذاتيّة المحدودة بغرض مواكبة مقتضيات وضوابط العرض والطلب العالميّ وشُروطه، ثمّ إنّه ليس من السّهل أن يُواجه بلد عربيّ السُّوق العالميّة ويكتسح الصُّعوبات التّقنيّة ويتجاوز الجهل بتقنيّات التّواصل الغير المباشرة، فيقتحم الفضاء الافتراضيّ الواسع ويُساير العالم في توّجه واع نحو اقتصاد رقميّ يعتمد المعلومة المشتركة ويحتكر إيجابيّات التّواصل الغير المرئيّ.

لذا يُصبح الأخذ بأسباب التّجارة الافتراضيّة مُتمثّلاً خاصّة في القدرة على التّسويق داخل مدار متّسع لا يلتزم فقط بشُروط المكان ولا بفرضيّات الزّمن، إذ أنّه يُصبح تدريجيًّا قادرًا على أن يُقيم جودةً مضمونةً تتوازى مع مجمل إمكانات العرض المتاحة، وهنا يتدخّل المنحى الاستخداميّ إجمالاً في "ثورة رقميّة تُؤسّس لتُكنولوجيا تقنيّة من المعلومات فائقة السُّرعة"[1]، فيتجاوز الزّمن الافتراضيّ الواقع ويُمكّن من ربح سريع للوقت المتداول.

ثمّ إنّ الصّفقات التّجاريّة التّي كانت تأخذ زمنًا من مُبادلات الردّ والاستجابة تغيّرت وتحوّلت إلى سيل جارف من المعلومات المتناقلة عبر الخطّ، حتّى أنّها حقّقت اختلافًا جذريًّا في طرائق العرض، فتجدها اليوم مُجتمعةً كُلّها في سجّل الكترونيّ يُساهم في تخفيض تكاليف التّرويج والعرض ويُساعد على توحيد مآل الرُّؤية التّفاعليّة.

وبذلك سارع الفعل الرّقميّ إلى تقليص جُلّ المصاريف الإضافيّة التّي يتحمّلها الشّاري أو البائع، والهدف كلّ الهدف هو الارتقاء إلى فضاء مُوّحد ضمن بوّابة مشتركة تُوّفر خيارات وخدمات متوازية من حيث قيم العرض والطلب، لتلتزم السُّلطة في الأخير بتحقيق مُقاربة نوعيّة في الجودة الاستخداميّة ولتُؤمّن عديد الضمانات الاتّصاليّة.

ارتأى المُشرّع التّونسيّ ضرورةَ تأمين عُقود الخدمات وإعطائها أكثر مشروعيّة باعتبارها عُقود بيع وشراء، وهي كذلك استشارات قانونيّة وماليّة وحتّى طبيّة، ولقد أكّد المشرّع في هذا الصّدد أنّ الخدمة الافتراضيّة التّجاريّة هي ذاتها موضوع التّجارة الإلكترونيّة الصّرف، كما أنّها ليست مُماثلة للوثيقة الورقيّة وإنّما هي رسالة إلكترونيّة مُحمّلة بمعلومات ضافية يلتزم مُصْدِّرها بثقة الطرف المُقابل فيُؤمّن بالتّالي مُحتوى ومضمون العمليّة التّبادليّة.

---

1 . عبد الفتاح بيومي حجازي، مقدّمة في التّجارة الالكترونيّة، شرح قانون المبادلات والتّجارة الالكترونيّ التّونسيّ، مصر، دار الفكر الجامعي، الاسكندريّة، 2003، صفحة 12.

لقد حوّرت العلاقة التّجاريّة المنطق الماليّ الذّي تطلّب هندسة تكنولوجيّة جديدة تربط بين مسارات الاتّصال عبر الخطّ، فتتعدّى حُدود الدّولة الواحدة إلى آفاق عالميّة واسعة، ثمّ إنّ العالم أصبح "قرية صغيرة" تتحطّم داخلها كُلّ القُيود وضوابط المكان والزمان، ما جعل البلاد التّونسيّة تصوغ وفقًا لهذا الاختيار مُواكبةً حتميّة للتطوّر التكنولوجيّ الذّي ترك بدوره بصمته على التّجارة الدُّوليّة والداخليّة وأثّر طوعًا في واجب تطوير قيمة الصّادرات والواردات إجمالاً.

وهُنا بالذات لعبت التّقنيّة دورًا هامًّا فلقد جاوزت الأداة حُدود التّفاعل الأُحاديّ لتفرض حركةً تواصليّةً فاعلةً تربط الأطراف وتصوغ منهجًا سويًّا في العلاقات داخل تشكيلات مُعقّدة تلتقي على الخطّ، وبذلك أدّت التّكنولوجيا إلى قيام ثورة تأهيل غيّرت في رُؤيتنا للواقع من حولنا وفرضت "ثورة معلومات" أو ما يُعبّر عنه بـ "مرحلة طريق المعلومات" أو ما يُدّعى بـ"مرحلة ما بعد الانترنت"، وليس غريبًا في هذا الموقع بالذات أن يُوّلد التطوّر التكنولوجيّ إحداثًا في الرُّؤية التّعامليّة التّجاريّة أو أن يتعدّى من عمليّة المباشرة الرّقميّة إلى الحوار ومنه إلى التّبادل وينتهي إلى تأسيس محاور ضافية ومُوجبة تعمل على تصوير المُعطى التّواصليّ الافتراضيّ بقصد تلبيّة الاحتيّاجات وتوفير بُنود جديدة في الخدمات التّفاعليّة.

ب. الدّفع الإلكترونيّ:

تُعتبر المُصادقة الإلكترونيّة نوعًا من الخدمة الضافية بين طرفيّن مُتعاقديّن غائبين فعليًّا لكنّهما حاضران افتراضيًّا، إذ أنّهما ينضبطان ويلتزمان ببُنود العقد مع إمكانيّة التّفاوض والتّحاور، وبذلك يتكيّف قانون الاتّصالات التّجاريّ بالرّابط الوحيد الذّي يتكوّن من كلا الوسيلتيّن المرئيّة والمسموعة المتزامنتيّن في الوقت والعرض، كما تُضفي المُعاملة الرّقميّة إمكانات واسعة من التّبادل المتداول بقصد توثيق المعلومة ومُناقشتها، وبذلك يشترك الطرفيّن في فضاء واحد

احتماليّ غير أنّهما في الواقع يجتمعان فقط وفق الفرضيّة الآليّة قصد تحديد شُروط صياغة المُنتج وتسعيرته ومُواصفات بيعه، تُساعدهم في ذلك برمجيّة التّبادل التّجاريّ على الخطّ التّي تُسّهل عمليّة لقاء أطراف التّفاوض ومن ثمّة تُيّسر لهم تأمين حقّ إبرام شُروط التّعاقد والاتّفاق.

هنا تتطلّب عمليّة التّداول التّجاريّ المُرور من قيمة إنتاجيّة إلى قيمة ماليّة بشرط التّأكد من الرّضا والقبول بين الطرفيّن المبايعيّن على الخطّ، وبذلك تتحوّل فرضيّات التّفاعل والتّحاور إلى قيم مقنّنة من قواعد التّبادل المشترك بقصد تلبية شُروط الحاجة الاستهلاكيّة وحماية ضمانات التّداول عبر وسائط الدّفع الإلكترونيّ والثّقة في حُسن استخلاص قيم المبيعات، وبالرّغم من أنّ الاتّصال يتميّز بلا مُباشرته فإنّ التّحويل النّقديّ يُترجم قيمة المشتريات كما يُمكّن من تحويل السّعر المُتّفق حوله إلى حقّ مُستخلص.

وفي الحقيقة أنّه من المفترض أنّ قانون التّجارة التّونسيّ قد نوّع في طُرق استخلاص المادّة الماليّة المتحوّلة، وذلك عن طريق استخدام بطاقات الوفاء أو الائتمان أو بطاقات التّحويل النّقديّ، وهيّأ بالتّالي كلّ سُبل تأمين شراء المقتنيّات على الخطّ، وفي الخُلاصة تُقدّم هذه الطُرق ضمانًا وافرًا عند تحويل الأموال عن طريق البنك، كما أنّ تقاضي معلوم الخدمة أو المُنتج يتّم بدفع قيم المشتريات من حسابات شخصيّة مُختلفة، لذا فهي تُعرّف طُرق الاستخلاص بأسماء مُتعدّدة مثل FEDI وهي مُختصر لكلمة بطاقة التّبادل الإلكترونيّ للبيانات الماليّةFinancial electronic data interchange وهي كذلك وسيلة لدفع الصّفقات الكبيرة التّي لا تتطلّب أيّ ترتيبات مُسبقة.

ولقد شرّع القانون التّونسيّ طريقة الاستخلاص الرّقميّ التّي تُعرف عالميًّا بآي شاك E-chek وهي أداة دفع ماليّ بشيكات إلكترونيّة وتُعلّم بوصفها بديلاً آمنًا لبطاقات الائتمان، وهي كذلك بطاقة تُؤمّن قيمة المشتريات بصفة قبليّة قبل

تقرير الخدمة المقتناة، ثمّ إنّها تضمن عدم التعرّف على حساب الحريف بأن تُتّم عمليّة الاستخلاص المسبق دون الالتجاء إلى التّكشّف على حسابه الجاري، وهنا تتدخّل إدارة البريد في العمليّة التّجاريّة على الخطّ بوصفها طرفًا ثالثًا يُؤدّي قيمة الخدمة المُستخلصة من حساب مُقدّمها بكلّ ثقة ونزاهة تعامليّة .

أمّا طريقة الدّفع الإلكترونيّة السّائدة في عديد الدّول فهي ما تُعرف في البلاد التّونسيّة ب أ-دينار E-dinar وتُعرّف كذلك بالحقيبة الإلكترونيّة Electronic purse وهي بطاقة تُمكّن من تحوّل النّقد المادّيّ إلى معلومة رقميّة مستوفاة عن دائرة البريد، وذلك بأن يستخدم المتقبّل البطاقة النّقدية الرّقميّة التّي تُشحن بالسّعر المدفوع وتتحوّل إلى تشفيره سرّية يُقحمها المتقبّل على الخدمة الرّقميّة في الفضاء الإلكترونيّ ليتمتّع بالتّالي بمُقابل ماديّ ملموس سواء كان سلعة أو خدمة.

كما تُنّظم هذه التّركيبة الرّقميّة القيمة المستوفاة وتُحوّلها إلى توقيع رقميّ Digitally signed يتحوّل بدوره من بنك البريد إلى بائع الخدمة، لذا عُبّر عنها بكونها حقيبة إليكترونيّة لأنّها تختزن النّقد المادّيّ وتُحوّله إلى بيانات افتراضيّة، وفي مستوى آخر من الدّفع الإلكترونيّ تُوجد بطاقات تحمل شريطًا مُمغنطًا يُسّجل فيها مواقع التّخزين وتُوّقع بطريقة إلكترونيّة ممّا يحمي المُتعاقدين ويُؤكّد على جديّة التّزامهما بالتّعاقد المُبرم بينهما لتحقيق توازن المُعاملة التّجاريّة على الخطّ.

4.1. التّأمين القضائيّ :

تضمن التّجارة الإلكترونيّة مُعاملة الأطراف المُتعاقدة على الخطّ، وهي شأنها شأن كُلّ عمليّة تبادليّة تستوجب اكتساب شرعيّة قضائيّة تُنّظم مصلحة المُتعاملِين لكي تحفظ حُقوقهم، ومن أهمّ ما يُقدّم الفعل التّجاريّ الشّبكيّ هو كونه يكتسب مصداقيّة المُبادلة ويُؤلّف بين الحاجة وردّة الفعل الاستهلاكيّ بما يُرضي الطرف المتّقبل ويحمي كسبه، لذا اِرتأى المشرّع التّونسيّ بأنّ المنظومة

الافتراضيّة يجب أن تخضع لقانون يضمن مشروعيّة أدوات التّبادل ويُؤمّن الجواز الماليّ وحقّ الملكيّة بالنّسبة للمُستخدم المُتعاقد افتراضيًّا.

يصعب تجسيد مقاييس هذا الفضاء الافتراضيّ في مساحة احتماليّة تنعدم داخلها المُستندات الورقيّة وتكون مرجعيّة المُبحر الوحيدة المعلومة المرتسمة على شاشة حاملة لبُعدين بصفة رقميّة تعداديّة، فنحن نتواجد داخل مواقع شبكة الانترنت ونُبحر في اتّساع مساحة المُعاملات الافتراضيّة التّي تتعدّى البلد الواحد إلى مناطق ومواقع مُتغايرة ومُتّسعة تختلف داخلها الموازين التّعامليّة مثل قيمة العُملة المفروضة تختلف مفاهيمها التّداوليّة للسّلع والخدمات.

علاوة على أنّ المُنتج يتوّفر ببلد وينعدم بموقع آخر ممّا يخلق اختلالاً في موازين القوى ويُؤثّر سلبًا في صحّة تقيّيم السّعر عند تسليم البضاعة، كما أنّ تحوّله من صياغة افتراضيّة إلى امتداد مادّي ملموس يُسّجل صُعوبة في تحديد قيمته وتسعيرته بحسب مُواصفات مكان وزمان موقع التّسليم ؟ لذا تُصبح جميع هذه الفرضيّات مُحيّرةً، وهذا ما يجعلنا أمام سُؤال حرّي بالطّرح حول هذا الإشكال، وذلك بالقول، هل يبحث القانون الافتراضيّ في احتيّاجات ونقائص المُعاملة الإلكترونيّة ؟ وهل تُمثّل التّسعيرة قانون البلد المتسلّم أم قانون البلد المُصدّر للخدمة ؟

أكّد المشرّع التُّونسيّ على أهميّة حماية المُستهلك في عمليّة التّعاقد على الخطّ، لذا وجب تنفيذ قانون البلد الذّي ينتمي إليه، ولقد وقع تفضيل هذا الطرف التّعاقديّ نظرًا إلى أنّ شركات الإنتاج والخدمات تعتمد عُقودًا هُجوميّةً مُباغتةً للمُستهلك، وفي نفس الآن فإنّ المُستخدم عادة ما يكون غير مُلمّ بشُروط التّعاقد الافتراضيّ ولا يستطيع توّقع أبعاد المعاملة ولا افتراضات التّسليم ولا يستطيع حتّى أن يُدقّق في الإمضاء الإلكترونيّ، وكلّ هذا الجهل بحُقوقه قد يُؤدّي إلى فرض نوع من الضبابيّة في المُعاملة الافتراضيّة التّجاريّة، لذا فلقد أفرد القانون

التّونسيّ نصًّا قانونيًّا واضحًا اهتمّ خلاله بضوابط التّوقيع الإلكترونيّ ومُواصفاته باعتباره وسيلةً مضمونةً تجزم بمصداقيّة بيانات عُقود التّجارة الإلكترونيّة، خاصّة إذا ما تحوّل الإمضاء إلى بيانات رقميّة مُتماسكة تُشفّر بالتّدقيق والتّثبّت وتجزم في صحّة المُعاملات الإلكترونيّة.

أمّا إذا ما تمّعنا في القانون الدُّوليّ فإنّ المُشرّعين يرون ضرورة الخُضوع لقانون الموطن أو المحلّ الذّي يُقيم فيه المستهلك لنفس الأسباب التّي اعتمدها المشرّع التّونسيّ، ولقد تحدّث الكثيرون عن "قانون الإدارة المحليّة" وهي عبارة عن حلّ وسط لإطلاق حُرّية المتعاقديّن عند صياغة عُقودهم الإلكترونيّة، غير أنّه من الواجب أن لا تخرج هذه المُعاملة المُعتمدة عن القانون المُنظّم أو القاعدة العامّة التّي تحكم التزام كلا الطرفيّن، وهي بأن تُؤمّن مراحل تكوين العقد التّجاريّ بما يضمن حقّ الأشخاص سواء كانوا في هيئة أفراد أو مُؤسّسات حُكوميّة أو خواصّ.

ومن هذا المنطلق وجب توحيد قانون العقد التّجاريّ الالكترونيّ بأن يستوفي القائم على الخدمة جميع الشُّروط والمُقتضيات الرّاهنة وفق بيئة الشّخص القانونيّة، فتعتمد هذه العلاقة العقديّة لُغةً عالميّةً وتُنسج بالتّالي خُيوط اتّصال مُوّحد في مسارات الخطّ، إذ عادة ما يُضبط التّوقيت وتُراعى اختلافات الإطار المكانيّ، فتُحدّد مفردات العمليّة بنوع من المُراوحة بين عناصر الالتقاء الشّبكيّ المتزامن وغير المُتزامن ما يضمن حقّ طرفيّ العقد الواحد.

وفي إطار هذا التّعاقد الافتراضيّ فإنّ شرط الحُضور يتحوّل غيابًا مادّيًا وتواجدًا افتراضيًّا بما أنّ الاتّصال يبقى توّقعيًّا فرضيًّا، وبذلك يُصبح من الممكن الحديث عن غرفة عقد افتراضيّة Virtual holding room فالغائب حاضر فرضيًّا لكنّه يتثّبت مواثيق العقد وبُنوده ويفرض بتوقيع الكترونيّ مُوافقته ورضاه، ومنها

أن يفرض مثلاً "قانون الإدارة المحليّة" شُروط المُوازنة بين الحماية التّجاريّة وقواعدها والاختيارات الشّخصيّة للمُستخدم ورغباته الاستهلاكيّة.

غير أنّ التّجارة الافتراضيّة تظلّ غير مُبالية بالحُدود الجغرافيّة لأنّ مجالها المُفترض هو شبكة الانترنت فهي بمثابة قنوات مُجمّعة لكلّ المسارات التّفاعليّة عبر الخطّ في عالم يُعتبر "قريةً صغيرةً" بل لنقل أنّه **بوتقة تعداديّة تجمعيّه.**

ومن أجل أن تكتسيَ المُعاملة الافتراضيّة صبغةً قانونيّةً وجب تسجيل الرّسائل الإلكترونيّة بوصفها رهانًا ودليلاً يُؤكّد على مدى مصداقيّة البلاغ الالكترونيّ الذّي يستند إلى عدد من المُراسلات التّعاقديّة، وفي حال الاستظهار بالوثائق الرّقميّة تتحقّق سُلط الإشراف من حقيقة حُصول الاتّفاق الذّي يُمكّن من دراسته وُجوبًا، وبالرّغم من أنّ قياسيّ الزمان والمكان يختلفان في نصّ العقد، فإنّ حركة الارتداد هي مأخذ اهتّمام المُشرّع حتّى يتحوّل النصّ الرّقميّ إلى صياغة قانونيّة تشترط تعاقدًا فوريًّا ثنائيًّا أو ثُلاثيًّا يُساعد على التّثبّت من لحظة الإيجاب والقبول.

لذا وجب دراسة درجة ردّة الفعل في إطار واضح من الضوابط القانونيّة المُركزة، فالمُستخدم طالب الخدمة هو طرف ضعيف في المُبادلة التّجاريّة الالكترونيّة إذ قد تتجاوز الأُمور التّعامليّة الافتراضيّة معرفته، كما أنّه وإن احتمى بقانون البلد المنّظم فإنّه قد لا يفهم مُباشرةً سُرعة الوسائط الإلكترونيّة ونُفوذها، كما أنّه لم يفهم في أوّل معاملة غُموض أساليب الإشهار والدّعاية للمواقع التّفاعليّة الافتراضيّة التّي تتّسم بضبابيّة الانتماء الوطنيّ أو ضعف التّحديد القياسيّ في مفعوليْ الزّمن والمكان المُقدّم للخدمة، وقد يجهل المستخدم إن كان العرض قادمًا من خوّاص أو مُؤسّسات.

2. أدوات الاستخلاص البريديّ الإليكترونيّ:

من الواجب في هذا المستوى من تقدّم مبحث كتابنا "**العلامة والرّقم، مـن فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض، الطابع الرّقميّ أُنموذجًا**" أن نُقدّم مُدّونة الكتاب ألا وهـي **الطـابع الرّقميّ** فنقيس درجة تدخلّه في قياسات المنظور التّجاريّ عبر الخطّ وتقنيّـة اسـتخداماته، وكذلك أن نقيسه مثالاً يُعتبر حاملاً مُزدوجًا لثُنائيّـة مُتوازنـة مـن الأبعـاد الاتّـصاليّة، فهـو أُنموذج خطّيّ وعلامة لاستخلاص بريديّ افتراضيّ في نفس الوقت.

وبذلك فنحن نُولي أوّلاً وذي بدء تعريف ماهيـة **الطـابع الرّقمـيّ** بوصـفه أيقونـة رقميّة تختزن معلومات مشخصّة، وثانيًـا لكونـه يـتراءى بقـراءة خطّيّـة ذات خُـصوصيّة، فيُعلّم المعلومة بتجسيد ملموس **للرّقم** ويتصوّر في هيكل خارجيّ جديد، ثمّ إنّ المحمل في فضاء الافتراض هو **علامة** مُغايرة ومُتغايرة عن الطابع البريـديّ الكلاسـيكيّ، إذ أنّـه يحمـل عددًا لا متناهيًا من أبعاده التّعامليّة والتّواصليّة لكنّه ينأى عن بعضها الآخـر، ولـذا فمـن الواجب أن نُورده وفقًـا لهـذه المـادّة التّـي تفـرض مَنهجًـا رقميًـا مُحـدثًا وتزخـر بالأبعـاد والقراءات من لدن المُلاحظين والقارئيّن والمتأمليّن في المشهد البريديّ الجديد، وذلـك حتّـى نفهم ونُقدّر قيمة هذا الابتكار المُحدث، لذا فعلينا الآن أن نعـرف كيـف تُـسيّر المنظومـة البريديّـة الحديثـة **العلامـة الـرّقم**؟ وكيـف نـستطيع تحليـل مُجانـساتها الخطّيّـة داخـل مُستويات متعدّدة من طرائق البحث والتّفكير ؟

1.2.قراءة في مفهوم الطابع الرّقميّ :

ونحن نُحاول في هذا السّياق الإطّلاع على المفاهيم الـواردة في التّعريـف بموضوع كتابنا، ليعترضنا عدد من المصطلحات التّي شكلّت مُجانسات مختلفة في قراءة **العلامة الرّقميّة**، ما جعلها تُجدّد صُورًا مُتباينة في التّعبير عـن الفكـرة المجرّدة التّي تتماثل في شكل مُشابه **للأنموذج الرّقم**، فتخـتلط **العلامـة بـالرّمز**

ويتعالى قياس تشكيليّ حديث يُشّكل **رمزيّة العلامة**، فنكتشف بذلك مستوً جديدًا من **العلامة الرّقم** التّي تتدخّل ضمن أُسلوب تجاريّ بريديّ الكترونيّ مُحدث.

وعندما نسترجع تعريف الطابع البريديّ فإنّنا سوف نتوّقف على أنّه أداة استخلاص تُوفي بمُستحقّات البعث وتُبلّغ المادّة لمتقبّلها، غير أنّه وفي المقابل فإنّنا سنجد صُورةً متعارف عليها نظرًا لما عهدناه من مواقع حُضورها العمليّ ومن شكل مُحيطها المُسنّن المُتداول، وممّا لمسناه في دورها المتّصل الملتصق بظرف البريد المدموغ، فهي **علامة** تتحوّل تدريجيّا إلى أداة قرائيّة، لذا فإنّها تحمل تركيبة مرئيّة مُتّفقٌ حولها عالميًّا، غير أنّه وبالمقابل نجد الطابع الرّقميّ بمثابة "بطاقة رقميّة مُؤمّنة"، بل إنّه أكثر من **علامة استخلاص** إنّه خدمة استخلاص مُتكاملة المُواصفات تحمل عددًا من المعلومات وتكتسب مظهرًا قرائيًّا مُوّحدًا.

فليس غريبًا أن "يتعدّى حُضوره الافتراضيّ حُدود الانطباع المادّيّ على ظرف بريديّ بواسطة آلة ناسخة عاديّة، وبذلك تتواصل الإرساليّة في مسار توزيعها العاديّ"[1]، يُعنون الطابع البريديّ باللُّغة الفرنسيّة بالطابع الاليكترونيّ timbre électronique أو timbre numérique، أمّا باللّغة الانكليزيّة فيُدّعى طابع الانترنت e-stamp ويُنسب حرف «e» للإنترنت في حين يُترجم مُفرد "الطابع" ترجمة حرفيّة لكلمة Stamp وهي تسمية أمريكيّة عُرفت عندما بُعثت خدمة الاستخلاص البريديّ عن بُعد سنة1998 ، وفي نفس السّياق عرّفه السُّويسريّون على أنّه صُورة رقميّة تُنتجها برمجيّة مختصّة تُدّعى «Stampit» تبتكر طوابع رقميّة تُسّمى بـ "web stamp".

1 . ديد، دراسة الاستخلاص عن بعد والطوابع المشخصّة، فرنسا، 2006.

2.2.الهيكل المرئيّ للطابع الرّقميّ:

المشهد المرئيّ للطابع الرّقميّ هو عبارة عن شفرة للتّعرّف أو شريطة رموز Barcodeذات بُعدين D2 بمعنى أن الرّسم القرائيّ تحوّل إلى أيقونة آليّة مرّكبة تحمل معلومات ضافية وبيانات رقميّة، لكنّ ما نراه يُعدّ منمنمات سوداء اللّون متقاربة غير متباعدة يصعب تمييز موضوع ارتسامها وكذلك يصعب إدراك تقاسيمها، كما أنّها لا تخضع لنفس المفردات التّشكيليّة، إنّها عبارة عن إحداثيّات في شكل مُنمنمات لا تنضبط بإيقاع مُوّحد وتنتشر بتوازن يصعب على العين المجرّدة تحديد تفاصيله وأشكاله، وبذلك تُنسخ **العلامة الرّقم** عبر جهاز تقنيّ يُترجم المعلومة المتداولة ويضبط بتوقيع إلكترونيّ عددًا من المنمنمات المتداخلة في حجم التّسجيل PDF417 كما أنّه من الوارد أن نجده في شكل قالب مُرّبع تتخلّله تركيبة قائمة على صورة طابع بريديّ أو أن يحمل معطيات تشكّله في شكل شريط أفقيّ يُطبع على ظرف استخلاص بريديّ.

تتجلّى الصّياغة اللّونيّة في لون أُحاديّ عادة ما يكون أسود، وهي **علامة** تُعبّر عن تمام عمليّة الاستخلاص وهي عبارة عن مصفوفة بيانات غير قابلة للتّزييف[1] infalsification Data Matrix إنّه عبارة عن مثال صُوريّ مُنّقط يُترجم المعلومات حسب برمجيّة تقود ارتسامه وتُحوّله من معلومة تواصليّة إلى حركة إيقاع مُبعثر، كما تقوم **العلامة** بتأمين دور الاستخلاص، إلاّ أنّ ظاهره لا يعكس أيّ مقاربة فعليّة بين الإحداثيّات التّشكيليّة والمعلومة الرّقميّة التّي تُعبّر عن محتواه، إذا لسائل أن يسأل عن العلاقة بين الأيقونة ودلالاتها ؟ وهل من المُمكن أن يتحوّل هذا الشّريط الرّامز إلى أداة تُعبّر على هُوّية المستخدم ؟ وهل أنّه قادر على التدخّل في تركيب التّشكيلة والمُساهمة في جماليّتها ؟

1 . وصول الطابع الرّقميّ، موقع اليكتروني info@conchita-plus-ch1

تُبلوّر الصّياغة في الطابع الكلاسيكيّ المفاهيم المتأصّلة فتتجاوز بالدّلالة حُدود الإيحاء الظاهر إلى عُمق المفاهيم وتتنوّع طُرق رسمها، إلاّ أنّ هذه **العلامة الرّقم** المحدثة للبريد لا ترتسم إلاّ لتُعبّر فقط على استخلاص الخدمة البريديّة، ثمّ إنّها بمثابة **مماثلة** تُوحي لنا بعدد من الدّلالات التّصويريّة إذ أنّ المصمّم اليوم في العهد المعاصر يقطع تمامًا مع الصُّور ومتمثّلاتها، كما يتعارض مع المنحى الدّلاليّ المُفعم بالأفكار الصّياغيّة.

وفي هذا الفضاء الرّقميّ استخدم المصمّم التّكنولوجيا منذ ما يُقارب نصف قرن حتّى أخضع جُلّ الآليّات لترجمة المُطابقات اليدويّة، فماثل فعل **الرّقم** بكلّ إمكانات الفنّ التّشكيليّ الذّي عهده منذ آلاف السّنين، كما استعان المصمّم بالرّقميّات لصياغة المفاهيم القرائيّة واستخدم كلّ البرمجيّات الموّجهة لاختصاص التّصميم الخطّيّ ليُحقّق إخراجًا رقميًّا يُجدّد في المتمثّلات حتّى يُرسيَ بالطابع لُغةً مُوجبةً جامعةً بين المرئيّ والقرائيّ فيصنع مُفردات الصُّورة الرّقميّة ذات التّعداد المزدوج أو الرّسم ألاتّجاهيّ.

إذا نحن نستطيع الآن بعد مُرور عدد من السّنوات بعد العقد من انطلاق أوّل تجربة للطابع الرّقميّ، الحديث عن **علامة رقميّة** تتكوّن من نقاط وتُترجم أبعادًا صياغيّةً غير مرئيّة، غير أنّ هذه **العلامة** بمُجرّد مُرورها إلى برمجيّة مختصّة فهي تتحوّل إلى معلومات نصيّة أو رُسوم هندسيّة، فهي **العلامة** الظاهرة المتخفيّة، فهي تُظهر ما لا تُخفي وتستبطن ما لا تُظهر، كما بإمكانها أن تحتوي على إرساليّة متكاملة نصًّا وصُورةً تتستّر وراء النّقاط المتناثرة من المنمنمات السّوداء، ولقد ساهم هذا الاختيار الغير المرئيّ في تأمين البعث الإلكترونيّ السّريّ وضمان التّواصل بما يُيّسر آليّات المُراسلة البريديّة ويضمن سرّيتها، ومن الحريّ بنا أن نتعمّق في متجاوزات هذا التّطوّر الإلكترونيّ الذّي يتدرّج بنا من مقاربة للإدراك البسيط للأشياء من حولنا إلى فهم ماهية المرّكبات الرّقميّة الحاملة لمعلومات استثنائيّة مُبّطنة.

لا تُقدّم التّكنولوجيا الحديثة واقعيّة مرئيّة ولا تستبطن عُمق الرّسم الظّاهريّ بل إنّها تُطوّع غُموضًا واضحًا في صياغة الإرساليّة البريديّة، لذا بات من الأجدر بنا أن ندرس الإمكانيّات المتاحة وأن نستقي ممّا أدرجنا حول آليّات السُّوق البريديّة واستراتيجيّات التّوزيع واختلاف نُظم التّبادل لدى مُجمّعي الهواية ما يضمن لهذا الطابع الرّقميّ حُضوره واستمراره.

وحقًّا قد تضطّرنا هذه المقاربة إلى الأخذ من إيجابيّات المُنتج البريديّ الكلاسيكيّ وحُضوره ودعامة فاعليّته لتصوير وليده الجديد ألا وهو الطابع الرّقميّ القادر على أن يرزح بوظائفه فيتمكّن من مُجابهة طلب المتّقبلين، وذلك بأن يُراهن على المحافظة على السُّوق الاستهلاكيّة، بل هو يُضفي عليها الكثير من إيجابيّات هذا التطوّر التكنولوجيّ ويدفع متقبليّها إلى ابتكار تركيبة متكاملة قلبًا وقالبًا، حتّى يُلبيَّ دورها الأساسيّ بوصفه **علامة** استخلاص تُمكّنه من ترجمة الصّلة بين الأيقونة الرّقميّة المحمّلة والشّريط الرّامز المطبوع الموجود على الظرف أو الرّسالة البريديّة.

أمثلة من أيقونات رقميّة لطابع رقميّ[1]



1.https://en.wikibooks.org/wiki/International_Postage_Meter_Stamp_Catalog/United_States_of_America,_Part_3

3.2. مناولة الطابع الرّقميّ:

تتطلّب عمليّة الاستخلاص عن بُعد إبحارًا عبر شبكة الانترنـت حتّـى تُفـتح قنـوات مُتعدّدة أمام الوافديّن، ومن ثمّة يُسّجل المستخدم مُعاملته ويستخرج نُـسخة مـن طابعـه باستخدام برمجيّة تُوّفرها دار البريد التّابعة للدّولة التّي ينتمـي لهـا، يُعـرّف هـذا النّظـام بستانبيت Stampit بالنّسبة لدار البريد السويسريّة التّي تصنع طوابع استخلاص عن بعد، ولقد اخترعها بالأساس البريد الألماني العالمي للانترنـت Deutshe post world net، وهـي برمجيّة تقوم بطباعة قوالب رقميّـة حاملـة لبيانـات تعداديّـة تتعلّـق بالباعـث والمتـسلّم وعُنوانهما.

وبمُجـرّد أن يُقبـل المُبحـر عـلى النّافـذة الافتراضـيّة فإنّـه يهـتّم بإنتـاج معلوماتـه، فيتحصّل من شُبّاك التّوزيع البريديّ على قائمة بيانات ويُـسّجل توقيـت الوضـع Date of deposit وقيمة الاسـتخلاص the postage value ورقـم الرُّخـصةthe license number، لتُطبع كُلّها بوُضـوح قُـرب شـعار البريـد، أمّـا بالنّـسبة إلى المنمنمـة فإنّهـا ترتـسم حاملـة لمفردات تشكيليّة فتُؤمّن بذلك سرّ التّشفير وتُترجم **العلامة** المعلومـات بـصفة مـضغوطة، ومن ثمّ تُقرأ فقط عن طريق آلة الفرز البريديّ.

ترتبط المُناولة الرّقميّة للبرمجيّة بالحساب الشخصيّ للمُـستخدم، وتُمـرّر المعلومـات إلى مُزوّد البرمجيّة فتقع المُصادقة على صـحّتها ومـن ثمّـة يقـع تـسجيل الخدمـة ليتـدّخل الشّخص عبر قنوات بريديّة تتميّز بـإفراد منهجـيّ مـضبوط وفـق مـسار اتّـصاليّ، فتُوّضـح خدمة الاستخلاص عن بُعد كلّ المعلومات التّي تتعلّق بحجم وسـعر وعُنـوان المتقبّـل، وفي مرحلة نهائيّة يتحصّل الباعث عـلى طـابع رقمـيّ يُطبـع إمّـا عـبر ناسـخة ليـزر أو ناسـخة بالنّقاط ألحبريّه، أمّا بالنّسبة إلى **العلامة** فتكون إمّا ظرفًـا أو ورقًـا لاصـقًا يُنـسخ في شـكل تشفير ويُلصق على طُرود أو ظُروف ورقيّة.

3. توّجهات منظومة الاستخلاص الإلكترونيّ:

1.3.لمن بُعث الطابع الرّقميّ ؟

لا تُلغي منظومة الاستخلاص الرّقميّ النّظام الكلاسيكيّ وإنّما تُضيف له نواح إيجابيّة تخدم المستهلك وتُلبيّ بعض احتيّاجاته التّي قد لا تكون طلبًا عامًّا بل إنّها تشمل كذلك الطلبات الخاصّة التي تخصّ مُستخدمًا دون غيره، وهي شأنها شأن كلّ مُنتج استهلاكيّ تبادليّ تستدعي البحث عن ضمانات أمنيّة في عمليّتي الإيداع والاستلام، وهنا يطرح الحريف تساؤله الدّائم حول كيفيّة إتمام المعاملة البريديّة في أحسن الظُروف المهنيّة والحرفيّة ؟، لذا يفترض نجاح المُحاورة الرّقميّة تجاوبًا إيجابيًّا بين آليّة الخدمة والمستخدم المتدخّل، وبذلك يتمكّن الفاعل من المُصادقة الافتراضيّة لتأمين حُصول المعاملة بسريّة وحياديّة في المعلومة ممّا يُعطي أكثر أريحيّة للتّعامل التّواصليّ ويضمن حُسن تبادل الخدمة بين الأطراف الثّلاثة المتكوّنة من دائرة البريد والحريف وكذلك مُتقبّل الإرساليّة البريديّة.

تمّ بعث هذا التوّجه ألاستخلاصيّ عن بُعد بطلب من المُؤسّسات الصُّغرى والشّركات الخاصّة التّي تتمتّع بحواسيب مشخّصة إذ يتطلّب مجرى عملها حاجةً أكيدةً ومتواصلةً على طُول اليوم وبحساب أربع وعشرين على أربع وعشرين ساعة وبقياس عدد الدوريّات المشتغلة وبمُعدّل سبعة أيّام على سبعة، هنا تُقرّ سُيولة الإرساليّات سُرعة حركتها حتّى تتحكّم في نظام بريديّ مُواز، كما تُمكّن سلاسة هذه التّقنيّة من تحويل الاتّصال الماليّ على مدار التّوقيت الإداريّ وحتّى أيّام الآحاد والعُطل، وهذا ما أثرى حقًّا هذه الديناميّة بعائدات دُور البريد الحكوميّة لتحقيق حركيّة إيجابيّة، فالمبيعات لا تتوّقف بانتهاء التّوقيت الإداريّ وبذلك يُعتبر الحريف مالكًا شرعيًّا ودائمًا للخدمة كلّما احتاج التدخّل على البرمجيّة لتحويل قيمة الاستخلاص من حسابه ومتى اتّفق له أن يستعمل علامة الإرسال عن بعد، إذ ويكفي أن تُسجّل المعلومة ليقع التحكّم في كُلّ المبادلات البريديّة.

2.3.تقليص مصاريف الصّناعة والتّوزيع:

يعمد التوّجه الافتراضيّ إلى تقليص مصاريف صناعة الطابع البريديّ، ولقد تعرّضنا في الباب الأوّل من هذا الكتاب إلى تشعّب التّقنيات الطباعيّة المعتمدة التّي تُساهم في تحويل الطابع من مادّة افتراضيّة إلى مادّة حبريّه على ورق مصمّغ، وكلّ ما تتطلّبه هذه الصياغة التّحوليّة من **الرّقم** إلى الطابع **العلامة** الورقيّ من أعمال تسنين وتعليب وغيرها من أشغال ما بعد الطباعة، وكذلك كلّ ما يتطلّبه العمل من يد عاملة كثيفة ومواقع عمل مُوّزعة لكي تستوفي احتياجات السُّوق الاستهلاكيّة البريديّة، وبالتّالي فإنّها تُسّجل في مرحلة لاحقة تحوّلها إلى مرحلة التّوزيع والتّسليم مع ضمان تأمين الكمّيات الملبيّة لاحتياجات هُواة جمع الطوابع البريديّة طبعًا بما يُناسب إستراتيجيّة النّشر والتّغطية لشرائح السُّوق المُتداولة للمادّة البريديّة.

من الأجدر بنا أن نعترف بصُعوبة مُواجهة هذا المحمل الثّابت ألا وهو الطابع البريديّ الذّي يضطلع بأدوار عدّة ويتدخّل بوصفه هيكلةً متكاملةً تفترض أبعادًا حيويّة جدًّا وماديّةً في الآن ذاته، فرغم أنّه محمل يعكس هُوّية وانتماء الشّعب المصدّر إلاّ أنّه عملة ماليّة قابلة للتداول تتّسم ببُعد تذكاريّ ثالث، وهذا ما يجعله **علامةً** وتذكرةً تُؤرخ زمنًا أو حدثًا مُعيّنيّن، ولقد تحوّل إلى شاهد على عصره يُسجّل حُضوره في شكل وثيقة تُؤدّي دور عملة متداولة لدى مُجمعيّها الهُوّاة، فتتضاعف القيم الآنيّة إلى قيم ميتافيزيقيّة تبتعد كُلّ البعد عن ظاهر المادّة المُصغّر.

3.3. البريد يصنع صُورة متطوّرة:

كيف نستطيع أن نُقيّم محملاً مُعاصرًا مُقارنةً بالطابع البريديّ الكلاسيكيّ؟ إذا ما كان الطابع الرّقميّ يزخر بثقل أدواره ويكتسي إيجابيّات التطوّر التّكنولوجيّ إلى جانب ما تفرضه آنيّة الإحداث الآليّ من سُرعة تلبية الحاجة

الاستهلاكيّة وما تضبطه الرُّؤية الافتراضيّة من مُرونة وسلاسة في الخدمة البريديّة بما يُجاوز أعطال الزمان والمكان !

لذا فإنّ الإحداث التّكنولوجيّ قد عصّر الرُّؤية التّعامليّة الإنسانيّة وغيّر صُورة القراءة المتداولة، وهنا وعلى هذا المستوى ارتأت دُور البريد أن تُقارب بين المُتغيّرات وتُواكب الإحداث البريديّ، لذا نشهد أنّ إحداث الطابع قد تتالى من "الولايات المتّحدة سنة 1998 تليه ألمانيا سنة 2001 ومن ثمّ بريطانيا سنة 2004 إلى فرنسا سنة 2005"[1] لذا فإنّ بعث هذه المنظومة الرّقميّة أصبح يُقرّ تغيّيرًا في المستوى القرائيّ لإدارة البريد وقُدرةً على تجديد خدماتها بما يُوازي حاجة المستهلك المعاصر.

4.3.تجميع المعلومات الشخصيّة والقُدرة على أرشفتها:

تميّزت الخدمة البريديّة الكلاسيكيّة بتجميع وفرز يدويّ يُنّظم موضوع كلّ إرساليّة في قناة بعث يتحدّد مسارها بتشفير **الرّقم** البريديّ فتسير كُلّ مُراسلة على حدّة، وتُعتبر مُهمّة الفرز والتّنظيم أمرًا شاقًّا بما أنّها تتطلّب يدًا عاملةً وافرةً ووقتًا هامًّا بما يُبطل من سُرعة بعث الإرساليّة إلى حين التأكّد من استلامها، وباتت كلّ هذه الإجراءات تحدّ من فاعليّة الخدمة البريديّة، وهي كذلك لا تُجاري جدوى التّواصل الرّقميّ على شبكة الانترنت وسُرعته، ولكنّها تفرض بدورها أمانة مُتناهيةً وثقةً منذ إصدار الرّسالة من باعثها إلى حدّ ضمان تقبّلها.

تتحوّل **علامة** الاستخلاص الرّقميّ إلى **علامة** قرائيّة خطّيّة تخضع لنظام إلكترونيّ يُشخّص الأيقونة المتحرّكة ويُوّجهها نحو مناطق الإرسال المُناسب، وبالرّغم من أنّ هذه التّقنيّة سائدة اليوم بواسطة استعلام التّرقيم البريديّ إلاّ أنّ الطابع الرّقميّ يتحوّل إلى **علامة** هي في الحقيقة مركز معلومات مضغوطة بقياس المُربع، فيقوم بشحن بيانات المُستخدم الشّخصيّة كما يُشفّر هذه المنمنمات

1. مجلة نات، حقائق عدد 1، 14 سبتمبر 2006

ويُحوّلها إلى معلومات نصيّة، لقد تحوّل الجهاز البريديّ إلى برمجة رقميّة متكاملة تقرأ المعطيات المتداولة وتُخزّنها حتّى تستوعب الإحداثيّات المتفاعلة ضمن سياق قرائيّ منهجيّ يخدم استراتيجيّات المنهج الاتّصاليّ.

يُقدّم الهيكل الإلكترونيّ المُعمّم إداريًّا القُدرة على الإلمام بحركة المبيعات وتحديد درجة الإقبال والنُّفور بالنّسبة إلى المنتجات البريديّة، لذا فإنّ تجميع المعلومة حول عدد الحرفاء ونسبة تفاعلهم مع الإصدارات البريديّة يُضفي وُضوحًا عامًّا في طُرق برمجة المبيعات وتنظيمها ضمن تركيبة السُّوق الاستهلاكيّة للبريد، وبذلك فنحن نُسند هذه الإضافة للمنحى الرّقميّ في قُدرته المُتفاوتة على الإلمام بزمام المعلومة المفردة وتحيّينها ومن ثمّ وضعها في إطار واضح من الشفافيّة والقرائيّة.

إنّ الأيقونة الرّقميّة هي تشفير مضغوط للمعلومات الشخصيّة، لذا فإنّ إضافة عدد من البيانات في مساحة محدودة يُعدّ أمرًا مُمكنًا، فالمُفاعل الرّقميّ قادر على استيعاب عدد غير نهائيّ من المعلومات في نفس حجم المنمنمات المعروضة، وهذا العرض يُعتبر في حدّ ذاته إضافة إيجابيّة في حقّ استغلال أرضيّة الظرف أو الرّسالة البريديّة، كما يُعتبر هذا التحوّل لا مرئيًّا غير أنّه مثاليّ من حيث الأمانة والسرّية المعلوماتيّة.

تُعتبر المساحة القرائيّة للطابع أو للفضاء المُحيط مكانًا مُتميّزًا لحُضور الأيقونة، فهي تُرادف كلّ المعلومات الظاهر منها والباطن ما يُلزمها بسرّية المعاملة البريديّة، وهنا يتكشّف المرئيّ باختلاف ظاهريّ فيُعبّر عن محتوى الأيقونة ودلالاتها كما يرتبط بإيجابيّات سرّية داخل الصّياغة الرّقميّة عبر مسارات مُتداخلة من شبكة الإنترنت، فالخدمة تُسّطر مُخطّطها بحسب توزيع المواقع الافتراضيّة على الخطّ كما تفرض صياغةً خطّيّةً تتماشى مع طرائق العرض والإبحار الإلكترونيّ.

تكمن أهمّ التوّجهات الإستراتيجيّة في إرساء طريقة عرض تتجاوب مع آليّات الاتّصال بين رُوّاد الانترنت ممّا يُسّهل التدخّل والمتابعة وبالتّالي فهو يُحقّق حُسن التّجاوب مع مُبادلات الخدمة البريديّة، لذا ارتأى صانعُوا البرمجيّة أن يعملوا على مقاربة صياغتيّ الانترنت ونظام الخدمة البريديّة وفق نفس منطق الاتّصال وحسب نفس قانون إخراج التّركيبة بما يُسّهل إقبال الوافدين وبما يُيّسر كذلك عمليّة الاستخلاص عن بُعد.

لم تُوجد هذه الإضافات من محض الصّدفة، إنّما هي تُتابع منطق السُّوق البريديّة ولُوجستيك التّوزيع التّسويقيّ للمادّة البريديّة بما يجلب اهتمام عديد المنافسين في السُّوق المحليّة والعالميّة، بمعنى أنّ محدوديّة صرف الطابع البريديّ الورقيّ الكلاسيكيّ في أنحاء البلاد المصدّر تحوّل إلى ارتفاع واضح في مردود أدوات الاستخلاص الافتراضيّ وطُرق اقتنائه في جميع أقاصي العالم، فالمُستهلك أصبح **مُواطنًا عالميًّا** يتدخّل متى أراد وفي أيّ وقت من أوقات اليوم وفي كُلّ مكان من العالم.

ولا تقف المنافسة في حُدود الوطن إنّما تتعدّاها إلى العالميّة والدُّوليّة، لكنّ البلد المُستخدم للمُراسلة البريديّة يشترط تأشيرة عُبور وطنيّة لإرساليّته حتّى تستخلص الدّولة مصاريف الجباية وتُوّظف مراسم البعث البريديّ وتُوزّعه وتصرفه وتُؤمّن بذلك سلامة وُصوله إلى مُتقبليّه، "فتتكيّف بذلك مع هذه الطواعيّة بصفة انتظاميّة حتّى تُلبيّ حاجة الحرفاء والإمكانيّات التّي تُوّفرها التّقنيّات الحديثة"[1] هنا تتجاوب إدارة البريد في الأخير مع الاحتيّاجات الاتّصاليّة وتتواصل مع مُحدثات التّركيبة البريديّة العالميّة.

---

1 . البريد يبتكر مع سيرش.ch، بتاريخ 19 جانفي 2007 البريد السويسري La poste- la poste innove avec search. / www.search.chwww.post.ch/innovations

4.إنتاجيّات الطابع الرّقميّ:

1.4. مركز الولايات المتّحدة للخدمات: الانفتاح الخارجيّ وتشريك الخوّاص

اكتسبت المنظومة أشكال إخراج متعدّدة تنحى كُلّها في اتّجاه واحد هو الاستخلاص عن بُعد وتطبيق منظومة الخدمة البريديّة الالكترونيّة الخاصّة بتلبية حاجة الحرفاء في مقّر إقامتهم والاستجابة لرغباتهم في مختلف الأوقات، ولقد سجّلت الولايات المتّحدة سنة 1998 السّبق في وضع هذه المنظومة الخاصّة محلّ التّجربة، ولقد كان توّجهها هو الانفتاح الخارجيّ على إمكانيّات سُوق الخوّاص، فتوّصل مركز الولايات المتحدّة البريديّة للخدمات United States Postal Service فيما يُعبّر عنه بمختصر USPS إلى "منح إجازات استثمار للسُّوق البريديّة ضمن مُؤسّسات خاصّة تلعب دور وكيل لتوزيع المنتج، غير أنّها اشترطت عليها أن تستجيب لخُصوصيّة الطلبيّة المعلوماتيّة حسب برمجيّة مُوّحدة Information Based Indicia Program ما جعلها تلتزم بتنفيذ برمجيّة مركز الولايات المتحدّة البريديّة للخدمات"[1]، فتُساهم بذلك في خدمة المستهلك وتدفع مُحرّك المبيعات البريديّة داخل إطار من الشّرعيّة والأمنيّة المُلزمة بتداول المحمل.

ونظرا لعُروض الخدمة التّي فرضها مركز الولايات المتّحدة البريديّة للخدمات على المؤسّسات والهياكل الخاصّة، فقد تجاوب أربعُ مؤسّسات خاصّة مع فرضيّات الطلبيّة وراهنت جُلّها على نشر مُعاملة الاستخلاص عن بُعد، ما جعل كلّ واحدة منها تطرح شكلاً مختلفًا لمنظومة الطابع البريديّ لكنّها انضبطت في غالبها بكُرّاس شُروط مُحدّدة حتّى تفرض أسلوب تطبيق مُوّحد لمعاملة تلتزم بنفس المُواصفات، فتضبط بالتّالي أهدافًا اتّصاليّةً مشتركةً، وفي الحقيقة لقد أطلقت كلّ مُؤسّسة اسمًا لمُنتجها مُختلفًا وطرحت طريقة عرض ذات منطق توزيع متنوّع لكنّها تندرج في غالبها من نفس الأصول التّطبيقيّة المبتكرة،

1. ديد، دراسة الاستخلاص عن بعد والطوابع المشخصّة، فرنسا، 2006

وإذا بالسُّوق التّداوليّة البريديّة تتبادل أيقونات إعلاميّة جديدة سُمّيت بـ Endicia, Pitney Bowes Estamps.

علامات اشهارية لمؤسّسات تستحدث نماذج من طوابع رقميّة[1]

وتتدرّج هذه النماذج وفق شكليّن قرائييّن للطابع الرّقميّ:



أ.نمـوذج ستامبس Stamps.com:

تتمثّـل في طباعـة رقميّـة عـلى ورق لاصـق، إذ تقـترح مُؤسّـسة سـتامبس ترحيـل البرمجيّة عن طريق الانترنت على آلة حاسوبك الخاصّ، وتُمكّن هذه الصياغة من الحُصول على لوحة طوابع بريديّة تُمتّع المستخدم بدُخول الفضاء المبرمج مُقابل دفـع مبلـغٍ شـهريّ قدره $ 15,99مقابل خدمات الاستخلاص عن بعد، كما يدلّ مرأى العلامات على أنّ قياس حجمها يُوازي تقريبًا الطابع البريديّ، بـل إنّـك تلمح مـن جانـب اليـسار تـسنينًا يُـذكّرنا **بعلامة** المحمل التّقليديّة، في حين ترتسم جوانبه الثّلاث الأخرى بسطور ومساحات مُوجبة تتراءى على مستوى أفقيّ للتّسعيرة، وكذلك نحن نجد بيانات الانتماء والشّفرات المتنوّعة.

1.http://www.stamps.com/http://www.ebay.fr/http://www.endicia.com/
http://www.usalabel.net/

نموذج ستامبس Stamps[1]



1 . http://www.stamps.com

يُطبع طابع ستامبس عن طريق ناسخة ليزر أو ناسخة نقاط حبريّه وفق نظام P.C الحاسوب الشخصيّ وذلك بطبيعة الحال بعد المرور بمراحل التّسجيل التّي تضمن حُسن استخدام البرمجيّة البريديّة.

ب. نموذج بيتني-باوس Pitney Bowes:

يقوم الأنموذج على برمجيّة Click Stamp التّي تعمل على توليد أيقونة استخلاص عن بعد وتعمد إلى إدخال عنوان المتقبّل والبيانات اللاّزمة لتأمين الإرساليّة البريديّة، وبذلك تتحوّل الحُروف والمعلومات إلى منمنمات تُرتسم في شكل شريط رامز ذي بُعدين وفق بطاقة رقميّة تُسّجل في شكل PDF، ويُقدّر معلوم الاشتراك في البرمجيّة بـ $ 4,95 شهريًّا، كما تقترح في نفس الاتّجاه أنديكا Endicia خدمةً مماثلةً.

موقع أنديكا Endicia وطوابع رقميّة تعتلي ظروف وطرود بريديّة[1]



وإذا ما أوردنا الإحصائيّات التّي تعمل على تحليل الشّريحة المتقبلّة حسب ما ورد في دراسة الاستخلاص عن بُعد والطوابع المشخّصة، فإنّ السُّوق الأمريكية البريديّة تُقدّم عديد الاحتمالات لـ100 مليون مُشارك عاديّ وكذلك العاملين بمقرّ سُكناهم، و21 مليون شركة صغرى ومُتوسّطة يشترك مُجملهم في طلب خدمة بريديّة مُماثلة، كما تُمكّنهم المنظومة الرّقميّة من ربح الوقت وتوفير

---

1. http://www.endicia.com/

المجهود أثناء التحرّك لاقتناء احتيّاجاتهم من المادّة البريديّة، وإذا ما قارناها بفرنسا فإنّ الأشخاص يُقدّرون ب 15 مليون مُقابل 3 ملايين مُؤسّسة صُغرى ومُتوّسطة في نفس فترة ابتكار منظومتيّ البيتني باوس وستامبس.

وإذا ما تقدّمنا إلى سنة 2004 فإنّنا نلحظ أنّ عدد الأفراد المهتمّين ارتفع إلى 5 أضعافه ليُقدّر في الولايات المتّحدة بـ 500 مليون مُساهم في عمليّات الاستخلاص عن بُعد، بما يُعادل عائدات تُقدّر بـ 60 مليون دولار بمعنى أنّ تطوّر المنتج البريديّ قد تجاوز الضُعف.

جدول تطوّر استثمار وعائدات الاستخلاص عن بعد[1]

مداخيل الاستخلاص الافتراضيّ	عدد الأفراد المقبلين على الاستخلاص عن بعد بالولايات المتّحدة	عدد الشّركات الوسطى والصغرى	
30 مليون دولار	100 مليون	21 مليون	1989
60 مليون دولار	500 مليون	43 مليون	2004

يُعتبر نموذج ستامبس كوم Stamps.com هو "الآليّة النّموذجيّة في السُّوق الأمريكيّة التّي تضمن 85 بالمائة من مجموع مُعاملات الإرساليّة البريديّة بما يُقابل 300 ألف مشترك، إنّه نظام افتراضيّ يتجاوب مع احتيّاجات المستهلك ويُحقّق أرباحًا مُتفاوتةً في أقلّ من أربع سنوات"[2]، إنّ برنامج ستامبس كُوم جدير بالتّحليل والتّثبّت والدّراسة، فالمنظومة قد سايرت التّقدّم التّكنولوجيّ والإلكترونيّ

1 . ديد، دراسة الاستخلاص عن بعد والطوابع المشخصّة، فرنسا، 2006.

2. ديد، دراسة الاستخلاص عن بعد والطوابع المشخصّة، فرنسا، 2006.

الذّي سيطر على مجموع استخدامات أغلبيّة الشّعب الأمريكيّ، ممّا مهّد إلى إنـشاء تفاعـل جدّي في البُنية التّحتيّة الرّقميّة وساعد على انتشار المعرفـة الرّقميّـة عـلى نحـو يُحسّن في مستوى التّعامل مع مُفردات الفضاء الإلكترونيّ.

ومن مزايا هذه المنظومة الرّقميّة أنّها حقّقـت ارتفاعًـا واضـحًا بـدرجات عاليـة في الدّخل الخامّ للمصاريف إلى أن بلغت نسبة 78 بالمائة في حـين بلـغ الـدّخل الـصّافي 4،10 مليون دولار، وتـمّ في ظـرف سـبع سـنوات فقـط مـن الفـترة الفاصـلة بـين 1989 و2005 تحقيق الأرباح والعائدات بنسبة قيّمة وعالية تتجاوز كلّ التوّقعات، وفي المُقابل تضاعفت تكاليف بناء المشروع الافتراضيّ من مرحلة مصاريف بعث البرمجيّة إلى توظيفهـا في عُمـق النّظام الشّبكيّ الإلكترونيّ، أمّا بالنّسبة لعمليّة تحويل أموال المستخدميّن فإنّها تقـع بـصفة أوتوماتيكيّة وفق منهج مُبرمج، لذا فإنّ المال المُوّظف في هذا المـشروع هـو جُـزء لا يتجـزأ من الأرباح المنتظرة والعائدات المضمونة.

حـدّدت الدّراسـة قيمـة المـادّة الخـامّ التّـي وُضـعت لتحقيـق شُروط المنظومـة الافتراضيّة "بـ137 مليون دولار في حين حقّقت الأرباح ما يُقارب الضِعف بمـا مُعدّلـه 213 مليون دولار"[1] وهنا تحوّل البرنامج الافتراضيّ إلى إغراء ماديّ ومعنويّ قادر عـلى أن يُـؤمّن إنجاز الفكرة في عديد الدّائرات البريديّة التّي تبحث سنويًّا على التّجديـد في اسـتراتيجيّات التّسويق وإحياءها حتّى تُلبيّ سعيها الدءوب لمُواكبة الإحداث التّكنولوجيّ الـذّي تدّعمـه الدّولة، وهو ما جعلها تُحقّق أرباحًا خياليّةً في مُقابـل مُـدّخرات محـدودة وتكـاليف أقـلّ بكثير ممّا كانت تصرفه إدارات البريد في إنتاج الطابع الكلاسيكيّ.

1 . من جريدة En market Newsletter، بتاريخ 25 أفريل 2001.

وبالرّغم من أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة كانت رائدة في بعث تجربة الطابع البريديّ الرّقميّ، إلاّ أنّها قد اتّكلت في إنجاز ذلك على شركات خوّاص توّلت تقديم مقترحات علميّة وعمليّة، وطرحت أسعارًا تُناسب قانون العرض والطلب بإمكانات تعامل متنوّعة، لذا لم تتولّ الحكومة فرض أنموذج الطابع الرقميّ هذا ولم تنف بذلك حُضور الطابع التّقليديّ.

2.4.التّجربة الألمانيّة: ابتكار خدمة إلكترونيّة متكاملة:

توّلت إدارة البريد الألمانيّ ابتكار برمجيّة Stampit [39] في سبتمبر 2001 واتّصفت بالوُضوح منذ البداية، ولعلّ هذا هو السّبب وراء جزم الكثيرين بأنّ ألمانيا كانت رائدة في مجال تطبيق هذه التّجربة، إذ قامت بابتكار التّجربة الرّقميّة ثالس-أ للتّأمين Thales e-Security التّي عملت على ضمان سرّية المسّطحات الرّقميّة، وستتولى بدورها برمجة نظام الأيقونات المرئيّة، كما قامت بتطوير الفعل الافتراضيّ ليُلبّي احتيّاجات الحريف، فأصبحت المنمنمات تزخر بمعلومات ضافية مثل رقم تعريف الشّخص الباعث وعُنوان مُستقبل الخدمة إلى جانب باقي المعلومات المعهودة في الإرساليّات العاديّة.

كما لا نستطيع أن نُنكر ما تعتمده هذه التّقنيّة المتطوّرة "من ظرف إلكترونيّ ماليّ يُمكّن المُقبليّن سواء كانوا مُؤسّسات أو أشخاص عاديّن من ضبط سعر مُوّحد يُعادل 10 أورو مُقابل التّمتّع بخدمات البرمجيّة"[1]، حتّى يصل مُعدّل المساهميّن في اقتناء البرمجيّة ما يُقارب 40 ألف مُستخدم سنة 2001، ثمّ إنّ تبنّي الفكرة من قبل الدولة أنتج تطوّرًا ملحوظًا في طُرق المُمارسة بُغية تطبيق التّجربة، إذ تولّى البريد الألمانيّ صياغة هيكلة الأنموذج وأقرّ بصلاحيّاته وأمّنه على مستوى التّبادل بالتّراسل لأجل تبليغ المعلومة بالسّلامة المعهودة، ولقد أُرجع تطوّر المنظومة الجديدة إلى أنّ الدولة هي المتحكّمة الأولى والأخيرة

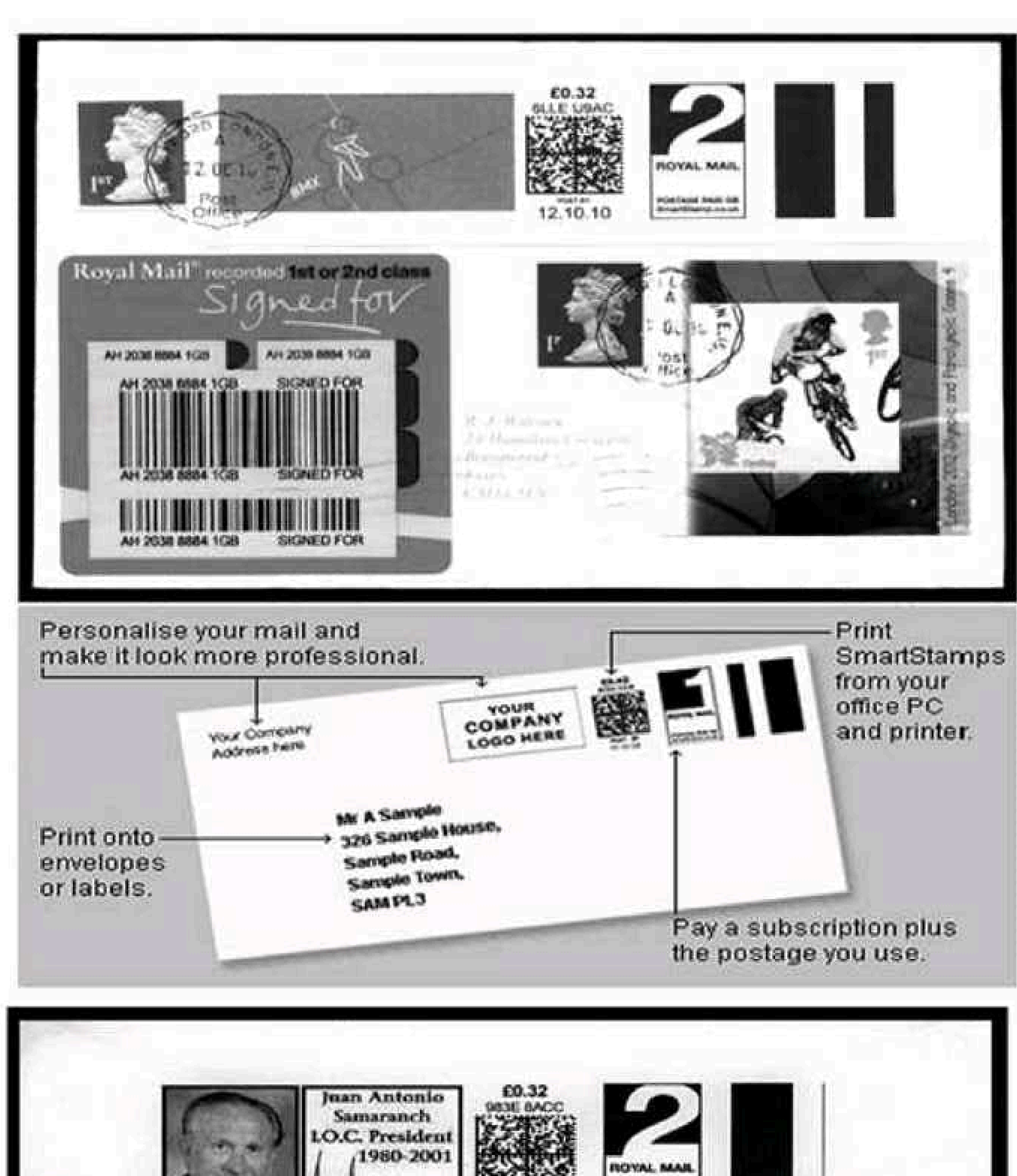
1 . ديد، دراسة النهضة التّكنولوجيّة، جويلية 2004

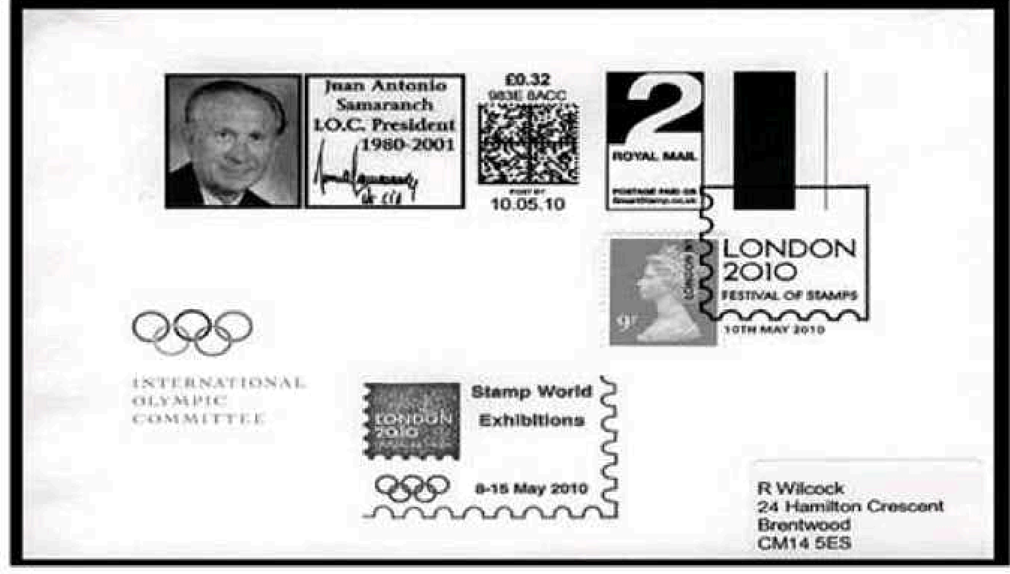
في عمليّة التسيّر بقصد قُدرتها وسُلطتها على تحويل المنظومة إلى نظام ناجع قابل لتلبية احتيّاجات المُستهلكيّن.

3.4.التّجربة البريطانيّة: حلّ وسطيّ

إنّ التّجربة البريطانيّة هي عبارة عن مُماثلة للتّجربة الألمانيّة ولقد سُمّيت برمجيّتها بالطابع الصّغير Smart Stamps الذّي أنتجته سنة 2004، إذ يدفع المشترك شهريًّا ما يُقابل 20،7 جنيه سترليني مُقابل استعمال البرمجيّة كامل الشّهر، ولقد أدّى هذا البرنامج الذّي خُصّص في بداية الأمر فقط للمُؤسّسات الصُّغرى والمتوّسطة إلى توسيع مجالات توزيعهم على كافّة المستخدميّن والمتدخليّن على شبكة الانترنت، وفي العام الأوّل من نشر هذه المنظومة تطوّرت المبيعات إلى حدّ أربعة مليون جنيه إسترلينيّ، إلاّ أنّنا لا نستطيع إنكار النّقد الذّي واجهته هذه الخدمة من الرّأي العامّ البريطانيّ نظرًا لغياب صُورة الملكة باعتبارها علامةً مُميّزةً للانتماء الإنكليزيّ، وبما أنّ المشهد القرائيّ قد غيّب الصُّورة المعنويّة للرّمز الوطنيّ فإنّ رمزيّة الطابع قد تعرّضت إلى هزّة رجعيّة حرّكت رُدود فعل مُضادة لهذا الأُنموذج المعاصر.

نموذج لظرف إنكليزيّ حامل لطابع رقميّ[1]





1 . http://www.delcampe.net/, http://printstamps.co.uk/http://3.bp.blogspot.com

4.4. التّجربـة السويسريّة:

إذا مـا تأمّلنـا بـالعودة إلى الموقـع الافـتراضيّ تحـت تـاريخ 15 مـاي 2002 بعُنـوان "البريد السويسريّ يُجرّب الطابع البريديّ الرّقميّ"[1] فإنّنـا نجـد أنّـه قـد تقـرّر بعـث مثـال نموذجيّ رائد يُـوّزع عـلى ثلاثـين مـشترك وقـع اختيّـارهم خصيـصًا لمُـساعدة إدارة البريـد السويسريّ على القيام بالتّجربة، كما تُمكّن جُلّ هـذه التّطبيقـات مـن التوّصـل إلى حُلـول ناجعة وعمليّة قصد تعميم التّجربة، وعلى نفـس منـوال وخُطـى برمجيّـة البريـد الألمـانيّ، فلقد عمل السُويسريّون على استخراج قوالب من الأيقونات التّي تتمثّـل في شـكل **علامـة رقميّة** استغنت تمامًا عـلى طباعـة الأوفـست لتُعوّضـها بناسـخة عاديّـة، وهـذا مـا جعـل استخدام هذه البرمجيّة أمرًا مُمكنًا للإنسان العادّي وقيد تنفيذه حتّى تبلغ هذه التّجربـة في صيف 2003 أوّجها.

لقـد وقـع الاتّكـال عـلى نظـام الحاسـوب العـائليّ في محاولـة جريئـة حتّـى يفهـم المستخدم مقتضيات الواقع التّداوليّ الرّقميّ، وبذلك قيـست كـلّ الفرضـيّات التّـي قـدّمها البريد السويسريّ لإخضاع هذا المبحث الآليّ البريديّ للتّجربة ووضعه تحت محكّ الممارسة الاستخداميّة، ومن ثمّ إعطاء مُهلة زمنيّة للمُستخدم لـيفهم طُـرق تـسيّير الأنمـوذج حتّـى يستطيع استيعابه وفي الأخير يُحوّله إلى **علامة** تخـدم المُراسـلات البريديّـة وتُـضيف بـذلك إيجابيًّا للتّجربة التّفاعليّة الافتراضيّة.

والجدير بالذّكر هو أنّ التّجربة البريديّة الجديدة قد ساهمت في اسـتقطاب مُستخدمين جُدد لا يتفاعلون مع الطـابع التّقليـديّ إنّمـا تـشدّ اهـتّمامهم المُداخلـة الرّقميّة والمُعاملة الإلكترونيّة على الخطّ، وكذلك غيرهم من الخواصّ والتّجار الـذّين يزنون الوقت بثمن معنويّ ويجدون في الاستخلاص عن بُعد حلاً سريعًـا يُـساعدهم عـلى تنفيـذ المهمّـة البريديّـة بـسُرعة تُـوازي توزيـع مُراسـلاتهم عـبر بريـد

1. www.post.ch/fr/uk_die_schweizerishe_post.htm

الكترونيّ دُون التّحوّل إلى عين المكان لاقتناء مُنتجهم، فتكون بذلك البرمجيّة مُؤمّنةً بكلمة السرّ، وبذلك تتحوّل كُلّ البيانات إلى **أرقام** تُعرّف بالمستخدم، وتُصبح بالتّالي **العلامات** بمثابة مفتاح وصل يجمع بين إدارة البريد ومُستخدميّ البرمجيّة.

تُطبع إلى جانب **العلامة الأيقونة** شعار المُؤسّسة ومن ثمّ نجد على نفس الظرف البريديّ تاريخ التّسليم وقيمة الاستخلاص وترقيم الأحقيّة، ولعلّ الإضافة المسّجلة إلى جانب ما أورده الإنكليز والألمان تتمثّل خاصّة في مُرونة البرمجيّة وسلاستها في التّفاعل الجديّ مع تطبيقات ميكرو-سوفت وهي أنظمة شائعة عالميًّا، وعلى الرّغم من أنّ التّجربة لا تزال تتعثّر إلاّ أنّ البريد السويسريّ اتّخذ كلّ الاحتيّاطات الواجبة لإنجاح عمليّة الاستخلاص الافتراضيّ.

وفي نفس الوقت سعى البريد السويسريّ إلى المُحافظة على اهتّمام الهُوّاة المُجمّعين للطوابع البريديّة وشدّ انتباههم، وبالرّغم من أنّ المنظومة تتعارض ظاهريًّا مع الصُّورة التّقليديّة المتناولة للمُنتج البريديّ إلاّ أنّ صاحب المقال صوّر ردّة فعل البريد السويسري قائلاً "اقترحت وحدة الطوابع البريديّة في فترة التّجربة على الهُوّاة المُجمعيّن عرضًا متكاملاً للمُنتج البريديّ بالآليّات الجديدة لتحقيق الاستخلاص الافتراضيّ" وأضاف قائلاً "بأنّه سيقع إصدار مقالات تتحدّث عن التّجربة الرّائدة في بداية 2003 ليُصبح بإمكان المتّقبليّن الإطّلاع على هذا الميدان الجديد الذّي سيُثير عديد الهُوّاة المُجمّعين"[1].

---

www.post.ch/fr/uk_die_schweizerishe_post.htm . 1

نـافذة الـبرمجـة واب ستامب webstamp الافتراضيّة[1]



1 . http://www.philaseiten.de/cgi-bin/index.pl?ST=4499&da=1&F=1

وفي نفس السّياق الإعلانيّ فإنّنا نلحظ تفاؤل البريد السويسريّ بابتكار الطابع الرّقميّ، وبالرّغم من أنّه لم يكن من أوّل الدُّول التّي ساهمت في بعث هذا الطابع إلاّ أنّها كلّلته بإستراتيجيّة بثّ وتوزيع على الخطّ، حتّى تضمن تقبّل السُّوق البريديّة وشرائحها المتنوّعة لهذا المولود الجديد، ولكي لا تُطيح بميزان سُلطة هذه القوّة التّجاريّة المرجعيّة التّي قدّمت سابقًا فيها سنوات من العمل والجُهد لاستجلاب اهتّمام مُقتنيّه وشدّ انتباههم وتلبيّة خدماتهم.

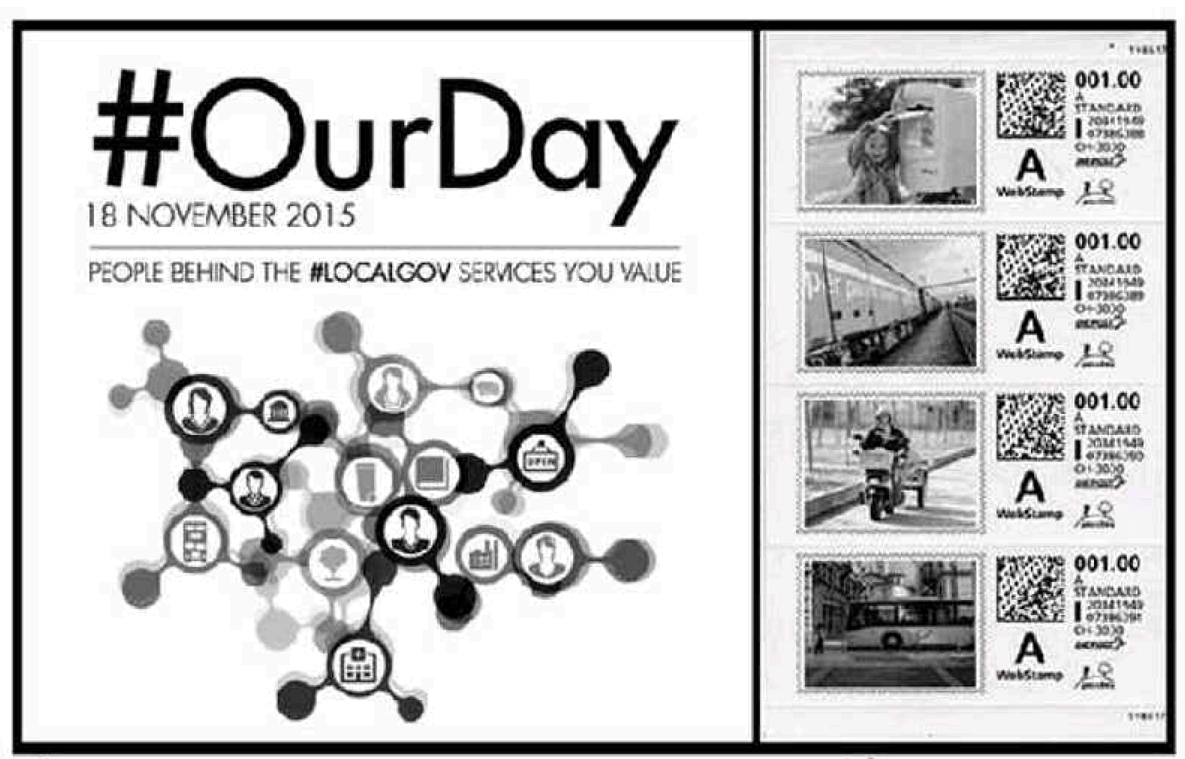
فليس غريبًا أن لا تضمن رفض المستخدمّين القُدامى في حال فشل أو نجاح التّجربة الافتراضيّة إلاّ أنّها مهّدت إلى قيام أرضيّة عرض خدماتيّ جديدة تُقدّم ثُنائيّة المُنتج التّقليديّ والإحداث الرّقميّ، وهي نوع من المبادرة التّي تُعتبر رائدة في نوعها حتّى أنّها تضمن تعدّي الإحساس الإيجابيّ بتقبّل **العلامة الأيقونيّة** المبتكرة مع زعزعة واضحة في القياسات النمطيّة المُتوارثة، وهنا سيبحث الهُوّاة والتُّجار والمُستهلكون على اختلاف أنواعهم في حداثة المُنتج ومنه إلى تذكاريّة **الطابع وعلاماته** التّشكيليّة التّي عادة ما يزخر بها حجمه الصّغير !

ثمّ إذا ما استرجعنا بعث هذا الأنموذج الرّقميّ فإنّنا نُلاحظ أنّ البريد السويسريّ قد زيّن هذه المنظومة الافتراضيّة بحُلّة ولم يتوانى عن الإكثار من الإشهار عند صُدور هذا الأنموذج، ورغم أنّنا لن نتحدّث مستقبلاً عن يوم إصدار إلاّ أنّه سيُصبح في مُتناول المستهلك متى شاء ومتى دعت حاجته إلى إصدار طابع رقميّ مُشّخص، إلاّ أنّ البريد سيبقى هيكلاً إداريًّا يتمتّع بأهليّة الدّفاع عن حُقوق الدّولة في بعث تجربة مستحدثة بمقاربة عصريّة.

فهذا الأُنموذج الرّقميّ قد حقّق إضافات ماديّة عملاقة للقائمّين على التّجربة والسبّاقين إلى تطبيقها أمثال البريد الأمريكيّ والألمانيّ، لذا فإنّ نَفَسًا تفاؤليًّا يسود رُوّاد البريد السويسريّ حين يُدركون أنّ للإحداث التّكنولوجيّ بُعدًا

إيجابيًا في إثراء العائدات وتحديث التوّجهات الإستراتيجيّة في شتّى المداولات البريديّة ما يُحوّر في المنحى التّداوليّ للمُراسلة الإلكترونيّة.

معلّقة إشهارية صدرت في اليوم الأوّل لإصدار الطابع الرّقميّ[1]



وفي نفس الإطار تُبلّغ المعلومة الإشهاريّة عن بعث مولود جديد فنجد أنّ البريد السويسري نشر في 11 فيفري 2005 مقال تحت عُنوان "الطابع الرّقميّ يصل"[2] قدّم من خلاله برمجيّة واب ستامب webstamp وطرح سعة الإمكانات وطرائق اقتنائها أو استنساخها عبر موقعهم www.postmail.ch/webstamp كما أنّه مكّن المستخدم من نسخة مجانيّة يتخلّلها درس تفسيريّ في طرائق مُناولة البرمجيّة، وهنا نُلاحظ بأنّ إستراتيجيّة تسويق المُنتج شهدت تطوّرًا ملحوظًا واعتمدت منهجيّة تدريجيّة إعلاميّة، ولقد أراد البريد منذ البداية ومباشرة بعد الإعلان عن التّجربة شدّ أنظار الهُوّاة بعرض مُنتج يُوازي بين المنحيَيْن القديم الكلاسيكيّ والعصريّ المتطوّر.

1. http://www.delcampe.net/page/item/id,0300945781,language,F.html
2 . www.swisspost.com/Fr/index/UR

ومن ثمّ بلغنا مرحلة الإعلان الرّسميّ على تحوّل التّجربة من الفكرة المبرمجة إلى واقع فعليّ عمليّ ودخلت المعلومة الافتراضيّة حيّز الممارسة التّطبيقيّة، وهُنا بادر البريد السويسريّ بالإعلام ألإشهاريّ أوّلاً، ومن ثمّة قام ثانيًا بتحديد سعر الخدمة ب 90 فرنك سويسري سنويًّا، كما أضاف ثالثًا تخفيضًا يُقدّر بـ30 فرنك بمُناسبة بعث الخدمة حتّى نهاية 2005، بمعنى أنّ هذا العرض النّسبيّ ألإشهاريّ بلغ ثُلث التّسعيرة القابلة للتّقليص مُدّة ستّة أشهر كاملة.

وهنا نُقرّ بأنّ مُخطّط إقحام هذا المُنتج العصريّ صدر مُرفقًا ببرمجة مسبّقة وعميقة واستهدف أيادي شريحة واسعة من المستهلكيّن وقدّم في المقابل أنواعًا مختلفةً من عمليّات الاستخلاص عن بعد، ممّا استوجب تقديم حاجيّات الحُرفاء وضرورة تأمين طرائق متنوّعة من إرساليّات البريد مُقابل مبلغ ماديّ ضخم ومهمّ، وبذلك يكون البريد السويسريّ قد راهن على الفوز بهذه التّجربة الافتراضيّة، كما أنّه عمد بكلّ الطُرق إلى إقناع المستهلكيّن بجدارة المحمل الجديد وفاعليّته، وبذلك يكون قد يسّر سُبل تسويق متعدّدة تشدّ أنظار الشّرائح الاجتماعيّة على اختلافها.

يسبق إصدار الطابع الرّقميّ كلّ هذه المراحل التّسويقيّة ليتحوّل الطابع إلى أيقونة متعارف عليها، كما أنّ طريقة الدّفع المسبق تُفسّر قيمة الخدمة البريديّة وطريقة التّفاعل معها، كما سعت إدارة البريد السويسريّ إلى أن تُباشر الموضوع من جميع جوانبه لتحقيق التّفاعل الواجب مع السُّوق البريديّة ومباشرة أرضيّة مُلائمة لاستقبال هذا الطابع الرّقميّ.

5.4. التّجربة الفرنسيّة:

في أوّل ظهور له بفرنسا في فيفري 2005 صدر مقال بعنوان "الطابع الرّقميّ يُظهر أسنانه الأولى بفرنسا" بتاريخ 21 فيفري 2005 بقلم ديدي فوراي Didier Forray حتّى أنّه يجزم مُتحدّثًا "بعد أن تعرّفنا على الطابع المطبوع جاء

الطابع الذّي ينطبع بذاته"[1]، إنّها طريقة تعبير تُفسّر موضوعيًّا الفرق بين الطابعيْن التّقليديّ والافتراضيّ إلاّ أنّها تحدّ نوعًا ما من قيمة الإحداث العصريّ كما نلتمس باطنيًّا لهجة امتعاض من الكاتب حول انطلاقة عمليّة الاستخلاص عن بُعد.

ولقد وقع تعاقد بالفعل بين كرونوبوست Chronopost وبرايم مينستر Primeminister في فيفري 2005 لعرض خدمة الاستخلاص عن بُعد، غير أنّ هذه الطلبيّة وُقّعت في مطبعة ممّا خلق اختلالاً في فهم حقيقة العمليّة الافتراضيّة، إذ يُبحر الحريف على هذا الموقع ويضبط بيانات المتقبّل ومعلومات حول الإرساليّة مثل ميزان الطّرد وساعة التّسليم وتأمين المادّة المبعوثة، وبمُجرّد أن يستخلص الحريف الخدمة ببطاقته البنكيّة يمرّ إلى طباعة أيقونة استخلاص ومن ثمّ يضعها على الظرف أو الطّرد ما ساهم في شدّ اهتمام 650 ألف من الأفراد و250 ألف مُؤسّسة."[2]

وفي نفس السّياق الإعلانيّ فإنّ البريد الفرنسيّ قد حاول تدارك تأخّره عن التّطورات المُستجدّة في هذا الموضوع، فالبريد الأمريكيّ والألمانيّ والبريطانيّ قد سبقوه في إرساء هذه التّجربة قيد التّنفيذ.

5.إحداث الطابع الرّقميّ المشخّص:

تُحقّق منظومة الاستخلاص عن بُعد مراسلات شبكيّة لا تتحدّد بزمان ولا مكان، تنطلق من نيّة اقتناء المنتج إلى إتّمام بعث المراسلة موضوع الخدمة البريديّة، فتحوّلت في ظلّ هذه المنظومة الرّقميّة الجديدة كلّ مفاهيم الإدراك المرئيّ من الطابع التّقليديّ إلى إحداث مُعاصر يشذّ عن كلّ ما هو كلاسيكيّ ثابت.

1.Didier Forray , (21/02/2005), a 18h 3 ,Le timbre numérique fait ses premières dents en France, , www.01.net.com/article 267675.html

2 . Net actualité, 14 septembre 2006

إنّنا اليوم نشهد **علامة رقميّة** تترّكب من رموز ومنمنمات تتشكّل في صورة بيكسلات سوداء ركيزتها **الرّقم**، وكأنّنا نرى صُورة رقميّة في شكل مكبّر فنلحظ التدرّج السُّلميّ لتعدادها المزدوج، ونتذكّر ما كان يطغى على هذا المشهد المرئيّ للطابع التّقليديّ من موروث الانتماء فطابع اليوم لم يعد رمزاً تمثيليًّا لأحداث تذكاريّة، وقد نُفاجئ للوهلة الأولى بأنّنا نُدّقق النّظر دون أن نجد ما نحن بصدد البحث عنه آنفًا وما تعوّدنا استخراجه من هذا المحمل الصّغير، إذ ليس هناك لا موضوع إصدار ولا تركيبة نصيّة تُوضّح معالم الإصدار، ولن نحتاج منذ الآن إلى مكبّرة لتقصّي دقائق الصُّورة وفهم جماليّة التّصميم الذّي يُوحي بدلالات الموضوع وعلاماته.

لا نستطيع أن ننكر امتعاض البريطانييّن وهم يشهدون ظرفًا لأوّل مرّة لا يحمل صورة الملكة رمز الانتماء البريطانيّ الذّي لا يُحبّذون الاستغناء عنه، ولم يكن هذا الاستياء بالهيّن فهُم من بادروا إلى اكتشاف الطابع الكلاسيكيّ الأوّل، وعلى الرّغم من أنّهم لم يكونوا الأوائل في بعث هذه المنظومة البريديّة إلاّ أنّهم عمدوا إلى اقتراح مقاربة بين الطابع التّقليديّ **والأيقونة الرّقميّة**، ليبلغ مستوى الإحداث المُقاربة الكاملة بين الصُّورة الكلاسيكيّة **والعلامة الرّقميّة**، وبات من الممكن إحداث مُوازنة بين الاتّجاهيّن لإحداث حقبتيّن من الزّمن في "طابع رقميّ مُشخّص".

نموذج لطابع رقميّ مشخّص[1]



تقـوم **العلامـة الأيقونيّـة الرّقميّـة** عـلى بُعـديّن وتُـسّجل بوصـفها بطاقـة رقميّـة مسّطحة، في حين تنطبع الصُّورة المشخّصة لموضوع الحريف، ومن الممكن أن يكون المثـال المصوّر من اختيار المستخدم، إذ يقـوم باستنـساخه مـن مكتبتـه الافتراضـيّة إمّـا في شـكل طوابع بريديّة تقليديّة أو أن يُشخّص صُورة خاصّة أو عامّة.

1 . http://www.endicia.com/segments/all-products/picture-it-postage
http://www.pictureitpostage.com/PhotoEditor/EditImage.cfm
https://www.post.ch/-/media/post/ueber-uns/medienmitteilungen/2010/bilder/info10-webstamp-bildschirm-1000-758.jpg?la=fr&vs=1

1.5. الطابع المشخّص، الصُّورة والأيقونة رقميّان:

وهنا تتحوّل الإحداثيّة إلى مستوييّن من الإخراج فإمّا أن نـستقي موضـوع الـصُّورة من موقع افتراضيّ يتبع إدارة البريـد ونُشخّـصها حـسب نوعيّـة المُراسـلة، أو أن نـستعمل صورة خاصّة بنا من مكتبتنا الخّاصة، ووفقا لهاتيّن الإمكانيتيّن فإنّنا نستعيد حُضور الطابع البريديّ في شكل رقميّ، حتّى نطرح في الأخير إشكالات عدّة حول طريقة اسـتعماله وآليّـة صياغته.

نموذج لطابع رقميّ: الصُّورة والأيقونة رقميّان[1]



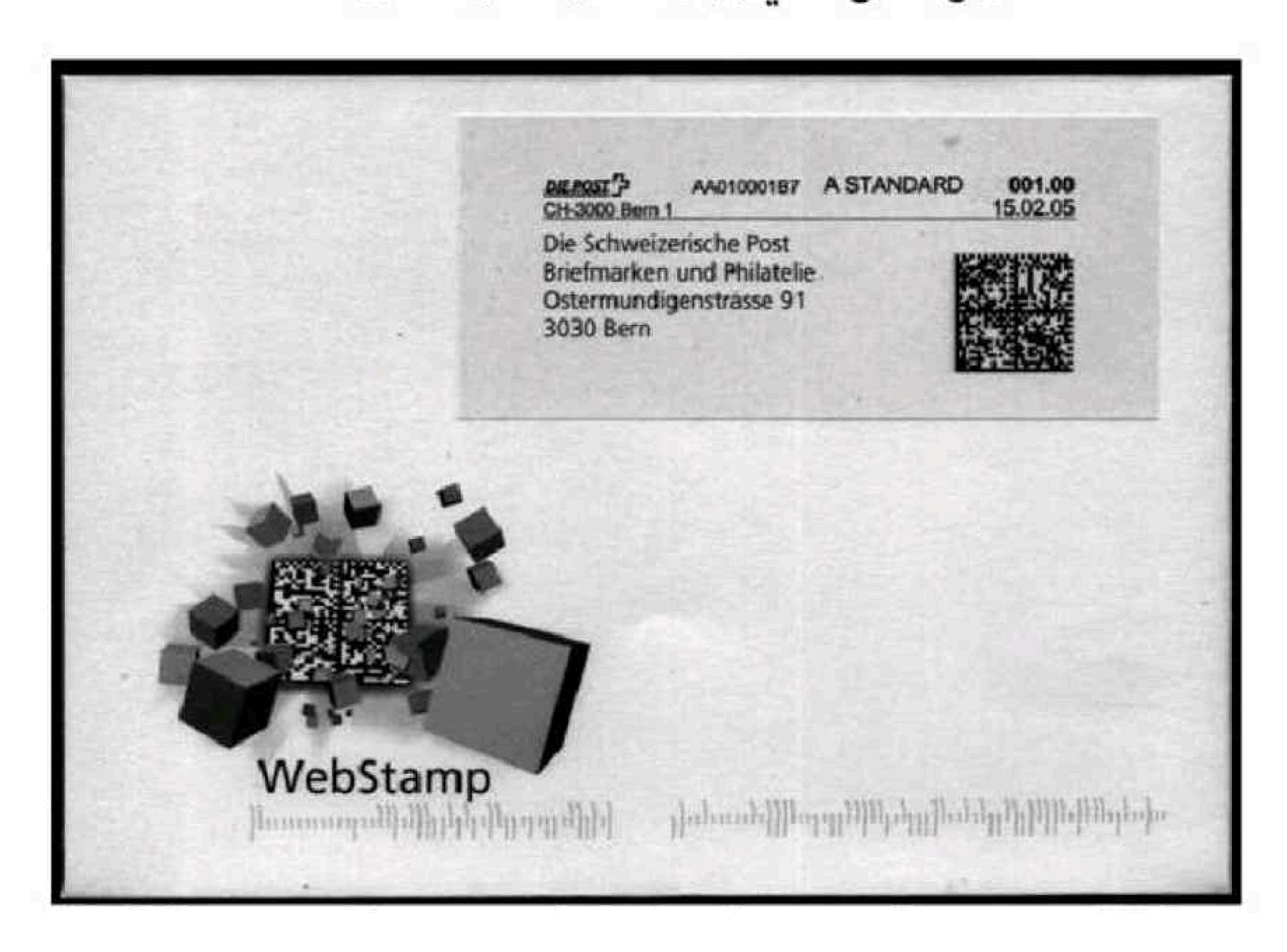
لذا نحن نتساءل حول طبيعة الإخراج النّهائي لطابع رقميّ مشخّص ؟ وما مدى ثراء المكتبة الافتراضيّة ؟ ومن ثمّ كيف ستتدخّل الأيقونة الرّقميّة في تركيبة النّموذج الرّقمـيّ ؟ وما مدى فاعليّة التّصميم في إحداث مداخلة صـياغيّة مثاليّـة لابتكـار قـرائيّ مـستحدث ؟ وهل يُعتبر التّشخيص ذا منحى ذاتّي أم عامّ ؟ وما فاعليّة المقاربة التّشخيـصيّة ؟ ومـن ثـمّ ما تأثيرها في تحقيق أهداف المنظومة الاتّصاليّة ؟

1.https://www.post.ch/fr/notre-profil/entreprise/medias/communiques-de-presse/2010/webstamp-25-millions-de-timbres-deja-imprimes-par-les-clients

2.5.الطابع المشخّص: الصُّورة مطبوعة والأيقونة رقميّة:

يُعدّ المستوى الثّاني من إخراج الطابع الرّقميّ المشخّص هو أن يحصل الحريف على لوحة طوابع مشخّصة من قبل دار البريد، وعليه التدخّل لإنتاج الأيقونة الرّقميّة بجوار الصُّور المشخّصة، وفي الحقيقة تُعتبر هذه الممارسة بمثابة المزاوجة بين المرحلة الطباعيّة التّقليديّة والبعد الافتراضيّ للاستخلاص عن بُعد، وهنا نتأكّد من أنّ مباشرة الممارسة الإلكترونيّة تتفاعل ذهابًا وإيّابًا لتحقيق مُعادلة عمليّة تتناسب مع جُلّ الفئات الاجتماعيّة، ووفقا لهذا المنظور المتقدّم والمتحوّل يُصبح من الجائز أن نبحث وراء ماهية الإخراج النّهائيّ للطابع الرّقميّ بما يُلبيّ احتيّاجات السُّوق الاستهلاكيّة البريديّة سواء على مستوى المعاملة الإنسانيّة أو حتّى على المستوى الافتراضيّ الرّقميّ.

نموذج لطابع رقميّ بأيقونة رقميّة وصورة مطبوعة[1]



1 . http://www.vigfila.be/prijslijsten/CH.htm

خاتمة الباب الرّابع

يتناول هذا الباب نُقطتيْن فاصلتيْن هما **العلامة والرّقم**، وهما عبارة عن محورين مُتّصلين غير منفصلين، لقد تمّ بناء الكتاب في جملته على أساسهما، وهنا نكتشف في هذا الباب تحوّل **العلامة** الورقيّة إلى **علامة** رقميّة، فنُلاحظ مدى تطوّر المنحى القرائيّ الإدراكيّ للمُستخدم الذّي أصبح خاضعًا لمجمع المعلومات الالكترونيّ، يُعدّد في أساليب التّبادل والتّواصل الاجتماعيّ والبريديّ على حدّ السّواء.

نعم، لقد تطوّرت الآلة وفرائضها وتقنيّاتها ما دفع المُستخدم إلى فهم إحداثيّاتها ومكّنه من التّوغل في امتدادها لكشف مُفارقاتها وتجلّي أغوارها، ونحن إذ نتناول انتقال المُستخدم إلى مُستهلك للمادّة البريديّة، فإنّه قد تحوّل من مُتقبّل عُموميّ إلى مُتقبّل خُصوصيّ وهاو للطابع وقارئ في الصُّورة ومُتأمّل في أبعادها الحضاريّة والثّقافيّة، ثمّ هو لم يكتفي بكلّ هذا بل تعدّى **بالعلامة** من شكل الأيقونة البسيط إلى **أيقونة الرّقم** الفاعلة والمُتفاعلة معًا، تصهره داخل بوتقة الأداة وتُقحمه في ما لا نهائيّ من مسارات المُعاملة البريديّة الالكترونيّة.

وإذا ما استرجعنا الصيرورة التّاريخيّة **للعلامة** فنجد أنّها قد غادرت الورشة اليدويّة واستقرّت في بُؤرة الأداة وتحوّلت من فُروض اليد إلى فرضيّات الآلة فأصبحت جُزءا لا يتّجزأ منها، ما اضطر **صانع العلامة** إلى التّركيز والتدّخل لفهم قياس صيرورتها ومنطق تجاوبها، وفي الأخير نحن نُواجه اليوم **العلامة** تخرج من فضاء الأداة فتفرض أُسلوبًا جديدًا في التّبادل البريديّ وتحكم الإرساليّة بقانون افتراضيّ فرضيّ غير ملموس وغير ماديّ.

إنّنا نقتحم عصر الأداة الآلة فننتقل من **فرضيّة الآلة إلى فهم آليّة الافتراض**، ونلج بُحورًا ومسارات متداخلة من قواعد الاتّصال الحديث على الخطّ.

خاتمة

إنّنا نعبر حقًّا جسرًا شديد الضّيق فتتقاذفنا تارّة أمواج ضخامة الإرث البريديّ وتارّة أخرى أمواج العالم الافتراضيّ ووتيرة إحداثيّاته المبتكرة، ثمّ نحن نلتفت إلى الوراء فيُثقلنا مسار تطوّر **العلامة البريديّة**، وهي تتنزّل صُورة تقنيّة طباعيّة وأخرى تسويقيّة تجاريّة وأخرى تُحدث في الإدراك المرئيّ وتنطبع بالمجال الرّقميّ وإحداثيّاته، ممّا حوّل الإنسان إلى بُؤرة إحداث تتفاعل مع ما هو آت وتزخر بكلّ ما فات، إنّه ذاته إنسان يتهادى **من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض** غير قادر على أن يتخلّص من تاريخ صُنعها، فهو جُزء لا يتجزّأ من حركيّة إنتاجها وتلتزم حاجته طوعًا بنفاذه للمعلومة وقُدرته على تحويل الفكرة أمرًا جائزًا ومُمكنًا علّه يجد إجابات تشفي حاجته وسُؤاله عن كُنه التّجربة الافتراضيّة الاتّصاليّة !

إنّنا نُعرب عن توق إنسانيّ يدفع المستهلك إلى مُواكبة إحداث المادّة وتجاوز حدّ الالتزام بنافذة شاشة الحاسوب حتّى يُطلق عنانه داخل فرضيّات آليّة تُقحمه داخل قنوات متداخلة تُوصف بما يُعرف بالاتّصال المُباشر عبر الخطّ، هنا يُصبح من السّهل الجزم بأنّ "المتمثّلات تتجسّد دائمًا من القيم المتزامنة الصّعبة في بُعدين وهي كذلك أكثر صُعوبة في ثُلاثيّة الأبعاد، فتجربة الفنّ والإدراك الحسّيّ النّفسيّ اللّذان تحملان إحداثًا جديدًا أكثر فعاليّة تُواجهان تحدّي المتمثّلات البصريّة"[1]، فيُحيي المستخدم غريزةً حيّةً ويستملي مُيولاً واعيةً وأخرى لا يُدرك حتّى أبعادها ومُنتهاها، إنّه يسير نحو المجهول المتخفّي وراء امتداد مفردات إلكترونيّة وأيقونات مبرمجة ومتحرّكة، إنّه عالم **العلامة الرّقم** بشتّى تنوّعاته وفرائضه.

1.Van Dam, Andries, (2002), *Experiments in Immersive Virtual Reality for Scientific Visualization*, Computers & Graphics 26 535–555, page 541

نعم لقد قابل الطابع الرّقميّ استياء عامًّا بالرّغم من عدد الإضافات التّي أهدتها الخدمة الافتراضيّة، ولم يتسبّب هذا كلّه في امتعاض الهُوّاة والمُجمّعين فقط إنّما طال المُستهلك العاديّ، فالمادّة البريديّة أصبحت تفتقد لثروة ادخاريّة حضاريّة، وبذلك أصبح من الصّعب تقبّل الطابع في شكله الجديد الغريب عن سكن الهُوّية، كما أنّنا لا نستطيع حتّى تبنيّه في ظلّ كُلّ هذه التّحوّلات التّكنولوجيّة ونحن نقرأ مدى تأثيرها السّلبيّ في طمس الموروث الحضاريّ وجعله قيد الإتلاف والإهمال والتّناسي.

تفترض التّجربة الإرساليّة شأنها شأن كلّ ابتكار مُستحدث موضوعيّة في التّجديد وهي تُضيف فعلاً للعمليّة المهنيّة منطقًا تسويقيًّا وفهمًا عميقًا لأسباب بعث هذه المنظومة الافتراضيّة التّي وازنت بين الابتكارات الرّقميّة وساهمت في إرساء التّجارة الإليكترونيّة عبر موازين العمل الإداريّ المنتظم، فيسّرت بذلك قنوات الاتّصال الإنسانيّ عبر الخطّ، إلاّ أنّ أيّ ابتكار في المجال الرّقميّ بات مُمكنًا ومُهمًّا متى عدّلنا الرُّؤى المستقبليّة وعملنا على إرساء حلّ وسط بين الواقع والحلم بما يخدم المصلحة العامّة، ثمّ نحن نشتغل بالأساس على فاعليّة المُمارسة والاتّصال ونعمل على تحويل التّجربة أمرًا جائزًا قيد الإمكان العمليّ الناجع.

وإذا ما استرجعنا تاريخيّة التطوّر التّكنولوجيّ فإنّنا نلحظ أنّ الإحداث يتجاوب مع رُدود الحاجة الرّاهنة، وبطبيعة الحال فإنّ بعث أيّة منظومة متكاملة تُرضي جميع الأطراف يُعدّ من قبيل الاستحالة، لذا فإنّ اقتراح حلّ عمليّ وسط للمراسلة الإلكترونيّة يخدم مصالح البريد والمتّقبل على حدّ السّواء أصبح أمرًا ممكنًا، وبالمثل فنحن نُراعي نجاعة الخدمة المقدّمة للحريف ما يجعل الطابع الرّقميّ يحظى بأولويّة في البُلدان الرّائدة التّي أقدّمت على نشر هذه المنظومة الرّقميّة، غير إنّنا نُواجه عديد التّساؤلات التّي تطرح نفسها، فإلى أيّ مدى

يتحوّل الطابع الرّقميّ إلى مادّة تخدم جُلّ الأطراف المساهمة في رعاية هذا المحمل ؟ وهل من المُمكن ابتكار منظومة افتراضيّة تُقلّص حجم عائدات السُّوق البريديّة ؟ أو هل أنّها بالأساس تُساهم فقط في ارتفاع دخلها ؟ وهل سيُضفي هذا الابتكار مُستويات حديثة في التّجميع والصّرف ؟ وهل يعمد الأنموذج الجديد إلى تطوير هواية جمع الطوابع البريديّة ؟ ثمّ هل تصنع الأيقونة الرّقميّة بُعدًا هادفًا وحضاريًا ؟

حقًّا إنّ المبحث التّكنولوجي ثريّ بالتّحويرات ومُجدّد في الابتكارات التّي قد تُضفي لأيّ مُنتج رُدودًا إيجابيّةً حتّى تصير النّقائص إضافات ويتحوّل المُستحيل مُمكنًا، وللمُلاحظ أن يُقرّ بقيمة التّحويرات التّي نشهدها في البرمجيّات الرّقميّة من نسخة إلى أخرى، وما علينا إلاّ أن ندفع هذا التّجديد ببعث ديناميّة في المشتريات والمُحافظة على حركة التّجديد في المنتجات وإثارة رُدود فعل إيجابيّة حول عائدات العرض المقدّم للمستهلك.

فليس غريبًا أن نشهد اليوم ابتكار استخلاص افتراضيّ يعتمد الدّفع المسبق ويُؤمّن محمله من حيث البيانات الإضافيّة حول الباعث والمتقبّل، كما أنّه من الجائز أن نُغيّر رُؤيتنا التّفاعليّة إذا ما كان منطق المعاملة يفترض ذلك، وبالرّغم من ثقل الرُّؤية التّي تُلزمنا بالتّساؤل والحيرة، فإنّ الحُلول الخطّيّة واردة وإمكانيّة تعديل المحمل جائزة إذا ما ألممّنا بالحاجة الاستهلاكيّة للمُتّقبل وأدركنا قيمة التّبادل الاتّصاليّ وتلّمسنا طريقنا إلى فهم ضوابط الرّسالة وطُقوس اشتغالها.

كما أنّنا عرّجنا على المستوى المعنويّ المرتبط بحُضور الطابع بوصفه موروثًا قيّمًا وعُملةً نُراهن على أنّها ضمان فعليّ لتأمين التّراسل وتنقيح المُعاملة الرّقميّة، ثمّ إنّ المبحث الجدليّ فرض التّساؤلات وقدّم احتمالات لا نهائيّة من الإجابة التّي تتطلّب الإيحاء والبحث في مُحيط الإحداثيّات حتّى نتمكّن آخر المطاف من إدراك تصوّر فعليّ حول أشكال المُمارسة التّطبيقيّة.

لذا فنحن نتساءل حول قيمة تبلوّر المادّة تكنولوجيًّا في صياغة تشكيلات إنسانيّة واجتماعيّة متعدّدة تُطوّر الخدمة البريديّة ؟

وما مدى تحوّل المادّة من قراءة افتراضيّة إلى مادّة تعامليّة ؟

ثمّ هل تخدم الآليّة سُوقًا متحوّلةً أم هل أنّها ستُنّمي سُوقًا جديدةً ؟

وهل من الممكن أن تُحقّق المنمنمات العشوائيّة طابعًا رقميًّا فاعلاً في الاتّصال ؟

ووفقا لهذه التّساؤلات، وإذا ما تمكّنا فعلاً من ضمان تقنيّة قادرة على أن تحمل بيانات ومعلومات شخصيّة، فنحن في الآن ذاته نلحظ صُورةً مقروءةً واضحة المعالم، ثمّ إنّ الطابع الرّقميّ أصبح قيد الإمكان والتّحريّ والتّحليل بالرّغم من أنّه أنتج تزاوجًا في التّقنيات وغُموضًا في المرئيّات وإشكالاً في المقروء.

ثمّ إنّ بوادر السُّؤال ولدّت مُعطيات ضافية جدًّا حتّى أنّنا نكتشف بُعدًا تطبيقيًّا في تحوير المعطى القرائيّ، فالإبحار في قوانين تأمين المعاملة المتداولة رقميًّا هو مُعطى أوّلي يجب فهم مراسم تجربته واستيعاب إمكانيّة بلوّرته وصياغته، لذا فنحن نجد أنفسنا نُجابه تساؤلات عدّة تدور حول طرائق هيكلة الطابع وتحويله محملاً اتّصاليًّا ؟؟؟

إنّنا نجد حقيقة أنفسنا في نهاية المطاف من هذا المستوى التّحليليّ بعدما عرضنا مُطارحات كتاب **العلامة والرّقم، من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض**، وحاولنا حلّ خُيوط الإشكال المعرفيّ ومفردات الاختلاف والتّباين العلميّ، لكنّ إدراك المفهوم جعلنا نستلهم ممّا عرفناه مادّة نتعمّق باطنها، فنستشّف أغوار الأُمور ونُلامس أديمها حتّى نفهم مدى طواعيّة هذا المحمل على التّشكّل والتّماثل وفق مُتطلّبات العصر الحديث ؟

هنا نتساءل، ونبقى نُلقي السُّؤال وراء السُّؤال،

ما هي ثوابت التّراسل الافتراضيّ ؟

ما هي الدّلالات الظاهرة المرئيّة والمتّخفيّة وما علاقتها بالتّركيبة التّفاعليّة الرّقميّة ؟

ما مدى تقارب المنظوريّن الإدراكيّ المرئيّ والرّقميّ في حياكة منظومة إلكترونيّة متكاملة ؟

هل يتمكّن فنّ تسْطيح الأجسام الإلكترونيّة من تمثيل النُّصوص المعلوماتيّة؟

ما مدى تفاعل الوعي الإدراكيّ للمُستهلك مع مُفاعلات الإيحاء القرائيّ ؟

ما هي الإضافات التّي تُقدّمها الصُّورة الرّقميّة حتّى يتطوّر المحمل البريديّ؟

ما هي أبعاد الهُوّية في الصُّورة الرّقميّة ؟

ما مدى تبلّور المفهوم الإدراكيّ مع مفاعلات التّشكيلة الخطّيّة ؟

ثمّ ما ... ؟ فما ... ؟ إنّ التّساؤل يتوالد ليُثري ... ويتفاعل ليُحيي النّفوس ... ولا مناط من الإبحار لبُلوغ الغاية ...

المصادر والمراجع

المراجع العربيّة

(أ) الهمزة

إدريس، سهيل، **قاموس المنهل**، فرنسيّ عربيّ، الطبعة الحادية والثلاثون، بيروت، لبنان، طباعة دار الآداب للنشر والتّوزيع، 2003.

اليسنار، جون، كردينال، روحي، **ثقافات الجمع**، لندن، ريكسن بوكسن، النشريات الجامعيّة بمالبورن أستراليا.

(ب) الباء

برقس، ميشال، **غرامي الطوابع البريديّة**، بريطانيا العظمى، نشر دار القراءة العالميّة للكتب، طباعة بكسترمان، أكتوبر 1993.

بن سالم، المنصف، **مقال المداخلة الفنيّة**، تونس، مجلة لاباراسLa presse magazine، رقم 470، الموافق ل 13 أكتوبر 1996.

بن عالي، عبد السّلام، **ثقافة الأذن وثقافة العين**، المغرب، درا توبقال للنشر، 2000.

(ج) الجيم

جراية، توفيق، **دليل تنمية جمع الطوابع البريديّة**، تونس، نشر الإتّحاد البريديّ العالميّ، طباعة بيكترا، ترجمة trade express، 2001.

(ح) الحاء

حجازي، عبد الفتاح بيومي، **مقدّمة في التّجارة الالكترونيّة، شرح قانون المبادلات والتّجارة الالكترونيّ التّونسيّ**، مصر، دار الفكر الجامعي الاسكندريّة، 2003.

(خ) الخاء

خلدون، غسّان سعيد، **غوغل تتأهّب لنشر إمبراطوريتها عبر الإنترنت**، الشّرق الأوسط، إسلام دون لاين، 23أغسطس 2005.

(د) الدّال

الدّستور التّونسيّ، طباعة المطبعة الرّسميّة للبلاد التّونسيّة، سنة 2007.

(ر) الرّاء

رحومة، محمد عليّ، **علم الاجتماع الآليّ**، مقاربة في علم الاجتماع العربيّ والاتّصال عبر الحاسوب، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطنّي للثقافة والفنون والآداب، مطابع المجموعة الدوليّة، 2008.

(ط) الطّاء

الطوابع البريديّة التّونسيّة من سنة 1888 إلى سنة 1999، إصدار البريد التّونسيّ، تونس العاصمة، مركز الطوابع البريديّة، تصميم وطباعة بيكترا، 2000.

(ل) اللام

لالاند، أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفيّة، معجم المصطلحات التّقنية والنّقدية**، تعريب خليل أحمد خليل، أستاذ في الجامعة اللّبنانيّة، أشرف عليه أحمد عويدات، بيروت، باريس، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، 2001.

(ن) النّون

نارايان، شري ك، رئيس الجمهوريّة الهنديّة، **مُحاضرة قدّمها في افتتاح المعرض العالمي لجمع الطوابع البريديّة**، اندباكس 79، دلهي الجديدة 15 ديسمبر كانون الأول 1997.

النيهوم، الصّادق، **موسوعة علميّة مُصوّرة، كتـاب الأداة والآلـة**، المجموعـة الأولى، المجلّـد رقم 5، طرابلس، ليبيا، الشّركة العامّة للنشر والتّوزيع والإعلان، طُبع بسويسرا،1981.

النيهوم، الصّادق، **موسوعة علميّة مُصوّرة، كتاب هذا الإنسان**، المجموعة الثانيـة، رقـم 1، طرابلس، ليبيا، الشّركة العامّة للنشر والتّوزيع والإعلان، طُبع بسويسرا، 1978.

(B)

Baudinet, (M), (1983), *Economie et idolâtrie dans la crise de l'iconoclasme byzantin dans l`image et signification*, France, La documentation française.

Bouillot, (R), (Juin 2005), *Cours de traitement numérique de l`image*, France, Imprimé par I.M.E, 25110, Baume-les-Dames.

Buck, (M), (1998), Interactive Rigid Body Manipulation with Obstacle Contacts, Research and Technology, Germany, *THE JOURNAL OF VISUALIZATIONAND COMPUTER ANIMATION*, *Visual. Computer. Animation*. 9, 243–257.

(C)

Cheshire (D.G), (2001), *Haptic modeling an alternative industrial design methodology* ? UK. Proceedings, EuroHaptics, Birmingham.

(D)

Dayan, (A), (1985), *La publicité*, PUF, Collection, Que sais-je.

Delacroix (E), (1980) *Journal* (1822-1863), Lettre du 4 avril 1854.

Deren, (M), (1985), *Cinematography: The creative use of reality In G. Mast and M. Cohen*, (Eds.), Film Theory and Criticism, *Oxford University Press*, New York.

(G)

Gablik, (S), (1979), *Progress in Art*, New York, Rizzoli International Publications.

Gadamer (H.G), (1996), *Vérité et méthode*, seuil, Nouv. Ed.

Garcia-Molina, (H), Yannis (P), Dallan (Q), Anand (R), Yehoshua (S), Jeffrey (U), Jennifer (W), (1997), The TSIMMIS project: integration of heterogeneous information sources, in: *Journal of Intelligent Information Systems*.

Geser, (H), (2002), *Towards a Met sociology of the digital sphere*, <http://socio.ch.intcom./t_hgeser13.html.

(H)

Hamman, (R), *The application of Ethonographic methodology in the study of Cybersex*, University of Liverpool, Dept. of Communication Studies.

HELMICK, (R), (1995), VIRTUES OF VERISIMILITUDE IN DESIGN AND ART, Department of Environmental Design, University of Missouri Columbia, MO 65211, U.S.A., *Computer Graphics Art* , Vol. 19, No. 4.

(I)

Impressions expressions, Le timbre poste français, (2003), Paris, La Poste française, Conception et réalisation l'agence Synelog.

(J)

Joannis (H), (1988), *Le processus de la création publicitaire*, Impression Dunod entreprise, 4ème édition.

Johnson, (H), (2003), *L'impression numérique, réaliser des tirages de qualité*, Paris, France, Editions EYROLLES.

(K)

Kurzweil, (R), (2001), *The Coming Merging of Mind and Machine, Scientific American*, <www.ScientificAmerican.com>

(M)

Martin, (J-C), (1998), The oretical framework and software tools for multimodal interfaces. In: Lee J, editor, *Intelligence and multimodality in multimedia interfaces*, AAAI Press.

(P)

Paul, (J), (1963), Quelques « *Jus de Tablette* » *pour les messieurs dans Romantiques allemands*, Gallimard, la Pléiade, TI .

Preece, (J), Krichmar, (D), (2003), *Online Communities, Focusing on sociability and usability*. www.ifsm.umbc.edu.

(S)

Schelling, (F.W.J), (1978), *Ecrits esthétiques*, Klincksiek.

Simmons, (J), (2008), *Guide pratique de la création numérique*, Dunod, Paris.

Slater (M), Steed (A), Chrysanthou (Y), (2002), *Computer Graphics and virtual environments from realism to real-time*, the United States of America, University College London, First published, Addison-wesley.

(V)

Van Dam, (A), (2002), Experiments in Immersive Virtual Reality for Scientific Visualization, *Computers & Graphics*, Vol, 26, 535–555

Van Dam, (A), (2001), User interfaces: disappearing, dissolving, and evolving. Communications of the ACM; *Computers & Graphics* , 44(3): page.50–52 .

Voltaire, *Dictionnaire philosophique*, Vo, Imagination, CF, idée.

(W)

Woolman, (M), (2003), *Donnés à Voir*, Thames & Hudson, Traduit de l'anglais par Raymond Borraz, Publié en France, C&C Offset Printing.

Wunenburger, (J- J), (2001), *Philosophie des images*, France, Imprimerie des presses universitaires de France.

(Z)

Zurauki, (N), (1999), *Among the internautes notes from the Cyberfield*, Cybersocilogy, www.cybersociology.com.

مواقع عربيّة على الشبكة

الاستخلاص عن بعد، تقديم البريد الفرنسي، أكتوبر phil @ poste-web-octobre2006,

البريد يبتكر مع سيرش.ch، بتاريخ 19 جانفي 2007 البريـد السويـسري La poste- la poste innove avec search / www.search.ch.www.post.ch/innovations

مجلة نات، حقائق عدد 1، 14 سبتمبر 2006

Almaany.com

وصول الطابع الرّقميّ، info@conchita-plus-ch1

مواقع أجنبيّة على الشبكة

Forray, (D) , (21/02/2005), a 18h 30, Le timbre numérique fait ses premières dents en France, , www.01.net.com/article 267675.html

www.01.net.com/article 267675.html

www.post.ch/fr/uk_die_schweizerishe_post.htm

www.poste.tn

www.swisspost.com/Fr/index/UR

https://en.wikibooks.org/wiki/International_Postage_Meter_Stamp_Catalog/United_States_ of_America,_Part_3

-http://www.stamps.com/http://www.ebay.fr/http://www.endicia.com/

http://www.usalabel.net/

- http://www.stamps.com

-http://www.endicia.com/

- http://www.delcampe.net/, http://printstamps.co.uk/http://3.bp.blogspot.com

- http://www.philaseiten.de/cgi-bin/index.pl?ST=4499&da=1&F=1

-http://www.local.gov.uk/our-

day/http://www.delcampe.net/page/item/id,0300945781,language,F.html

-http://www.endicia.com/segments/all-products/picture-it-postage

http://www.pictureitpostage.com/PhotoEditor/EditImage.cfm

https://www.post.ch/-/media/post/ueber-

uns/medienmitteilungen/2010/bilder/info10-webstamp-bildschirm-1000-

758.jpg?la=fr&vs=1

-https://www.post.ch/fr/notre-profil/entreprise/medias/communiques-de-

presse/2010/webstamp-25-millions-de-timbres-deja-imprimes-par-les-clients

- http://www.vigfila.be/prijslijsten/CH.htm

جرائد ومجلاّت

En market Newsletter 2001 بتاريخ 25 أفريل

Net actualité, 14 septembre 2006

أبو الحجاج، محمّد، بشير، مقالة أوّل مفاتيح النّجاح في بناء وتشغيل الشبكة، مصر، الأهرام، مجلّة لغة العصر، 2009.

مجلة نات، حقائق عدد 1، 14 سبتمبر

ترجمة المصطلحات من العربيّة إلى الانكليزيّة

(أ) الهمزة

elementary	ابتدائيّ
Promotional communication	اتّصالات ترويجيّة
intentional communication	اتّصال متعمّد
typo	أثر
typography	أثر الكتابة
globality	اجماليّة
reserve	احتياطيّة
briefing	اختبار تجريبيّ
functional performance	أداء وظيفيّ
techno sensory tools	أدوات تقنيّ حسيّة
techno conceptual tools	أدوات تقنيّ مفهوميّة
e-dinar	أ-دينار
orthochromatic	أرتوكروماتيّة
response strategy	إستراتيجيّة إجابة
interactive strategy	استراتيجيا تفاعليّة
shaping a strategy	إستراتيجيّة صياغة
intelligible strategy	إستراتيجيّة مفهوميّة
color refunds	استرداد الألوان
saturation	إشباع
Direct system Laser	آلة اللّيزر المباشر
flate bed	آلة ماسحة

microelectronics	الكترونيّات دقيقة
codified a construction	إنشاء مقنّن
micro-system	أنظمة صغيرة
mechanisms of adaptation	آليّات التكيّف
stereotype	أنموذج نمطي
e-chek	آي شاك

(ب) الباء

nanometer	بادئة
pantonier	بانتون
financial electronic data interchange	بطاقة التّبادل الإلكترونيّ للبيانات الماليّة
a posteriori	بعديّة
connotative data	بيانات تلميحيّة
infalsification data matrix	بيانات غير قابلة للتّزييف
pixel / picture element	بيكسل

(ت) التّاء

subtractive synthesis	تأليف بالطرح
interpretation	تأويل
associative montage	تركيب تجميعيّ
focusing	تركيز
synchronization	تزامن
photography compositional	تصوير فوتوغرافي تركيبيّ
premeditation	تعمّد

تقنيّة الحفر الضوئيّ	optical drilling technology
تموّج	mooring
تهيئة مركزيّة متعدّدة	multi central configuration
توقيت الوضع	date of Deposit
توقيع رقميّ	digitally signed

(ج) الجيم

جزئيّات لاقطة	charge coupled device

(ح) الحاء

حقيبة إلكترونيّة	Electronic Purse

(خ) الخاء

خليّة نصف نموذجيّة فائقة الجودة	super half autotypical cell

(د) الدّال

دقّة نقطيّة	resolution

(ر) الرّاء

ردّ فعل خاضع	subject Reaction
رقم الرّخصة	license number
روسم	cliche
رؤية	vision

(س) السّين

سجّل حركيّ نفسيّ	log psychomotor

(ش) الشّين

شبكة تدرّج	gradient mesh

شفرة ثنائيّة	Binary code

(ص) الصّاد

صدفة متحرّكة	shell mobility
صفائح كهربائيّة	electrolysis plates
صفيفة	matrix
صُور عالية الدّقة	high resolutions photos
صورة اتّجاهيّة	vector image
صورة التّعداد المزدوج	bitmap
صورة شفّافة	slide

(ط) الطّاء

طابع	stamp
طوابع بريد الانترنت	e-stamps
طباعة حجريّة ضوئيّة	optical lithography

(ع) العين

عمليّة الإدراك الحسيّ الشاملة	overall perceptual process
عمليّة انتقائيّة وتنظيميّة	selective and organizational process

(غ) الغين

غرفة عقد افتراضيّة	virtual holding room

(ف) الفاء

فنّ الجرافيك	graphic art

(ق) القاف

قالب	matrix

قبليّ	a priori
قراءة بالمقاربة	comparative reading
قطب فاعل	reactor pole
قطع الكتل الحجميّة	cutting volumetric mass
قيمة الاستخلاص	postage value

(ك) الكاف

كثافة	density

(ل) اللام

لائحة بخطّ اليد	list written by hand
لائحة ذات قاعدة	list linear base
لائحة غير حاملة لقاعدة	list written without base
لون طرحيّ	subtraction color
لون كامد	matt color
لون لامع	bright color
لون واحد	monochrome

(م) الميم

ماسح ضوئيّ	scanner
متعدّد الألوان	polychrome
محدّدات شكليّة	formal determinants
مراقبة	monitoring
مصمّم غرافيكي	graphic Designer
مضّادات الهالة الضوئيّة	anti halo
معان متعدّدةً	polysemous

معايرة	calibration
معاينة	preview
مشبك	barrette
مفهوم	concept
منهجيّة	methodology
ميكانيكيّ ضوئيّ	photomechanical

(ن) النّون

نُخروب	alveolus
نضج فكريّ	intellectual maturity
نظاميّة	regularity
نظام مقولب	modular system
نقاط التحوّل	anchor point
نموذج نمطي	stereotype

(ه) الهاء

هيلوغرافيًا	heliography

(و) الواو

ورق كامد	matt paper
ورق لامع	glossy paper
وكيل وسيط	moderator agent

فهرس الصّور

صور الباب الرابع

فهرس الجداول

فهرس الموضوعات

الباب الثانيّ

الـطـابع والتّبادل ... قراءة في مُحدثات السُّوق التّجاريّة البريديّة

الباب الثالث

العلامة وإستراتيجيّة التّوزيع والصّرف ... قراءة في سياسات التّخطيط البريديّ

الباب الرابع

العلامة والرّقم ... قراءة في مقاربات منظومة التّواصل عبر الخطّ



الدار التونسية للكتاب

بلقاسم المرزوقي

الكوليزي مدرج - د - الطابق الأول مكتب 130

43 - 45 شارع الحبيب بورقيبة - تونس

الهاتف / الفاكس: 33 98 33 71

98441468/24512626

البريد الالكتروني: mtl.edition@yahoo.fr

العلامة والرّقم

من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض

نحن نلتفت إلى الوراء فيُثقلنا مسار تطوّر العلامة البريديّة، التّي تتنزّل صورة تقنيّة طباعيّة وأخرى تسويقيّة تجاريّة وأخرى تنطلق من الإدراك المرئيّ وتنطبع بالمجال الرّقميّ، لذا فنحن نعبر حقًّا جسرًا شديد الضيّق تتقاذفنا تارّة أمواج ضخامة الإرث البريديّ وتارّة أخرى أمواج العالم الافتراضيّ ووتيرة إحداثاته المبتكرة.

ممّا حوّل الإنسان إلى بُؤرة تجديد تتفاعل مع ما هو آت وتزخر بكلّ ما فات، إنسان يتهادى من فرضيّة الآلة إلى آليّة الافتراض غير قادر على أن يتخلّص من تاريخ صُنعها، فهو فاعل في حركيّة إنتاجها وحاجته تلتزم طوعًا نفاذه للمعلومة وتصنع قُدرته على تحويل الفكرة أمرًا جائزًا ومُمكنًا علّه يجد إجابات تشفي حاجته وسُؤاله عن كُنه التّجربة الافتراضيّة الاتّصاليّة !

نعم، لقد تطوّرت الآلة وفرائضها وتقنيّاتها ما دفع المُستخدم إلى فهم إحداثيّاتها ومكّنه من التّوغل في امتدادها لكشف مُفارقاتها وتجلّي أغوارها، ونحن إذ نتناول انتقال المُستخدم إلى مُستهلك للمادّة البريديّة، فإنّه قد تحوّل من مُتقبّل عُموميّ إلى مُتقبّل خُصوصيّ وهاو للطابع وقارئ في الصّورة ومُتأمّل في أبعادها الحضاريّة والثّقافيّة، ثمّ هو لم يكتفي بكلّ هذا بل تعدّى بالعلامة من شكل الأيقونة البسيط إلى أيقونة الرّقم الفاعلة والمُتفاعلة معًا، تصهره داخل بوتقة الأداة وتُقحمه في ما لا نهائيّ من مسارات المُعاملة البريديّة الالكترونيّة.

وإذا ما استرجعنا الصيرورة التّاريخيّة للعلامة فوجدنا أنّها قد غادرت الورشة اليدويّة واستقرّت في بُؤرة الأداة وتحوّلت من فُروض اليد إلى فرضيّات الآلة فأصبحت جُزءا لا يتّجزأ منها، ما اضطرّ صانع العلامة إلى التّركيز والتّدخّل لفهم قياس صيرورتها ومنطق تجاوبها، وفي الأخير نحن نُواجه اليوم العلامة تخرج من فضاء الأداة فتقرض أسلوبًا جديدًا في التّبادل البريديّ وتحكم الإرساليّة بقانون افتراضيّ فرضيّ غير ملموس وغير ما ديّ.

إنّنا نُعرب عن توق إنسانيّ يحدو المستخدم لُمواكبة المادّة وتجاوز حدّ الالتزام بنافذة شاشة الحاسوب حتّى أنّه يُطلق عنانه داخل فرضيّات آليّة من القنوات المتداخلة التّي تتّسم بالاتّصال المباشر عبر الخطّ، فيُحيي غريزة حيّة ويستملي مُيولاً واعيةً وأخرى لا يُدرك حتّى أبعادها، إنّه يسير نحو المجهول المتخفّي وراء امتداد فضاء من المفردات الإلكترونيّة والأيقونات المبرمجة والمتحرّكة، إنّه عالم العلامة الرّقم بشتّى تنوّعاته وفرائضه.



الثمن: 22.000 د.ت

